السنة السادسة العدد ٦٧ ـ رمضان ١٤٠١هـ ـ يولية ١٩٨١م .

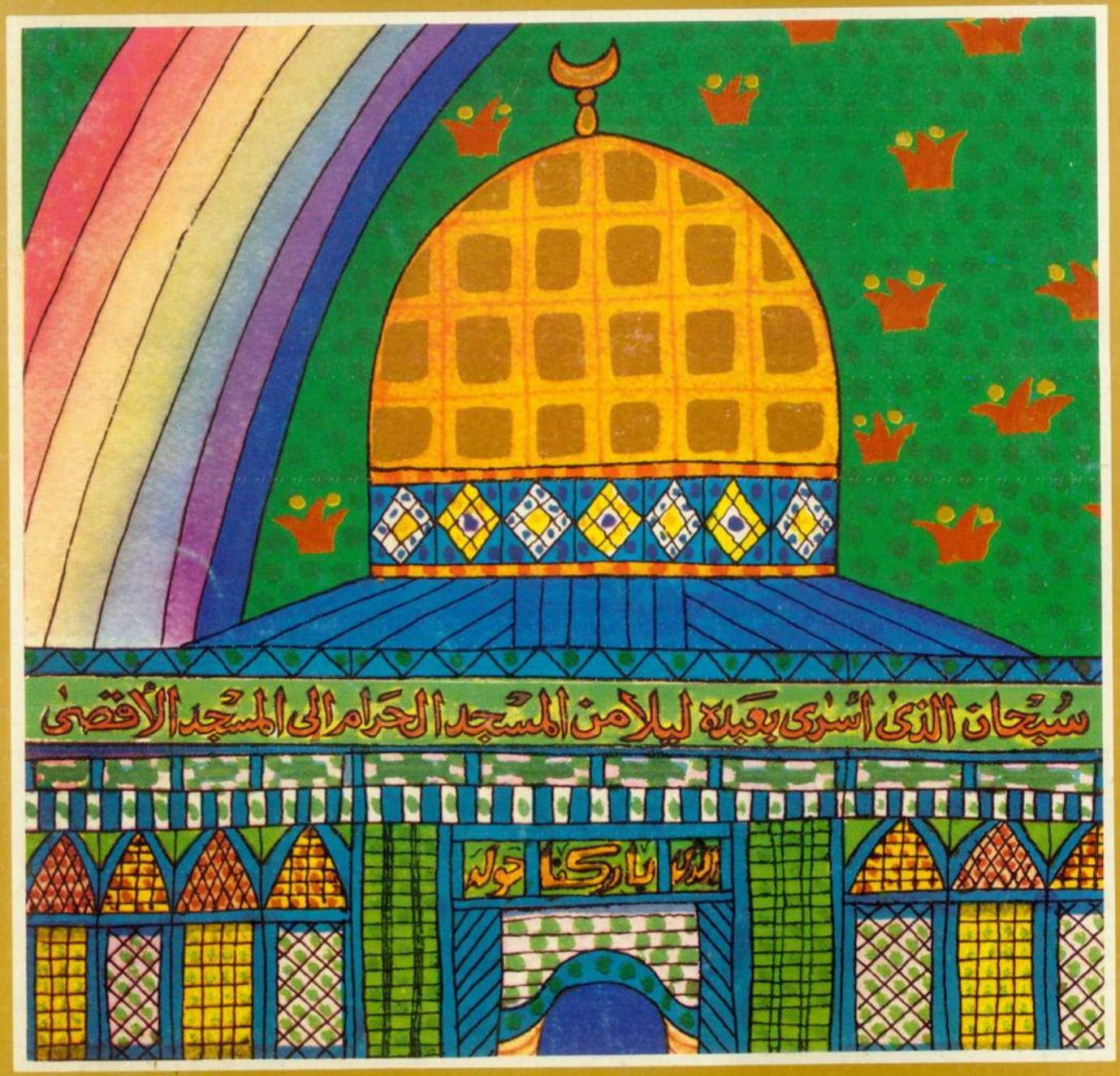
الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- أنصاف الشائرين — قصة جديدة للدكتور يوسف إدريس
- محنة الضمير العلمي في الجامعات العربية

منذ ثلاثة آلاف سنة : القدس هي القضية



مع العدد

هدية : لوحة القدس



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٦٧ - رمضان ١٤٠١هـ - يوليه ١٩٨١م

رئيس التحرير :
رجاء النقاش

مدير التحرير :
عبدالقادر حميدة

المدير الفني :
أحمد فاضل

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج :
مرزوق بشير

التحرير :
النور عثمان أبكر عبدالله جابر
نادية رزق ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير :
نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني :
محمد نبيل الحداد نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان :
أحمد عبدالله علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي :
المجلة ـ الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن راى الوزارة أو المجلة

طبعت بمطابع علي بن علي . الدوحة - قطر

فى هذا العدد


د. محمد الانصارى


خالد محمد خالد


د. يوسف ادريس


د. عبد السلام العجيلى


عبد الرزاق البصير


محمد فتحى

- رسائل الى المحرر ٦
- الانماء والأمن والنفط فى الوطن العربى ..... د. يوسف صايغ ٨
- ... والعلم ممنوع على العرب : د. محمد جابر الانصارى ١٢
- جناح شجن يحاول أن يرتفع ..... عبد الله جفرى ١٤
- كامبردج وكيمبردج وأخلاق الشعوب ..... د. عبد السلام العجيلى ١٦
- الغريب «قصيدة» ..... محمد الفهد العيسى ١٨
- الليبرالية فى الفكر ..... د. حافظ الجمالى ١٩
- عبد الكريم بن ثابت شاعر وجودى ..... عبد الكريم غلاب ٢٢
- علماء اللغة فى رياض الجمال ..... عبد الرزاق البصير ٢٦
- الى مناضلات الشعب الارتيرى «قصيدة» ..... م . كجراى ٢٩
- مهام جديدة لاجتهاد جديد ..... د. محمد عمارة ٣٠
- بنفسجة الغياب «قصيدة» ..... حسن طلب ٣٣
- معنى انزال القرآن الكريم فى رمضان ..... د. محمد الدسوقى ٣٤
- الاتجاه الواقعى فى شعر الخليج العربى ..... حسان عطوان ٣٨
- حي بن يقظان وروبنسون كروزو ..... يوسف الشارونى ٤٠
- الاذاعات العربية فى أزمة حقيقية ..... محمد فتحى ٤٤
- أضواء ..... النور عثمان ابكر ٤٦
- أشعة الموت تحولت لأشعة حياة ..... د. عبد المحسن صالح ٥٠
- متحف حى لفنون السودان فى الدوحة ..... كمال سعد ٥٦
- انصاف الثائرين «قصة» ..... د. يوسف ادريس ٦٠
- عينان «قصيدة» ..... فتحى سعيد ٦٥
- الغزال ..... د. محمد الغباشى ربيع ٦٦
- لقطات من الكون المثير ٧٠
- انقذوا الثقافة العربية فى ارتيريا ..... عثمان صالح سبى ٧٢
- البالونة «قصة» ..... طه وادى ٧٨
- شاعر ألمانى أمام مسجد قرطبة ..... د. الطاهر أحمد مكى ٨١
- العروبة والفوسفات ..... درويش مصطفى الفار ٨٥
- الشيخ محمد رفعت فى ذكراه الواحدة والثلاثين ..... حسين عثمان ٨٦
- الفخ الذى وقع فيه علي عبد الرازق وخالد محمد خالد ..... صلاح عيسى ٩٠
- مذبحة فيلم ونهاية أسطورة ..... رءوف توفيق ٩٨
- من عيون الحكمة ١٠٣
- نهر النيجر شريان حضارة الانسان ..... د. حسن عيسى عبد الظاهر ١٠٤
- لماذا هذه الصعوبة فى فهم الشعر الحديث ..... ابراهيم العريض ١٠٨
- أول مدرسة للفنون الجميلة فى العالم العربى ..... جمال قطب ١١٢
- القدس هى القضية ..... عصام شريح ١١٦
- العم زيدان «قصة» ..... محمد البساطى ١٢٤
- ملامح من حياة الفنان الاسبانى «جويا» ..... د. زينب عبد العزيز ١٢٨
- كاريكاتير ..... صلاح الليثى ١٣٢
- جبران خليل جبران ..... حارث طه الراوى ١٣٤
- أنظر الى الماضى دون خجل ..... صلاح الدين المقريزى ١٣٧
- دوحة القراء ١٤٢
- الورقة الأخيرة : بودلير والروائح ..... عبد المنان زعرور ١٤٦

كلمة

محنة الضمير العلمي في الجامعات العربية

تتحدث الأوساط الثقافية العربية همساً عن قضية مثيرة فى احدى الجامعات العربية ، وهذه القضية هى أن استاذاً قد اعتدى اعتداء علمياً صارخاً على «رسالة ماجستير» قدمتها احدى الطالبات فنقل الاستاذ ما جاء فى رسالة الطالبة ونشره على انه من تاليفه ، بعد شيء يسير من التعديل والاضافة ، ورغم التعديل والاضافة بقيت الرسالة الأصلية هى المصدر الأكبر والأوضح لكتاب الأستاذ الجامعى الكبير .

هذه الواقعة العلمية التى تتحدث عنها الأوساط الثقافية فى احدى الجامعات العربية ، لماذا تبقى همساً ولا تخرج الى النور بحقائقها ووثائقها المختلفة ، إن «الأمانة العلمية» هى احدى الأسس الحضارية التى تقوم عليها المجتمعات الناهضة تلك المجتمعات التى تريد أن تبنى نفسها ومستقبلها وتخلق اجيالا جديدة قادرة على أن تتحمل مسئولية البناء الاجتماعى الصحيح ، فى كافة المجالات ، وعلى راسها المجال العلمى . وإذا كانت المجتمعات السليمة تتحمل أن يكون هناك تاجراً غير صادق ، او موظفاً غير ملتزم فان هذه المجتمعات لا تتحمل ان يكون هناك علماء غير امناء وغير صادقين . فالعلماء هم ضمير الأمة ، وهم القدوة والمثل الأعلى ، فاذا اهتز الضمير وفسدت القدوة والمثل العليا ، اضطرب كل شيء وساد فساد عظيم .

إذا كان بعض علماء الأمة يرتكبون مثل هذه الخطايا الفكرية والأخلاقية ، فيجب ان يجدوا من يقول لهم : لا . ويجب ان يجدوا من يقول لهم إن الأمانة العلمية اساس فى بناء الجامعات والجامعات نفسها اساس صلب فى بناء المجتمعات . لقد كان «الأزهر» وهو اول جامعة كبرى فى العالم كله ، مصدراً للخير والنور والأمانة والصدق على مر العصور ، وكان الحكام ، يذهبون الى علمائه ، يطلبون النصح والمشورة والراى وكان العلماء يعطون للحكام آراءهم بضمير فيه صفاء ، وعقل فيه صدق ، وراى مليء بالخبرة والفكر والتجربة . وفى العصر الحديث كثيراً ما اتجه الزعماء السياسيون الى علماء الجامعة يتخذون منهم المستشارين الكبار ، واصحاب الراى فى القضايا الصعبة ، بل إن احد اكبر المناصب فى العالم الحديث وهو مستشار الأمن القومى لاى رئيس امريكى ، إنما يحتله ــ فى اغلب الأحوال ــ اساتذة الجامعات ، وقد اصبحت الجامعات فى كل مكان متحضر فوق هذه الأرض مؤسسات كبرى تواجه بالصدق والأمانة والعلم والعمق اهم مشاكل المجتمع والانسان ، واصبح الأستاذ الجامعى فى صورته السليمة اكبر مرجع واصدق قائل فى شئون الحياة ، يستمع اليه الكبير والصغير ، ويستمدون منه الالهام والفهم الصحيح .

فهل نترك جامعاتنا تتلوث بانعدام الضمير العلمى والأمانة العلمية ، هل نقبل على انفسنا ان تتسلل الى احدى جامعاتنا تلك الجراثيم القاتلة ، وذلك السوس الذى ينخر فى عظام الحضارة فيقضى عليها ؟

إن الأمانة العلمية فى الجامعات العربية يجب أن تكون مقدسة ، ويجب ان تتم مراعاتها بكل الاحترام والتقدير .

ولذلك فاننا سوف نثير على صفحات الدوحة فى العدد القادم ، عندما تتوفر لدينا كل الوثائق ، قضية الأمانة العلمية فى الجامعات العربية ، وسوف نكشف بالأسماء ما حدث فى تلك الجامعة العربية الكبرى ، بعد أن تتوفر لنا كل الأدلة والبراهين ، فالأمانة العلمية الجامعية قضية يجب أن ندافع عنها بكل ما نملك من أساليب .

وليس فى يدنا سوى صفحات مجلة الدوحة .. نرجو لها دائماً ان تكون منبراً للحق والحقيقة مهما كثرت اشواك الطريق .

● المفاعل النووى والتحدى الحضارى

لسنا بحاجة الى كثير من الكلام حتى نكتشف حقيقة الصراع العربى الصهيونى . ففى هذا الصراع تعلن الصهيونية اعلاناً صريحاً لن تحيد عنه هو : ان العرب يجب دائماً الا يسبقوا اسرائيل فى اى شيء وبخاصة فى العلم والحضارة والسلاح .

والصهيونية تلتزم بما تقول فى هذا المجال ، وضربتها للمفاعل النووى العراقى ليست هى الأولى ولن تكون الأخيرة ، وعلينا ان ندرك أن محاولة العراق لبناء مفاعل نووى عربى على ارضها كانت محاولة رائدة يجب ان تتكرر مهما كانت الظروف ، ولقد كان للمساندة الاجتماعية العربية لموقف العراق مغزاها الكبير ، وهذا المغزى هو ان المفاعل النووى على أرض بغداد كان عملا لكل العرب ولم يكن عملا من اجل العراق فقط ، وان ما حدث لهذا المفاعل النووى كان ضربة لكل العرب ولم يكن ضربة للعراق فقط ، وكان هناك مغزى اخر للتاييد الاجتماعى العربى للعراق ، حتى من خصومها السياسيين «فالخطر العام» هو الميدان الذى تظهر فيه الروح العربية الواحدة الأصيلة التى ترتفع فوق كل خلاف . ولو لم يكن لضربة المفاعل النووى العراقى من نتيجة إلا هذه النتيجة ، لكان للمفاعل النووى فضله فى هذه الأيام الصعبة ، فقد كشف لنا عن وحدة العرب واستعدادهم لوضع اليد فى اليد ، والقلب على القلب والعين على العين فى ساعة الخطر .

وعلى العرب ان يدركوا ، وقد اجتمعوا فى الضراء ، ان اسرائيل تريد «عرباً» على «مقاسها» هى ، وان العرب لا يمكن لهم ان يستمروا فى الحياة على شواطىء انهارهم وفوق الصحارى والحقول والجبال والوديان من الخليج الى المحيط إلا اذا عرفت اسرائيل ان معادلتها الحضارية لا يمكن ان تستمر او تدوم ، وان ثلاثة ملايين يهودى فى اسرائيل وعشرة ملايين صيهونى فى شتى انحاء العالم لا يمكن ان ينتصروا على مائة وخمسون مليون عربى ، لهم حضارة ورسالة فى هذه الدنيا منذ الف وخمسمائة سنة على التقريب .

إن ضربة المفاعل النووى لن تمنعنا من الف محاولة اخرى حتى نحمى ارضنا ومستقبلنا ، وهذه الضربة اقنعتنا مرة اخرى ان اسرائيل لن تسكت وان لقاء الأيدى العربية ، والقلوب العربية ، والعمل العربى ، هو طريق السلامة .. اما التفرق والخلافات فهى طريق اليأس والندامة .

فليتوحد العرب بالأيدى والاعمال والقلوب ، وليقم المفاعل النووى من جديد تحميه ارادة مائة وخمسين مليون عربى ، لهم ماض ، ويجب أن يكون لهم مستقبل .

رجاء النقاش

رسائل إلى المحرر

● لا .. يا دكتور «القط» ●

قرأت فى جريدة الأخبار المصرية حديثاً مع الدكتور عبد القادر القط ، ومع احترامى للدكتور القط كناقد معروف له مكانته ، إلا أن ذلك لا يمنعنى من القول بأن حديثه ذاك قد ضم بعضاً من النقاط التى لا يمكن لأى أديب أو قارىء للأدب العربى أن يسلم بها .

فيقول الدكتور فى حديثه : «إننا نحب المبالغة بالنسبة للماضى ، فنقول عن طه حسين مثلا انه عميد الأدب العربى .. يعنى إيه عميد .. ويعنى إيه عملاق .. ويعنى إيه شيخ .. ففى رأيى يوجد جيل من الأدباء أفضل من طه حسين والعقاد والمازنى «وأحمد أمين» .

ومن الغريب أن ناقداً أدبياً كالدكتور القط ، وإن كان يفترض فيه الموضوعية التامة ، والحيدة الكاملة إلا أنه قد خرج عن هذا فى حديثه وراح يسوى بين هؤلاء الأربعة الكبار وبين كثير ممن ينتسبون للأدب انتسابا .

ولست أدرى لم يشكك الدكتور القط فى أحقية الدكتور طه حسين بعمادة الأدب العربى وتربعه على عرشه ؟، فأحقيته لا ينكرها أحد ، وسر عظمته يبدو فيما خلفه من أعمال أدبية وفكرية كثيرة ، وكذلك العقاد العملاق غنى عن التعريف ، ولا أجد خيرا مما كتبه عنه الأستاذ أنيس منصور «.. كانت حياته رهبانية للفكر .. سلسلة من الشجاعة وتكريم العلم .. ولذلك فأنا لا أصوره ، وإنما فقط أشير اليه كما يشير أصبع صغير الى هرم كبير . !»

وإن هؤلاء العظماء خالدون ، ولن يذكر الأدب العربى الحديث وروائعه إلا ويذكر الأربعة الكبار .. طه حسين والعقاد والمازنى وأحمد أمين ، فاذا كان هؤلاء الشوامخ غير جديرين بصدارة الأدب العربى .. فمن يكون ؟؟ ..

محمد نصر نوفل
كلية الحقوق ـ جامعة الزقازيق

● و «الدوحة» إذ تنشر هذه الرسالة ليسعدها أن تفتح باب النقاش حول هذا الموضوع . أما بخصوص طلب الأخ القارىء من الأعداد السابقة فيؤسفنا عدم استطاعتنا تلبيته .

● الأديبة «مي» والعملاق ●

عقب المسلسل التلفزيونى «العملاق» عن قصة حياة الأديب الكبير عباس محمود العقاد رأينا شخصية الأديبة العربية الكبيرة «مي» قد شغلت حيزاً كبيراً من تفكير المشاهدين حيث بدأت التساؤلات عن حقيقة العلاقة العاطفية بين «العقاد» و «مي» ، وظهرت مقالات كثيرة تتحدث عن غراميات الأديبة الكبيرة وعلاقاتها بعدد من أدباء عصرها . ولم يحاول أحد ممن عاصروها أو درسوا حياتها وأدبها أن يدافع عنها ، حتى ظهر عدد فبراير ٨١ من الدوحة وفيه تعليقكم بعنوان «.. هل كانت مي عاشقة رخيصة ؟»

وقد أثلج صدورنا ذلك التعليق ، فمجرد تساؤلكم رد للأديبة الكبيرة كرامتها ومكانتها الأدبيتين ، الى جانب توضيح الحقيقة للمشاهد العربى حتى لا يرسب فى ذاكرته تأثير تلك الحملة المغرضة التى وجهت ضدها ، وحتى ينمحى تأثير ذلك العمل الدرامى البعيد عن الواقع .

ناجى عبد اللطيف ابراهيم
عضو جماعة فاروس الأدبية بالاسكندرية



● «الدوحة» أول مجلة كتبت عن «الفولانى» ●

وردتنا هذه الرسالة ننشرها دون تعليق :

يسعدنا أن نتقدم باسم جميع أبناء الأمة الفولانية بأخلص الشكر لتناولكم موضوع «الفولان» فى مجلتكم بالعدد الثانى والستين ـ فبراير ١٩٨١ ـ والذى كتبه الاستاذ الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر .

فعلى الرغم من دور هذه الأمة فى نشر الدعوة الاسلامية فى ربوع أفريقيا منذ قرون عدة ، إلا أنه لم يسبق لأى عالم عربى أو اسلامى أن كتب بمثل هذه الدقة والموضوعية والصدق فى هذا المجال .

ولعل من المؤسف حقاً أن كثيرا من علماء المسلمين قد انساقوا خلف كتابات بعض الأوربيين وجعلوها مرجعهم لدراسة تاريخ الفولان ، وصدقوا ما افتراه بعض الكتاب الغربيين والمستشرقين ليفتتوا وحدة المسلمين من ناحية ، وليفلوا من عضد الأمة الفولانية فى القيام برسالتهم لنشر الاسلام ، لينفتح المجال أمام بعثاتهم التبشيرية فى القارة الأفريقية ، وقد استطاعوا فعلا الوصول الى هدفهم بعد أن عزلوا الأمة الفولانية عن بقية العالم الاسلامى ، ثم جاء دور الاستعمار العسكرى ، واستعملت القوة الغاشمة فى ضرب أبناء هذه الأمة المجاهدة ، فشتت شملهم على طول خط السافانا جنوب الصحراء الكبرى بعرض القارة ما بين المحيط الأطلسى غربا الى البحر الأحمر شرقا .

وإننا نناشد علماء الاسلام والمؤرخين ، إذا ما أرادوا أن يكتبوا عن تاريخ «الفولان» أن يتصلوا برابطة أبناء الأمة الفولانية وعنوانها ص . ب ٥٣ ـ ميدان عبده باشا ـ العباسية ـ القاهرة . للحصول على أية معلومات أو بيانات يريدونها .

وستبقى الأمة الفولانية ـ رغم تشتتها ـ درعا للدعوة الاسلامية وشوكة فى حلق الاستعمار التبشيرى فى القارة السوداء .

ديكو حمدون وبشير جولد محمد
نيابة عن رابطة أبناء الأمة الفولانية



رأيت

بائعة الكبريت

كان البرد شديدا فى تلك الليلة ، وقد أوى الناس الى بيوتهم إلا عائد من سهرة أو سمر ، أما بائعة الكبريت الصغيرة فجلست على الرصيف ، حاسرة الرأس حافية القدمين ، لا يستر جسمها إلا ثوب ممزق .

لقد أمضت نهارها تجوب الشوارع المزدحمة فلم يلتفت اليها المارة ، إلا الأطفال فكانوا يرمقونها أحيانا بنظرات وادعة مشفقة ، ولكن قروشهم لا تستقر إلا فى كف بائع الحلوى ..

وعندما هبط الليل أقعدها الجوع والتعب عن مواصلة السير الى بيتها .

اشتد عليها البرد فتذكرت الكبريت وتناولت عودا فاشعلته . فانسها بضوئه وحرارته ، وراحت تحلم بالدفء والحلوى والفاكهة ..

وانطفأ العود فاشعلت آخر لتواصل حلمها السعيد ، حتى اذا اشعلت جميع عيدان العلبة إلا واحدا منها ، تناولت هذا العود الأخير وتاملته طويلا قبل أن تشعله . وكأنها تودع فيه عزيزا وتحس فيه معنى النهاية .

طلع الصباح فرأى العابرون طفلة ميتة وبضع علب مبعثرة على الرصيف ، ولكن أحدا منهم لم يعرف ما رأته الطفلة البارحة وهى تشعل الثقاب بعد الثقاب ...

عبد السلام محمد موسى
القامشلى ـ سوريا

كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه

الحروف المقطعة فى أوائل السور القرانية كانت ومازالت من الغاز القران المحيرة ولقد اجريت اخيرا محاولة جريئة لاكتشاف المدلول العددى لهذه الحروف ، وهى محاولة قام بها الاستاذ الدكتور رشاد خليفة باستخدام العقل الالكترونى وقد توصل هذا الباحث الى نتائج مثيرة للاهتمام ، إذ وجد بالاحصاء ان استهلال سورة باحرف معينة يقابله دائما تفوق حسابى لمعدل توارد هذه الأحرف وتكرارها فى السورة نفسها .

ففى سورة (ق) مثلا نجد حرف القاف يتكرر فى السورة بمعدل اعلى من باقى الحروف ثم ان معدله فى هذه السورة هو اعلى معدل فى سور القران كلها . وينطبق الشىء عينه على الأحرف : (ا) و (ل) و (م) فى سورة البقرة ولكن المدهش هنا هو ان معدلات هذه الاحرف الثلاثة تاتى فى سلم تنازلى من (ا) الى (ل) الى (م) على النحو التالى :

(ا) وردت ٤٥٩٢ مرة ، (ل) وردت ٣٢٠٤ مرة ، (م) وردت ٢١٩٥ مرة .

ونفس هذه الحكاية فى باقى السور التى تستهل بالاحرف (ا) ، (ل) ، (م) .

واكتشف الاستاذ رشاد خليفة ان ثمة دلالة خاصة للعدد ١٩ ، ويرى ان الله تعالى يقيم بهذا العدد حجة على الملحد الذى يقول ان القران من صنع البشر . ويفسر الاستاذ رشاد خليفة فيقول ان اية «بسم الله الرحمن الرحيم» تتكون من ١٩ حرفا ثم ان كل كلمة منها تتكرر فى القران ١٩ مرة او مضاعفات العدد ١٩ .

كلمة «اسم» تتكرر ١٩ مرة ـ كلمة «الله» تتكرر ١٩ فى ١٤٢ .

كلمة «الرحمن» تتكرر ١٩ فى ٣ ـ كلمة «الرحيم» تتكرر ١٩ فى ٦ .

ثم ان جميع الحروف المقطعة فى اوائل السور تتكرر الى مضاعفات العدد ١٩ بطول المصحف . فمثلا فى سورة (ق) يتكرر الحرف (ق) ١٩ فى ٣ والحروف كهيعص تتكرر فى السورة ـ سورة مريم ـ ١٩ فى ٤٢ والحرف (ن) فى سورة القلم يتكرر ١٩ فى ٧ مرات والحرفان (ي س) فى سورة يس يتكرران ١٩ فى ١٥ مرة والحرفان (ط ، هـ) فى سورة طه يتكرران ١٩ فى ١٨ مرة والحرفان (ح ، م) فى جميع السور المفتتحة بـ«حم» يتكرران ١٩ فى ١١٤ مرة وهكذا .

وتوجد فى القران بالاضافة الى ذلك مقابلات عددية توازى بعض المقابلات اللفظية . فمثلا لفظ الحياة يتكرر فى القران ١٤٥ مرة وبالمثل لفظ الموت ١٤٥ .

وكلمة الدنيا ترد ١١٥ مرة وكلمة الأخرة ترد ١١٥ مرة وكلمة الملائكه ياتى ذكرها ٨٨ مرة والشياطين ٨٨ مرة والحر يذكر ٤ مرات والبرد ٤ مرات .

إنه القران الكريم ... تنزيل من الله العزيز الحكيم ...

رضا ابراهيم محمد سيد
مصر ـ المنيا

● سؤال عن حيفا ●

لقد اعجبنى الاستطلاع الذى كتبه نبيل خالد الاغا فى العدد ٦٢ من مجلة الدوحة بعنوان : حيفا .. قلادة على صدر الوطن ولقد لفت إنتباهى قوله فى صفحة ٥٤ «... وقد اهتم لويس التاسع ملك فرنسا بتحصين حيفا وقيسارية بوجه خاص ، إلا أن ذلك التحصين لم ينقذها من قبضة الجيش الاسلامى بقيادة البطل الظاهر بيبرس حيث فر الصليبيون . واتاحوا الفرصة لدخول الأمراء العرب» .

وملاحظتى التى أود طرحها هى اننى قرأت فى جميع كتب التاريخ فوجدت أن الذى طرد الصليبيين هو البطل صلاح الدين الأيوبى فى معركة حطين ، أما البطل الظاهر بيبرس فقد انتصر على المغول فى موقعة عين جالوت .

فارجو من الأخ الكاتب توضيح هذا الامـــر .

ياسر السيد الحنفى
كلية التجارة ـ المنصورة

● لقد بدأت الحروب الصليبية فى أواخـــر القـــرن الحادى عشر ، واستولى الصليبيون على بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وعلى بعض مدن الساحل الشامى ومن بينها بيروت وعكا وحيفا ، وهدد الصليبيون دمشق والقاهرة حتى كانت حركة الافاقة الاسلامية على يد عماد الدين زنكي ثم ابنه نور الدين ، وفى هذه الاثناء ظهر البطل صلاح الدين الأيوبى ورفع راية الجهاد ، ووحد مصر ومعظم بلاد الشام ، ثم ضرب ضربته والحق الهزيمة الكبرى بالصليبيين فى حطين عام ١١٨٧م .

أما التتار فكانت هزيمتهم الكبرى عام ١٢٦٠م فى موقعة عين جالوت على يد المماليك بقيادة السلطان سيف الدين قطز وقائده الظاهر بيبرس ، ولم ينته الجهاد ضد التتار عند هذه النقطة بل استمر حتى القرن الرابع عشر الميلادى أيضا وبعد اندثار الصليبيين .

وحيث أننا لا نستطيع الاسهاب فى شرح هذا الموضوع فيمكنك الرجوع الى المصادر الآتية بغية الحصول على المزيد من التفصيلات :

● الكامل فى التاريخ لابن الأثير ـ الجزء الحادى عشر
● مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لابن واصل ـ الجزء الثانى .
● المختصر فى أخبار البشر ـ لأبى الفدا ـ حوادث عام ٦٦٣هـ .
● زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ـ مخطوط بيبرس المنصورى ـ الجزء العاشر .
● العدوان الصليبى على بلاد الشام ـ د. جوزيف نسيم يوسف صفحة ٢٩٠ .
● الحركة الصليبيـة ـ د. سعيد عاشور الجزء الثانى .

نبيل خالد الاغا

هؤلاء تقرأ لهم في العدد القادم والأعداد التالية:

- د. يوسف صايغ
- علي الملك
- محمد المهدي المجذوب
- نعمان عاشور
- الدكتور أحمد عثمان
- الدكتور طه وادي
- الدكتور مصطفى الديواني
- الدكتور يحيى الجمل
- محمد المدنانى
- محمود شيت خطاب
- الدكتور محمد علي الهويني
- جمال الكنانى
- مجيد طوبيا
- د. رمسيس عوض

وفي العدد القادم

المقال الأول للدكتور عبد الله الكبيسي

د. يوسف صايغ يتحدث عن :

الإنماء.. والأمن.. والنفط في الوطن العربي

المحاضرة الهامة التى القاها الدكتور يوسف صايغ ضمن برنامج مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربى بجامعة قطر تحت عنوان (العلاقة المتبادلة بين الانماء والأمن والنفط فى الوطن العربى) .

والدوحة إذ تنشر هذه المحاضرة بما جاء فيها من آراء بالغة القيمة والأهمية إنما تدعو المفكرين والباحثين العرب إلى مناقشة ما جاء فيها وتناوله بالتعليق والتعقيب ..

لا أريد لهذه المحاضرة أن تكون ممارسة فى الندب والرثاء ، لأنى سأتحدث عن «الانماء والأمن» بحالتهما المؤسفة فى الوطن العربى حاليا ولأنى كذلك سأنطلق – فى حديثى – من مساوىء الوطن العربى الراهنة التى هى مساوىء أساسية ، وذات أثر بعيد يصعب التغلب عليها فى فترة قصيرة . وأقصد بها : التخلف ، والانكشاف الأمنى ، والتفتت ، والتبعية ! إننا – فى مواجهة هذه التحديات الأربعة – يليق بنا أن نتوجه بأفكارنا صوب الانماء والحس الأمنى . ولا أقصد بالأمن هنا الأمن البوليسى . إننى أعنى الأمن القومى الذى يراد به الحفاظ على المصير ، ورعاية المستقبل . علينا أن نذكر منذ البداية أنه مما يزيد من صعوبة هذه التحديات : حالة الانبهار النفطى الذى يعانى منه الوطن العربى الآن ، خاصة فى المنطقة النفطية ! مثلما علينا أن نتحدث بصراحة تامة ، لأنه من الضرورى – فى مواجهة تلك التحديات الضخمة – أن نحقق فهما أفضل للانماء والأمن .. طبيعتهما .. وتفاعلهما . وكذلك فهما أفضل للنفط بصفته أداة فى خدمة الانماء والأمن .

النمو المتصل

من الضرورى إذن – والحالة هذه – أن نقوم بتقديم تعريف للتنمية . تعريف ينقل التنمية الى ما هو أبعد من النمو . إن النمو يتحول الى تنمية باستيفاء عدد من الشروط أولهما أن يكون هناك نمو متصل لا يخضع لذبذبات وتموجات خطيرة . وأن يكون نمواً ناتجاً عن اراء المجتمع والاقتصاد القوميين ، لا عن آراء جزر تكنولوجية غريبة مقيمة في القطر أو الوطن العربى ككل . مثلما ينبغى أن ينطلق هذا الأداء من اقتصاد ذى قاعدة متسعة قدر الامكان . وكلما كثرت القطاعات التى تسهم فى هذا الأداء ، كلما كان الأداء أفضل ، وكانت التنمية أقرب مثالا .

وهنا بالطبع فى منطقة كمنطقة الخليج ، يصعب الحديث عن قاعدة متسعة بسبب محدودية الموارد الزراعية . ومن هنا نتحفظ بعبارة «قدر الامكان» . على أن المجتمع ينبغى أن ينمى جميع الامكانيات التى تتيح لأكبر عدد ممكن من القطاعات أن تزدهر وأن تتقدم باسهاماتها الاقتصادية ، وبالتالى الاجتماعية .

إننا لو نظرنا إلى الوطن العربى ، وجدناه بالرغم من المحاولات الجادة – فى أحيان كثيرة بعد الحرب العالمية الثانية – فى إقامة قاعدة تصنيعية ضخمة ، لم ينجح بما يقترب به من الطموحات . فلا يزال القطاع الصناعى – بمجمله فى الوطن العربى – يسهم بما لا يزيد عن ٧٪ من جملة الناتج المحلى الاجمالى ، ولا تزال قوة العمل بالقطاع الصناعى فى حدود ٧ إلى ٨٪ من إجمالى قوة العمل فى الوطن العربى . أما الزراعة فنصيبها أسوأ . إذ أن القطاع الزراعى فضلا عن كونه يعانى من هبوط فى الناتج القومى فهو قياساً ببقية القطاعات يسجل أدنى معدلات للنمو فى الاقتصاد العربى ككل . ويزيد من خطورة الأمر أن جميع البلدان العربية منكشفة غذائيا . إن كل قطر عربى دون استثناء اصبح مستوردا صافيا للقمح . وإن نسبة الاستيراد تتراوح بين ١٠٪ من الحاجات القطرية و ١٠٠٪ فى بعض البلاد . مثلما بلغت جملة المستوردات الغذائية الصافية – أى بعد خصم المصدرات – فى عام ١٩٧٨ ، استناداً إلى آخر الاحصاءات ، ما يقرب من ٧ مليارات دولار من المستوردات الغذائية . وسوف أعود للحديث عن دلالة هذا الرقم فيما بعد .

القدرة الذاتية

يأتى الشرط الثانى لتحقيق التنمية ، وهو ارتفاع القدرة الذاتية الانتاجية . وذلك من خلال التعليم ، والتربية الملائمة الخلاقة عن طريق التدريب المهنى ، والكفاءات ، والمهارات المهنية والحرفية ، ومن خلال امتلاك القدرة التكنلوجية

وهنا يجدر بنا أن نقف أمام خطأ خطير وشائع هو مفهوم نقل التكنلوجيا . وكأنما التكنلوجيا سلعة ننقلها من يد إلى يد . من بريطانيا إلى الامارات . من فرنسا إلى الكويت . من السويد إلى مصر . ولا زلت أذكر ما صرح به مسئول فى محاضرة عن النفط ، فى سبتمبر الماضى ، حين قال : « نحن ننقل التكنلوجيا نقلا ناجحا فى بلدنا ، بدليل أننا نستورد معدات وآلات ومصانع باكملها ، وننقل معها خبراءها وتقنييها ، الذين يشيدونها بحضور رجالنا » .

هذا النقل التكنلوجى الذى يوحى بأنه طريق مختصر لاكتساب القدرة التكنلوجية الذاتية ، ليس فى الواقع إلا الطريق الأطول . أما الطريق الأقصر حقيقة ، فهو الطريق الذى يعززه العلم ، والبحث ، والاختبار ، والتدريب ، والتعليم من خلال التجربة والخطأ .

واليابان مثال صارخ على صحة ما أقول .

الشرط الثالث لتحقيق التنمية هو أن التنمية ينبغى أن يرافقها اتساع فرص العمل المنتج والمجزى ، وتكبير حجم العمالة ، والاستخدام . وأنا أكره الكلمتين « العمالة والاستخدام » فالعمالة لها مدلول سياسى . والاستخدام كلمة بشعة . أقول ينبغى تعظيم حجم العمالة إلى القدر المتاح . ذلك أن تنمية يرافقها بطالة متزايدة لا تكون تنمية نرغبها ولا نسعى إليها .

الفجوة التنموية

حين يراد للتنمية أن تكون حقيقية وعميقة ، ينبغى – وهذا هو الشرط الرابع – تضييق الفجوة التنموية داخل كل قطر وفيما بين الأقطار العربية . والمقصود هنا الفجوة فى القدرة على الانتاج ، والقدرة على الأداء الاقتصادى . وذلك

● ليس ممكنا أن نعتمد على الخبراء الأجانب لكي يحققوا لنا الأمن ، فقد نستيقظ يوما لنكتشف أنهم كانوا هم أنفسهم مهددي الأمن في بلادنا

ليس معقولا أن يعتمد الوطن العربي بأسره اعتمادا شبه كلي في حاجته للقمح على مصادر أجنبية لا تبيع القمح إلا مربوطا بشروط سياسية

● لا بد لنا من قدرة تكنولوجية نكتسبها عن طريق الدموع والعرق والآلام ، وليس عن طريق الاستيراد

● لماذا يبيعون لنا الدواء بأسعار تبلغ أربعة أضعاف السعر الذي يبيعون به للآخرين ؟

يتم فى المرحلة الأولى برفع أرضية الأداء الاقتصادى بما يرافق ذلك من رفع للدخل والثروة خضوعاً لمنطق الحساب الاقتصادى . أقول اننا سنشهد اتساعاً فى الفجوة كما شهدنا فى الحقبتين الماضيتين . لكننا علينا أن نسعى – دون تباطؤ – إلى تضييق الفجوة الانمائية . أى فجوة القدرة الانتاجية . ومن ثم نسعى إلى تلك الاجراءات الاقتصادية والمالية التى من شأنها تضييق الفجوة الدخلية بالتالى . هذا على الصعيد القطرى . أما على الصعيد القومي فنحن مضطرون – وبحاجة ماسة – للمزيد من التدفقات المالية الاستثمارية أو التثميرية من أقطار السعة المالية إلى أقطار الشحة المالية . وهذا وجه من لوجه التدفق . وهناك وجه آخر هو تدفق القوة العاملة من البلدان ذات السعة البشرية والشحة المالية ، إلى البلدان التى لم تتح لها تجربتها التاريخية بعد أن تنمى جميع مواردها البشرية .

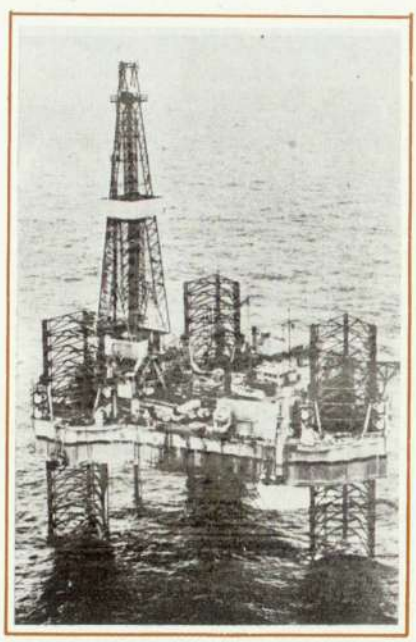
وأيضا سأعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

المواصفات الصحيحة

الشرط الخامس : لكى تتوفر مواصفات صالحة للتنمية ، نحن بحاجة لأن ترتفع قدرة المجتمع على توفير الأفكار والمؤسسات والأطر التنظيمية والفنية اللازمة للتنمية . إن مجتمعا يعتمد فى توفير هذه الشروط على المجتمعات الخارجية ، فيستورد الأفكار والمؤسسات والأطر ، هو مجتمع لا يزال بعيدا عن التنمية . وبالتالى نحن بحاجة إلى توفير هذه المؤسسات والأفكار والأطر والحوافز .

الشرط السادس : وأساسه المشاركة . لابد من توسيع قاعدة المشاركة فى اتخاذ القرار . بالأحرى وضع التصورات ثم صياغة القرار . القرار الاقتصادى والسياسى على السواء . لأنه إذا لم يتح المجال لمشاركة واسعة النطاق ، لما أمكن بلورة التصورات الانمائية بلورة سليمة تستجيب لحاجات ومطالب الجماهير . ومن ثم لن يتوفر الالتزام بالأعباء والجهود التى تتطلبها عملية التنمية .

يبقى الشرط الرابع والأخير ، ومؤداه أنه لا يمكن أن تكون هناك تنمية حقيقية مع وجود وبقاء حالة خطيرة من التبعية للعالم الصناعى المتقدم ، غربية أو شرقية . هذه التبعية تتخذ أشكالا متعددة . فهى تبعية تكنولوجية . وتبعية استيراد وتصدير تجارية ، وتبعية أدائية ، وتبعية فكرية . نحن فى الواقع لا نستورد فقط أنماطا من السلوك ، وأنماطا من الاستهلاك . الخطير حقا أننا أصبحنا نستورد أنماط التفكير وفى حين أردنا أن نخطو بالمعاصرة والتحديث



خطوات الى الأمام ، فاننا رمينا بالعناصر الجيدة والخيرة من تراثنا ومن أصالتنا .. من النافذة !!

مفهوم .. ومفهوم

أنتقل الآن الى الأمن :

ومن الضرورى أن أبين أن هناك عناصر متعددة مشتركة بين مفهوم الأمن ومفهوم الانماء وسوف نكشف عن هذا من خلال عرض لعدد من الشروط الأساسية فى مفهوم الأمن القومى .

الشرط الأول لتوفير الأمن القومى هو توفير التدريب والتعليم اللائقين والخلاقين والمبدعين للموارد والقوى البشرية . فان الأمن لا يتحقق مهما كثر عدد الطائرات والدبابات والمدافع ، طالما أن المعطيات البشرية متخلفة . وكذلك لا يمكن أن نشترى الأمن أو نستأجره . وليس ممكنا أيضا أن نعتمد على الخبراء الأجانب بالوفهم العديدة لكى يحققوا لنا الأمن ، فقد نستيقظ يوما ما لنكتشف أنهم كانوا هم مهددى الأمن بالذات .

من الضرورى بعد هذا تامين القدرة على التصنيع الأساسى الهندسى . ينبغى أن نبدأ بالصناعات الهندسية ، لأنها العمود الفقرى للتصنيع بشكل عام . وبالتالى ينبغى أن تنمى الصناعات العسكرية لكى يتوفر لنا مقدار ما من الاستقلال .

وعلينا أن نحقق الأمن الغذائى أيضا . فليس معقولا أن يعتمد الوطن العربى بأسره اعتمادا شبه كلى فى حاجته الأساسية للقمح على مصادر اجنبية ، لا تبيع القمح إلا مربوطا بشروط سياسية .

إن الأمن القومى الذى نستهدفه ، ينبغى أن يقوم على قاعدة كبرى ، هى مقدار مقبول من القدرة التكنلوجية الذاتية . يكتسبها عن طريق الدموع والعرق والإلاد ، وليس عن طريق الاستيراد . قدرات تكنلوجية تنسجم مع

الإنماء.. والأمن.. والنفط
في الوطن العربي



ينبغى ألا نضعه فى مصاف الانماء والأمن كغاية نهائية .

ولنتوسع قليلا فى الحديث عن النفط، لكى يسهل فيما بعد ربط النفط بموضوع الانماء والأمن ... لقد بدأ النفط يظهر ويصبح قطاعاً هاماً منذ نصف قرن . والتجربة العربية لحركة قطاع النفط مرت بثلاث مراحل : مرحلة الثلاثينات والأربعينات . ومرحلة الخمسينات والستينات . ثم مرحلة السبعينات .

ونحن إذا جئنا نتفحص مدى النجاح فى اندماج قطاع النفط فى الاقتصادات العربية بالاقتصاد القومى ككل ، احتجنا الى استخدام ثلاثة معايير :

- المعيار الأول : قدرة هذا القطاع على توليد دخول أو إيرادات ذات شأن فى الاقتصاد القومى
- المعيار الثاني : قدرة هذا القطاع على أن يلعب دوراً محركاً فى الانماء .
- المعيار الثالث : قدرة السلطة السياسية على اتخاذ القرار الحاسم بالنسبة لقطاع النفط . أى : أين هو موقع اتخاذ القرار ؟

.. فى قطاع النفط ، وباستعراض سريع نجد أن الثلاثينات والأربعينات لم توفر أياً من هذه المعايير . فلا كان هناك مردود مالى ذو شأن . ولا أسهم النفط مساهمة تذكر فى عملية التنمية . ولا كان القرار بيد السلطة الوطنية ، وإنما كان القرار بيد الشركات ذات الامتياز . والانماء كان إنماء فى العالم الصناعى الذى كان يستورد النفط بأثمان بخسة . وكانت الأموال تتجه الى نفس العالم الصناعى فلما جاءت الخمسينات والستينات باتفاقية المناصفة – مناصفة الأرباح – بدأ المردود المالى يتحسن ، وبدأ شىء من الاستخدام المتزايد للعائدات النفطية فى صنع النمو ، ولا أقول التنمية . ولكن ظل موقع القرار فى شركات الامتياز ،

غير أن الستينات شهدت بوادر صراع ، أخذ يتزايد حتى نهاية الحقبة ، من أجل أن يتحول موقع القدرة على اتخاذ القرار من شركات الامتياز إلى البلدان العربية ذاتها .

ثم جاءت السبعينات فحدث خلالها تبدل أساسى بالنسبة للمعايير الثلاثة ، إذ تزايدت الأحجام المالية تزايداً ضخماً ، واستخدمت مقادير كبيرة من هذه الأموال من أجل التنمية ، «وإن أبدت الكثير من التحفظات على طبيعة وأنماط هذه التنمية كما بينت» . ثم انتقل القرار إلى السلطة الوطنية بالنسبة للتسعير ، وبالنسبة لحجم الانتاج ، وبالنسبة لجهات التصدير « إلى من نصدر وعمن نحجب النفط ؟»

معطياته من حيث المواد والمرافق ، من حيث الحضارة والأصالة . ومن حيث القيم . أى أن نتوصل الى إيجاد مزيج سليم من الحداثة التكنلوجية والأصالة العربية . وهذه مهمة صعبة ومعقدة ينبغى أن تلتقى حولها أفكار المثقفين ، والمفكرين ، والصناعيين ، والمزارعين ، وصانعى القرار السياسى فى وقت واحد .

هناك أيضاً القدرة على الانتقاء عند قبول القيم والمفاهيم وأنماط السلوك ، وأنماط الاستهلاك ، فلست أستطيع التصور أن القومية بالمعنى الصحيح والسليم فى حالة استيراد لا تميز فيه ولا قدرة على الانتقاء لجملة من المفاهيم .

و .. شرط آخر كمدخل للأمن ، هو القدرة الردعية .

ينبغى أن نحقق قوة ردعية ، هى نتيجة تمازج من التحرك السياسى والدبلوماسى ، والقدرة الاقتصادية ، والاعلامية ، والعسكرية . فاذا لم تتح لنا القدرة على أخذ المبادرات الأمنية ، فليكن لدينا على الأقل رادع ما نستخدمه . وهنا يأتى دور النفط كرادع لما سوف أشير اليه لاحقاً .

النقطة الأخيرة التى أود التعرض لها ، هى أن من أهم ركائز الأمن القومى وجود استقرار . والمقصود هنا الاستقرار الناتج عما يسمى بالتوافق ، مما يؤدى الى الانسجام الاجتماعى ، أو التماسك الاجتماعى . هذا عنصر هام من عناصر الأمن القومى ، والطريق الى تحقيقه هما – كما قلت من قبل – الحرية والمشاركة .

النفط وثلاثة معايير

والآن ، يأتى الحديث عن النفط .

فى البداية ينبغى أن أشير إلى أن النفط ليس على المستوى ذاته كالانماء والأمن . أى أنه ليس من نفس الفئة كما يقول المناطقة . الأمن والانماء غايتان مجتمعيتان . بالطبع هناك غايات أخرى غاية فى الأهمية . لكن الانماء والأمن غايتان أساسيتان .

أما النفط فهو أداة . إنه وسيلة . وبالتالى خاصة فى حرب أكتوبر المجيدة .

غير أن هذا التحول الكبير بالنسبة للمعايير الثلاثة هو تحول ناقص إلى حد كبير . فاذا أمعنا النظر ، وجدنا أن هذا الاندماج ، أو ما يبدو أنه اندماج ، لا يزال يشكو من ثغرات خطيرة وواسعة . خاصة بالنسبة لقيام صناعات كثيرة فى التكرير ، وصناعة البتروكيماويات ، وفى النقل . وسوف أعرض الآن لبعض هذه الثغرات .

إن الأسعار المرتفعة التى أدت إلى مداخيل مرتفعة خلقت شيئاً كبيراً من الانبهار بالعائدات المالية ، وكأنما أصبح العائد المالى غاية فى ذاته والنتيجة أننا وجدنا أنفسنا ننتج أكبر من حاجاتنا القطرية والقومية ، بل وما نعتقد أننا نحتاجه من أجل مسئولياتنا الدولية معاً . وهذا يؤدى إلى فوائض مالية .. فماذا يحدث لهذه الفوائض ؟ إنها تتجه صوب الأسواق المالية الغربية حيث تتآكل قيمتها نتيجة التضخم ، ونتيجة تأرجح قيمة الدولار . وتتآكل قيمتها أيضاً نتيجة السياسة السعرية التمييزية التى تمارسها الدول الصناعية عندما تبيع سلعاً وخدمات للبلدان النفطية العربية . وهذا شىء ثابت . إننى أذكر ثلاثة بيانات من حكومة المملكة العربية السعودية تشكو فيها من هذه الممارسات

وفى أحد البيانات مثل محدد ومؤداه كيف أن شركة أدوية كبرى باعت للمملكة أدوية بأسعار تكاد تبلغ أربعة أضعاف ثمن الأدوية ذاتها المباعة للأردن . والسبب لهذا التمييز السعرى هو أن السعودية «قادرة» على الدفع ، بينما الأردن «ليس قادراً» على الدفع !

إننى بكل بساطة أقول :

الانبهار المادى من جهة . ومن جهة أخرى وجود تصور – واسمحوا لى أن أقول – خاطىء لمسئوليتنا الدولية ، يجعلنا نستمر ، ليس فقط ، بانتاج مقادير ضخمة من النفط ، وإنما مقادير أحياناً متزايدة فى بعض البلدان ، بالرغم من أن هذا يؤدى إلى توليد فوائض مالية لا نستفيد منها نحن ، بل تستفيد منها البلدان التى تتجه الأموال إليها . وبالتالى فاننا نعمل بذلك على نفاذ هذا المورد النادر الاستراتيجى قبل أوانه .

ولابد لى أن أبين أن المسئولية الدولية هى خط سير فى اتجاهين ، حيث لا ينبغى أن أشعر بمسئوليتى تجاه الولايات المتحدة الأمريكية ، أو بريطانيا ، أو رومانيا ، دون أن تشعر واحدة منها بمسئوليتها تجاهنا ، إزاء ثلاثة نواح :

- الأولى : تمكيننا من التكنلوجيا الملائمة .
- الثانية : مساندة قضيتنا العادلة المقدسة .. قضية فلسطين .
- الثالثة : التوافق معنا على إقامة نظام اقتصادى عالمى جديد ، يكون أكثر عدالة ، وأقل هدرا للموارد .

الأموال العربية

ثم ..هناك مشكلة أخرى هى : مشكلة الأموال العربية !

إن هذه الأموال أصبحت جهاز ضغط يمكن أن يستخدم ضدنا . وفوق هذا فالغرب لوح باستخدام آلية الضغط المتصلة بتصدير المواد الغذائية أكثر من مرة . وكذلك فهو يستخدم آلية ضغط أخرى هى التصدير التكنلوجى ، التى يتقيها هو بما يتفق مع مصالحه ، وتصدير السلاح .

نحن إذن أمام حالة مخيفة !

ففى حين كان بامكاننا عام ١٩٧٣ أن نستخدم النفط جهاز ضغط فعال فى خدمة القضية الفلسطينية ، فانه ليس بمقدورنا الآن أن نستخدمه مرة ثانية إلا إذا رضينا أن نتعرض لضغط معاكس ، فى حقول تصدير التكنلوجيا .. تصدير الغذاء .. تصدير السلاح .. وتجميد الأموال !

وبالطبع يمكن الرد على هذا الخوف بان نتخذ احتياطات مسبقة كتخزين الغذاء ، وتنويع مصادر الأسلحة ، وتوزيع مصادر الغذاء نفسه كالأموال .. وضع أموال متزايدة فى العالم الثالث وفى العالم الاسلامي ، وفى الوطن العربى . وهذا كله يتطلب إرادة سياسية متجهة لهذا الاتجاه .

إذن : النفط بالنسبة لعلاقته بالانماء والأمن ليس أداة إيجابية مائة بالمائة .. إن له سلبيات خطيرة جداً . بل إنها سلبيات مصيرية . وقد يؤدى تحرك هذه السلبيات إلى إبقائنا منكشفين امنيا ، وإلى إبقاء أمننا متعسراً كما بينت فيما سبق .

بعض السلبيات

سوف أتحدث عن بعض هذه المظاهر السلبية الاقتصادية .

ولنأخذ : النفط وانماط الاستهلاك .

بفضل الموارد النفطية المالية ، ليس فقط فى البلدان النفطية ، وإنما فى البلدان العربية الأخرى بسبب التدفقات المالية . وبسبب عدوى انماط الاستهلاك ، كان الناتج المحلى الاجمالى العربى ـ وذلك من واقع التقديرات الرقمية لعام ١٩٧٩ ـ ثلاثمائة الف مليون دولار . أى ثلاثمائة مليار دولار . وكان حجم الاستهلاك ١٦٠ مليارا . يعنى ٥٢٪ . قسم كبير منه طبعاً فى البلدان النفطية .

هذا فى حد ذاته لا يوضح الخطورة .

وجه الخطورة هو أن العائدات النفطية ، أو بالأحرى القيمة السوقية للانتاج ذلك العام ، وكان حوالى ٢٣ مليون برميل نفط فى اليوم ، بمعدل وسطى للسنة بأكملها ١٩ دولارا . كانت القيمة السوقية للانتاج النفطى ١٦٠ مليار دولار ايضاً . فكأننا أنفقنا القيمة السوقية الكاملة لانتاجنا النفطى . طبعاً هذا لم يتم . بعبارة أخرى : هناك استهلاك المغرب والأردن وبلدان أخرى غير نفطية ، ولا يوجد أى بلد نفطى استهلك كل مردوده المالى من النفط .

ولكن إذا التقطنا صورة تجميعية للوطن

● لا يمكن أن نشتري الأمن أو نستورده

العربى ككل ، وجدنا أن حجم الانفاق الاستهلاكى غير الاستثمارى ، كان يعادل القيمة السوقية للانتاج النفطى بأكمله .

هناك مؤشر آخر .

فى مطلع السبعينات كان الاستيراد + التصدير يشكل ٦٠٪ من الناتج المحلى الاجمالى فيما أذكر .

لكنه فى عام ١٩٧٩ ـ وهذا عن ثقة ـ بلغت المصدرات + المستوردات ٩٢٪ من جملة الناتج المحلى الاجمالى .

هذا الاعتماد الخطير والثقيل على القطاع الخارجى شىء ينبغى أن نتوقف عنده . إن هذا الحجم الكبير ٩٢٪ بالنسبة للمستوردات يعنى اننا نحول نسبة كبيرة جداً من القدرة الشرائية من اقتصاداتنا الوطنية ، إلى الاقتصادات الصناعية فى الخارج . إذن فان القطاع النفطى يندمج بشكل متزايد بالاقتصادات الأجنبية ، لأننا نغذيها بقدرتنا الشرائية .

هذا فى جانب المستوردات .

أما فى جانب المصدرات فالوضع أشد خطورة

إن المصدرات العربية إذا أخذناها كلها ، وجدنا أن النفط يشكل ٩٠٪ منها فى الوطن العربى ككل . ولكن لو أخذنا البلدان النفطية وحدها وجدنا أن النفط يشكل ٩٩٪ من صادراتها



بل بما هو أخطر ، أن بلداننا كانت مزدهرة قبل الثورة النفطية ، هبط تصديرها لبعض السلع الزراعية الصناعية هبوطا بالأرقام المطلقة .

وإذا أخذنا النفط على حدة ـ وهذه فقط رياضة رقمية ـ إذا خلعناه من حساب الناتج المحلى الاجمالى ، وجدنا أن مستوردانا تزيد بكثير جداً عن صادراتنا ، بحيث لا نستطيع أن نمول صادراتنا !

هذه بعض المؤشرات على خطورة الوضع الذى انبهرنا به بسبب المردود المالى الكبير الذى أدت إليه الصادرات النفطية .

نقاط ضعف أساسية

● يبقى أن أبين أن هذا كله ناجم عن ثلاث نقاط ضعف أساسية :

● الأولى : غياب التصور المتكامل للوضع الاقتصادى والمجتمعى فى الوطن العربى الذى ينبغي فى ضوئه أن توضع السياسات الاقتصادية .

● ثانيا : غياب السياسات الشمولية الاقتصادية التى تتحكم فى تصرفاتنا بالنسبة لقطاع النفط ، وبالنسبة للتنمية وغيرها من الأمور .

● ثالثا : حتى عندما يوجد تصور واضح لهذه القضايا . وحتى عندما توجد سياسات اقتصادية تعنى بهذه القضايا .. فليست هناك إرادة العمل من أجل الحرص على المستقبل العربى الاقتصادى والاجتماعى والامنى .

هذا الوجه للخطورة يصبح أشد ، إذا ذكرنا أن تصوراتنا ، وسياساتنا وإرادتنا تظل مجزأة ومشتتة ، لأنها تصورات وسياسات ، وإرادة قطرية وليست قومية ، وبالتالى فنحن لا نزال عاجزين عن أن ننهض بمستلزمات التصدى الفعال .

●●

وبعـــد ..

فان الحالة خطيرة . والاهمال معناه تعريض المصير العربى بأكمله للخطر ! لكن يبقى أن بالامكان رفع مستوى القدرة العربية إنمائياً وامنياً ، إذا توفرت الارادة ضمن تصور قومى واضح ومتكامل لما نريد ، تكون التصورات القطرية منسجمة معه . وهذا شرط أساسي . وإذا اتبعنا هذه التصورات بأهداف نحددها بدقة . واتبعنا ذلك برسم استراتيجية تحرك الارادة العربية . ثم اتبعنا ذلك أيضاً بسياسات رشيدة وحكيمة ، وبخطط عمل رشيدة وحكيمة .. وانطلقنا .

وعندئذ نستطيع أن نرسي ركائز المجتمع العربى المنشود . مجتمع يحقق التنمية .. والحرية .. والوحدة .. والعدالة ..

د. يوسف صايغ

زاوية الرأي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

.. والعلم ممنوع على العرب !

منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ م والعرب تلح عليهم الأحداث والصدمات لمعرفة المعنى الحقيقي لاسرائيل ، وصانعي اسرائيل ولكن يبدو أنه يتوجب على العرب قبل كل شيء معرفة المعنى الحقيقى لانفسهم . من هم ؟ وماذا يريدون ؟ وإن الذى لا يعرف نفسه على حقيقتها ،لـن يعرف عدوه على حقيقته !!

كتب تيودور هيرتسل مفلسف الفكرة الصهيونية فى أواخر القرن التاسع عشر (علينا أن نكون جزءاً من سور للدفاع عن أوربا فى آسيا ، ومركزاً أمامياً للحضارة ضد البربرية) .

وفى هذا الربع الأخير من القرن العشرين ، أرسل مناحيم بيغن طائراته الأمريكية الصنع لضرب المنشآت العلمية العربية فى العراق تأكيداً لاستمرار دور «المركز الامامى اليهودى للحضارة الغربية والأمريكية فى آسيا» ضد ما اسماه جده تيودور هيرتسل بالبربرية .

وبالطبع فان العالم المتحضر لن يجرؤ على سؤال اسرائيل من هو البربرى ؟ أهو الذى يبنى العلم أم الذى يقصفه بالطائرات ؟!

فالحضارة يريدونها حكراً فى هذه المنطقة على اليهود ، والبربرية كما قدرها هيرتسل ، يجب أن تظل قدر العرب . وإذا ما قرر بعض العرب معاندة هذا القرار والعمل على اكتساب العلم الحقيقى والحضارة الحقيقية فالجواب هو ضربهم بالطائرات الأمريكية اليهودية (المتحضرة) وارجاعهم الى البربرية بالقوة .

هل تحتمل الغارة الاسرائيلية على منشآت العراق النووية أقل من هذا التفسير ؟ وهو أن العلم والحضارة ممنوعان على العرب بقرار صهيونى وبأدوات أمريكية . ذلك واضح كالشمس حتى لأبعد المراقبين الأجانب .

ولكن ماذا نقول لبعض اتجاهات التفكير السياسى العربى التى تحاول بحسن نية تحويل الأفعى الاسرائيلية الى خيط من حرير ، وتحويل النمر الى قط أليف ، فتجعل من نفسها فى النهاية كالنائم فى جحر الأفعى ، وكراكب النمر لا يدرى متى ينقلب عليه !

المشكلة اذن ليست فى ايجاد دولة لليهود فى فلسطين ، ولا فى اعتراف العرب بالكيان الاسرائيلى ضمن حدود آمنة وعلاقات طبيعية على فداحة ذلك ؛ فلو أن المشكلة كانت كذلك لنهجت اسرائيل طريق الحل والتهدئة بين عرب أقدموا على



بلفور



بيجين



هرتزل

الاعتراف بها واقامة العلاقات معها ، وعرب آخرين ينتظرون فقط صيغة أفضل للحل لينهوا المشكلة .

ولكن اسرائيل تابى إلا أن تصرخ فى وجه كل العرب بلا استثناء ، بانها ليست تلك الدولة ذات الحدود الآمنة التى يتصورون ، لأن حدودها الآمنة تقع فى قلب بيروت وفى قمة جبل لبنان وفى عمق المشرق العربى كله وصولا الى صرح المنشآت العلمية العربية فى أقصى المشرق بالعراق ، مروراً غداً بابار النفط وأرضه ، رجوعاً بعد غد الى اجهاض أى تقدم يتحقق فى وادى النيل ، لأن اسرائيل ـ كما يؤكد بيجن ـ هى التى تقرر مصادر الخطر عليها بغض النظر عن أية أعراف أو اتفاقات دولية .

إذن فهذه اسرائيل الحقيقية ، كما حددها هيرتسل فى الأصل ، وكما يجسدها بيجن اليوم وغداً وبعد غد ، بلا وهم ولا تزويق : هى تدمير للتعايش العربى الحضارى فى لبنان وغير لبنان ، وهى محاولة لايقاف مسيرة العلم فى العراق ، وهى تسميم للعلاقة العضوية بين العربى وأخيه ، هى كل ذلك قبل أن تكون اخراجاً للفلسطينى من وطنه .

والكبار الذين خلقوا اسرائيل لم يخفوا أغراضهم أيضاً ، ولم يقولوا انها دولة مسالمة لليهود المسالمين ، بل قال بلسانهم (كامبل بانرمان) رئيس الحكومة البريطانية عام ١٩٠٢ وقبل صدور وعد بلفور بسنوات ما يلى بالنص الحرفى : «إن هناك قوماً يسيطرون على أرض واسعة تزخر بالخيرات وتسيطر على ملتقى طرق العالم وتجمع هؤلاء القوم ديانة واحدة ولغة وتاريخ وآمال واحدة . وليس هناك حاجز طبيعى يعزل القوم عن الاتصال ببعضهم ، ولو حدث واتحدت هذه الأمة فى دولة واحدة فى يوم من الأيام لتحكمت فى مصير العالم ، ولعزلت أوربا عنه . ولذلك يجب زرع جسم غريب فى قلب هذه الأمة ، يكون عازلا من التقاء جناحيها ، ويشتت قواها فى حروب مستمرة ، ورأس جسر ينفذ اليه الغرب لتحقيق مطامعه» .

هذا ما قاله رئيس وزراء بريطانى عام ١٩٠٢ .

وبالأمس بريطانيا : واليوم أمريكا ، ولا جديد فى جعبة الغرب غير تجاهل العرب والدعم غير المحدود لعدوان اسرائيل حيثما وصل .

ومنذ حزيران عام ١٩٦٧ والعرب تلح عليهم الأحداث بل الصدمات لمعرفة المعنى الحقيقى لاسرائيل ، والمعنى الحقيقى لصانعى اسرائيل ، بلا أوهام أو تبسيط أو تقليل ، ولكن يبدو أنه يتوجب عليهم معرفة المعنى الحقيقى لأنفسهم قبل كل شىء ، وتقرير من هم ، وماذا يريدون ، لأن الذى لا يعرف نفسه على حقيقتها لن يعرف عدوه على حقيقته .

والمعرفة المطلوبة ليست بياناً يعلن ، بل هى ارادة تفعل وترد وتتحرك . وربما كان أخطر من اسرائيل على العرب بطء استجابتهم لخطر اسرائيل .

إن بعض استجابة الأمم ضد التحديات هى أخطر من التحديات ذاتها لأن من التحديات ما يوقظ الهمم ويدفع للعمل .

والمطلوب من العرب معالجة ضعف استجابتهم للخطر وتحديد علة ذلك الضعف ، أما الخطر ذاته فهو واضح ويعلن عن نفسه كل يوم بأشد الأسلحة تقدماً وفتكاً ، وبما يتعدى الضفة الغربية وغزة بكثير فى الامتداد وفى العمق !

جناح شجن يحاول أن يرتفع



بقلم : عبد الله جفري

الكاتب السعودى الكبير عبد الله جفرى يلتقى مع قراء الدوحة شهرياً ابتداء من هذا العدد ... والدوحة يسعدها أن تلتقى مع قرائها بالكاتب الكبير وبما عرفناه عنه دائماً من صدق وشفافية وأمانة فى التعبير والتفكير .

ـ «ترى .. أمازلنا نستطيع أن نطير يا صديقى ، أم وحدها الأيام تطير» ؟!

أستأذن صاحب العبارة التى قرأتها من سنوات ، فنسيت من قائلها .. وأستعيرها اليوم ، وأجول بها فى ساحات العمر .. جناح شجن يحاول أن يرتفع فلا يقدر ، وتحاول الجاذبية أن تهوى به الى السقوط فلا تقدر .. فكأن شجن الانسان فى لحظات التذكر منديل حائر .. لا يدرى هل يلوح بالوداع .. أم يلوح باللقاء ؟!

التساؤل يتردد : نستطيع أن نطير نحن .. أم الأيام وحدها تطير ؟!

فى الزمن القديم .. كما نبسط الأوراق لنكتب ، فتتحول الحروف الى شموع تذوب وهى تحاول أن تضيء . ويتحول القلم الى صاروخ ينطلق ليزور الصدور فيثير كوامنها ، ويتوقف عند العقول فيستفز تحفزاتها . فاذا الكلمة «دنيا» من الضوء والحياة !!

كان ذلك .. حينما لم تكن الأجوبة أسئلة جديدة حائرة ..

كنا نستطيع أن نطير نحن ، وتبقى الأيام تتجدد ولكنها لا تطير .. تتبلور معانى جديدة .. غنية الحس .. عميقة العطاء .

كنا نطير فى آفاق المعرفة ، ونسافر أبداً الى المعانى الولود !!

كنا نشعر حينذاك أن الكلام حديث ، وأن الحديث تنفيذ الوجود !

كنا نحس كما قال ذلك الكاتب الفنان : «ان ما فى القلب يهجم على الكلمات فتصير كل كلمة جزيرة من شجر الآه ، وتتجمع الجزائر فى خصر واحد يعتصره الحب بجنون لهفته ، وتصبح اللغات كلها هدية فقيرة الى الحبيبة» !!

ذلك كان .. يوم كنا نطير نحن ، والأيام لا تطير وإنما تتجدد .. تتلون .. تفيض بحضارة العشق ، وبمدنية المعانى !!

فلما جاء إعصار الاحتلال لمساحات واسعة من أرضنا .. تكدرت الكلمة ، فنزفت قهر الأرض ، وعذاب الذين سرقت منهم الأرض !!

كانت سنوات يدكها النسيان لتمتلىء به !!

فهل نسينا أرضنا ، وحقولنا ، وعشقنا ؟!

إنزرع «شجر الآه» فى صدورنا .. غابات حزن كثيفة .

إمتلأت حدقاتنا بالانتظار لقنديل يضيء العتمة .

فما أوحش الليالى الوحيدة !!

سنوات طويلة بليدة .. تحولنا فيها الى ليالى وحيدة !

الموال مشروخ ..

والكلمة يتيمة .. عارية ..

والنغم حزين .. يخرج من حنجرة مذبوحة !!

أصبحت الأيام تطير ، ونحن مقعدين

فى زوايا الحزن والضجر !!

الزمن يركض .. والعالم يركض ، وهو يصنع المدنية ، ويبتكر المعرفة الجديدة !!

وحينما كان الشباب فى أوربا يرقص «التويست» .. كان جندى الصهاينة يطوح بأصحاب الأرض فوق فلسطين ويدلى أعناقهم !!

وحينما كان «أرمسترونج» يصعد الى سطح القمر .. كان الاستعمار يدفن جثث ضحايا فى أرضهم ، ويغمرها فى البحر !!

وحينما كانت «اليزابيث تايلور» تمثل أفلام الاغراء ، وتتحدث عن الحرية والمدنية فى أفلامها .. كانت تدفع المعونات لليهود ليستوطنوا أرض العرب المسروقة ، ويشردوا أهلها !!

وامتلأت أوراقنا بدمائنا ..

الكلمة التى كنا نكتبها .. نطرحها مذبوحة .. لها معالم من الدم !

وكان ذلك الألم هو وقود ننصهر فى حرارته لنفيق من جديد !

وكانت السماء التى نتوق أن نطير اليها وفى طياتها .. تشهد على جريمة يرتكبها الانسان ضد الانسان !!

كنا نفتش عن منديل نلوح به .. أما أن يعطى معنى الوداع ، فتأفل هذه الأمة ولا تقوم لها قائمة . وإما أن يعطى المنديل بشائر اللقاء .. فتعود هذه الأمة بميلاد جديد يتلفت العالم اليه !

وحينما كان السلاح غائباً .. كانت الكلمة خائرة .. مستضعفة ، وكان الانسان العربى موال ذكرى ، وأغنية فراق !!

كانت سنوات يدكها النسيان .. تمتلىء به !!

أما مشكلة الانسان فكانت تتمثل فى اهانة العشق !!

أهان عشقه للحرية .. ففشل أن يكره أعداءه !!

أهان عشقه للمعانى ، فسقط فى ماديات الحضارة .. حتى علت أمواج الرغائب فأغرقته !

أهان عشقه لدلائل القلب .. فأصبح يتعامل بالغريزة الذاتية المادية !!

غاب اليقين .. فبهتت معالم الحقيقة !!

غاب الايمان .. فازدهرت أنانية النفس ، وانتعش إلحاد العقل !!

كانت سنوات .. تعطلت فيها المعانى عن إضاءة روح وعقل الانسان !

كان زمن غريب .. يزرع الأشجار ويحرقها !!

وضعفت قدرة المنطق فى كثافة المغالطات !!

وانتهى الزمن القديم .. يوم كنا نبسط الأوراق لنكتب ..

فتتحول الحروف الى شموع ، وافترش النفوس زمن غريب .. عاصرنا فيه «حالة» الكاتب الذى يبسط الأوراق ليكتب .. فتتحول الحروق الى حرائق ، ودماء .

وانبجس من وراء الجراح صوت الشاعر الذى طرده اليهود من أرضه .. ففكر أن يقاوم بالقصيدة ، وبالنشيد .. جنباً الى جنب مع الفدائى الذى يقاوم بدمه وحياته بواسطة السلاح المتوفر له !!

وارتفعت أصوات الجراح ..

صارت الجراح تطير ، والأيام تطير ، والانسان واقف يتفرج ، ويئن ، ويتشرد !!

صارت القصيدة .. هدية الى الحبيبة الفقيرة !!

صارت الأغنية .. شجرة آه ضائعة فى غابة العالم !!

صار الانسان مسفوحاً فى العذاب .. منسياً فى منطق القوة !!

●●

وابتدأ زمن جديد .. فكيف كانت بدايته ؟!

هل البداية .. تنطلق من التأكد بحيازة سلاح ؟!

كان لدينا ـ ذات مرة ـ سلاح ، فتحطم دفعة واحدة .. حينما كان أغلى ما يمكن أن نحافظ عليه مهدراً !

هل البداية .. مسببة بحشد جنودنا وتدريبهم ؟!

كنا ـ ذات مرة ـ قد حشدنا الجنود وأضعناهم فى التيه !!

كانت كل التقارير وحسابات الكومبيوتر تؤكد أن العدو قوى العدة والعتاد ، واننا نواجه معركة مخيفة .. استعداد عدونا ووسائله والعون له من الخارج يفوق استعدادنا ووسائلنا . ورغم ذلك تقدمنا بالخطوة الأولى .. فحققنا دلائل الانتصار !

وتساءل العربى بعد ذلك : كيف انتصرنا ؟!

وأجاب على سؤاله قائلا : بالايمان .. الايمان أساساً . حينما تسلحنا ـ أولا ـ بالايمان تقدمنا .. فكان الايمان هو الخطوة الأولى التى أذهلت العالم ، وأربكت العدو ، وخالفت حسابات الكومبيوتر ، وتفوقت على استعدادات القوة !!

وكان ما حدث .. هو البداية الحقيقية للزمن الجديد !!

كانت مخاض وحدة عميقة التأثير فى النفس والعزيمة والمنطلق . أن نؤمن أولا ثم نعمل بفاعلية ذلك الايمان .

وعندما استعدنا ايماننا .. أصبحت ملامح الزمن الجديد .. تقول : يكفى أن نمسك بالسلاح لنهزم عدونا ، وان نمسك بأيدى بعضنا البعض لتكون كلمتنا سيدة المواقف ، وان نوحد خطوتنا لنصل الى الهدف الذى نرمى اليه !!

وكما قال مبدع حرف : «كان يكفى أن نجلس أمام الورق حتى يمتلىء الورق بالنجوم ، وتصبح الطاولة بساط الريح ، ويكفى أن نمسك القلم حتى يصبح سراجاً يتوهج فوق عمود الليل» !!

●●

ذلك كله .. استرجاع لزمن قديم ، ولزمن غريب ، ولزمن جديد .. جاء ميلاده فى عودة الايمان !!

ذلك كله .. مخاض آلام صهرت الفرد والجموع . حصيلة جراح روت دماؤها أرض الكفاح ، ونتيجة عمل .. ما كان له أن ينطق لولا فاعلية الايمان فيه !!

ومرة ثانية .. أستأذن صاحب تلك العبارة التى قرأتها منذ سنوات ، فنسيت من قائلها .. لأجيب اليوم على تساؤله الضاج والمرهق فى زمن كتابتها .. أستأذنه فأقول :

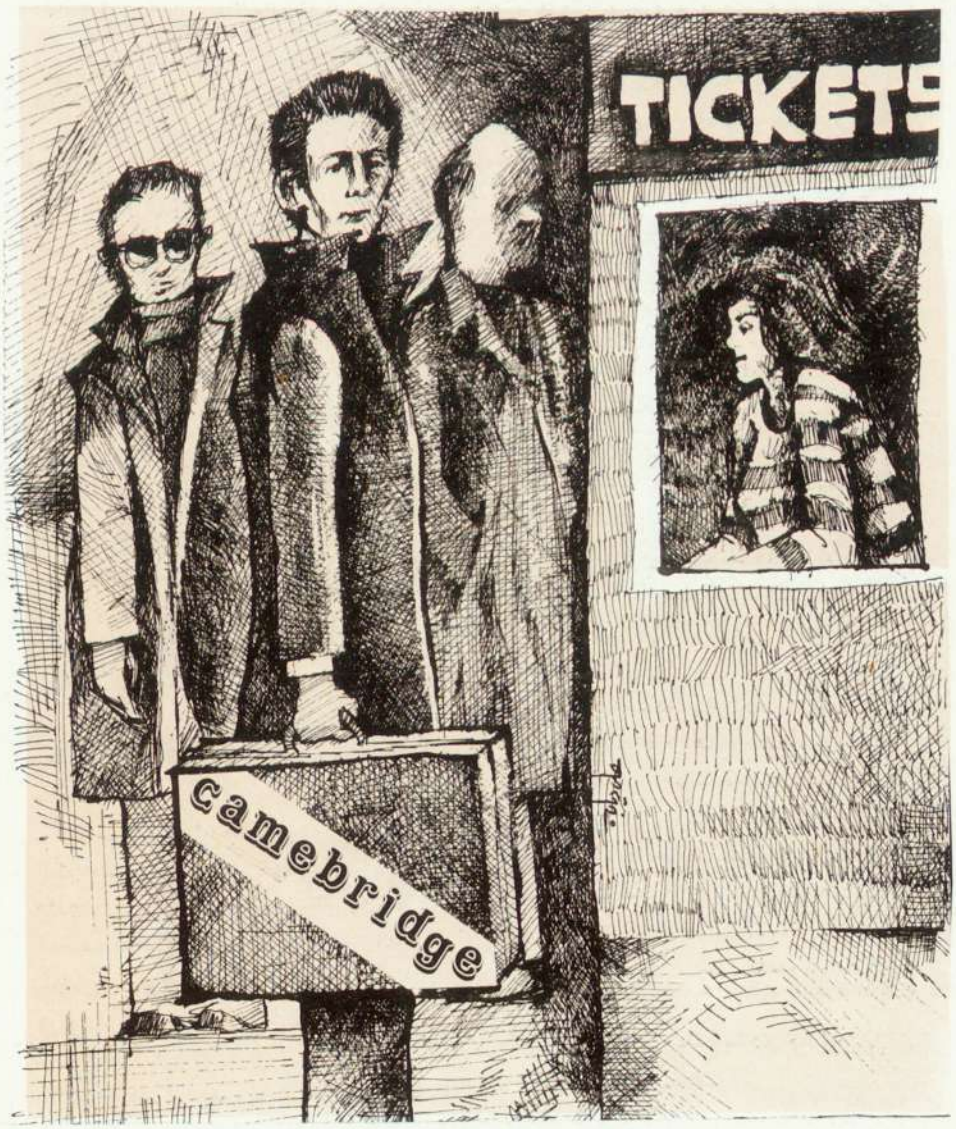
ـ الآن .. نستطيع أن نطير يا صديقى نحو آفاق جديدة ، وحياة جديدة ، وعمل جديد . وتبقى الأيام تتجدد بمزيد من الانتصارات ، وبمزيد من الرؤية الواضحة العظيمة لمستقبل يلد الأجيال القادمة .. القادرة على صناعة أجوبة لكل الأسئلة الحادة !!

الآن .. يصبح الايمان يقينا .. مادام أنه ركائز أقدارنا !!

الآن .. أصبح جناح شجن يحاول أن يرتفع باصرار لا يتعب !!

كامبردج وكيمبردج وأخلاق الشعوب

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي



الحديث فى المقهى ذو شجون . وفى احدى الحلقات انتهى الحديث الى الكلام عن مميزات الشعوب والفوارق الأخلاقية أو السلوكية بينها ، فقال أحد الجلساء :

ـ اذا كنت مسافراً فانك تستطيع أن تعرف من كلمة ، أو تصرف ، أو من حادث واحد ، أبرز مميزات الشعب الذى تحل فى بلاده . خذوا على ذلك مثالا مر بى فى انجلترا . كنت فى لندن وكنت أريد زيارة كمبردج ، فقصدت المحطة وتقدمت الى شباك التذاكر وذكرت للبائعة فيه اسم المدينة الجامعية المشهورة . وأنتم تعرفون أن اللغة الأجنبية التى أتقنها هى الفرنسية ، لذا فقد نطقت الاسم هكذا : كامبردج ، بفتح الكاف . فرفعت بائعة التذاكر رأسها وسألتنى : كيمبردج ؟ لافظة الاسم بكسر الكاف . فلم أفطن أنا الى الفرق بين تلفظى لاسم البلدة وتلفظها لها ، وقلت لها مكرراً : نعم ، كامبردج ، بينما أعادت هى السؤال قائلة : كيمبردج ؟ وهكذا كررت أنا طلبى وكررت هى استفهامها . وكان الناس يقفون ورائى صفاً طويلا ينتظرون دورهم لقطع تذاكرهم . إلا أن السيدة كانت مصرة على أن لا تعطينى البطاقة ما لم أطلبها بلفظ انجليزى صحيح . ولولا أن الرجل الذى ورائى حسم هذه المحاورة العقيمة بقوله : نعم يا سيدتى كمبردج ، ان السيد أجنبى على ما يظهر .. لظللت حتى اليوم واقفاً أمامها أقول

كامبردج ، فتسألنى كيمبردج ؟ .. أليس هذا ينطق ببرودة الانكليز ، وبحرصهم على الأصول ، وبعنادهم فى سبيل الوصول الى ما يريدونه من غاية ؟

● الاضراب عن اللطف

قال جليس آخر ..

ـ هذا يصدق كذلك على الفرنسيين اذا أردت مثالا على أسلوب حياتهم العاطفى المتميز ، وعلى تلطفهم فى الحصول على ما يبغون ، فلن أجد أحسن من هذا الذى رأيته على الحدود الفرنسية البلجيكية فى احدى رحلاتى . كنت أقصد باريس قادماً من بروكسل فى سيارتى . فلما بلغت الحدود الفرنسية أدهشنى أن أجد الطريق مسدوداً أمامى بصف طويل ، طويل جداً ، من السيارات التى لا تكاد تتحرك من مكانها . ولما طال انتظارى واشتد الزحام أمامى ووراءى نزلت كما نزل عشرات الناس ، بل مئاتهم ، أتساءل عن سبب هذا الازدحام غير العادى . وهنا قصوا علينا الحكاية المضحكة التالية : لقد كان لموظفى الجمارك الفرنسيين بعض المطالب المعاشية التى طالما تقدموا بها الى رؤسائهم فلم يجدوا منهم آذناً صاغية . فلما أعيتهم الحيل اعتزموا أن يلجأوا الى أسلوب يفرضون به على المسئولين الاصغاء الى مطالبهم ، وقرروا أن يقوموا باضراب من نوع جديد ، اضراب سموه الاضراب عن اللطف . ذلك أنهم قرروا تطبيق القانون بحذافيره على كل سيارة قادمة الى الأرض الفرنسية من بلجيكا ، بايقاف السائق والتطلع الى هويته وورقة الميكانيك لسيارته ، وتفتيش الحقائب حقيبة حقيبة ، ورفع المقاعد للبحث عما تحتها ، الخ ... وبالطبع فان هذه الاجراءات كانت تستدعى وقتاً طويلا ، اذا ضرب بمئات السيارات والافها من التى تجتاز الحدود فى كل يوم عرفنا أى شلل فى حركة السير نجم عنه . وبالطبع فان خط السير الطويل كان يضم سيارات لوزراء وسفراء وقواد جيوش وموفدين خاصين ، ولأناس مرتبطين بمواعيد عاطفية هى أهم عندهم من المواعيد الدولية . فاهتزت لكل هذا أسلاك التليفون والبرق بين الحدود وباريس تستصرخ المراجع الجمركية العليا . ولكن ما الذى تستطيعه مديرية



الجمارك مع موظفيها ؟ لقد كان اقناعهم بمخالفة القانون مستحيلا . ولم تمض ساعات حتى حصل موظفو الجمارك على مطالبهم وأنهوا ذلك الاضراب العجيب . الاضراب عن اللطف ..

● فى سهول الأندلس

قال ثالث من جلساء الحلقة :

ـ أنا أستطيع أن أؤيد ما تقولونه بقصة من اسبانيا ، حكاية جرت لي فى قطار الكوريوس فى الطريق من سدريد الى غرناطة . وقطار الكوريوس ، أو قطار البريد قطار عجيب ، يمشى على مهله مخترقاً سهول قشتالة والأندلس ، باتجاه واحد ، فلا يلاقيه قطار آخر حتى يتم دورته . يقف فى كل قرية ويكاد ينام على الشريط وقت القيلولة ، مثل كل الاسبان . وكنت راكباً فى احدى عرباته المزدحمة ، ولاحظت أن ثمة عربة فى آخره فارغة فنقلت أمتعتى وكتبى اليها ، واضطجعت على أحد دواوينها لوحدى أقرأ على مهلى . ووقف القطار فى احدى المحطات واحدة من وقفاته المعهودة . وبعد دقائق سمعت حركة القطار وصفيره مبتعدين عنى بينما كانت عربتى ثابتة فى مكانها . لقد سار القطار بعد أن فصلت العربة التى كنت فيها عن القافلة . فقفزت راكضاً حتى تعلقت بالعربة الأخيرة ، وكان فيها أحد موظفى القطار فأشرت اليه بيدى نحو العربة الواقفة وأنا أقول : ليبرو ، سومبريرو .. كتبى وقبعتى ! وكان عجيباً أن يفهم منى ، وأعجب منه ما حدث بعد ذلك . فلقد صفر بصفارته وأشار بعلم أحمر فى يده الى سائق القاطرة فى المقدمة ، فوقف القطار وانحدر الموظف الى العربة الواقفة ثم عاد منها يحمل القبعة والكتب . ولما رآنى مطمئناً مد يده بعلمه وصفر بقوة فاستأنف القطار سيره مخترقاً سهول الاندلس الى غرناطة وصحراء أجدادنا الكرام فيها . أتريدون دليلا أوضح على امتزاج الكرم بالفوضى فى طباع الاسبان ؟ لاحظوا انى لا أنقدهم بهذا ، وانى أحب فوضاهم كما أحب كرمهم ...

● وتصريف الأفعال

وكان فى الحلقة أستاذ للغة لم يكتب له أن يخرج مرة عن محيط بلده . كانت رحلاته لا تتعدى كتبه وأمثاله مقتبسة من دروسه . تنحنح ، قبل أن يعقب على حكايات رفاقه ، ثم قال :

ـ هل تعرفون قصة الانكليزى الذى عبر القنال الى فرنسا فقضى على الشاطىء الفرنسى ساعة ثم عاد الى انجلترا ؟ لقد أمطرت السماء فى تلك الساعة فالتجأ الى حانة تخدم فيها فتاة حمراء الشعر تقدم لزبائنها نبيذ الروم . ولما سأله أهله عن فرنسا كيف وجدها قال : فرنسا ؟ انها بلد لاتنقطع فيه الأمطار ، نساؤها حمر الشعور وهم لا يشربون من المشروبات غير الروم وأنتم كذلك . ان مقاييسكم لمعرفة أخلاق الشعوب خاطئة .

قال واحد من المتحدثين فى ضيق :

ـ وما مقياسك أنت يا أستاذ لهذه الغاية ؟

ـ ان اللغة أوسع المقاييس وأكثرها شمولا . خذ منها مثلا تصريف الأفعال : الفرنسى انسان عاطفى ، فان أول فعل يصرفه هو فعل الحب : جيم ، تو ايم ... أنا أحب ، أنت تحب هو يحب . والانكليزى عنده التملك قبل كل شىء ، وأول ما يصرفه فعل التملك : أى هاف ، يو هاف ، أنا أملك أنت تملك ، الخ . أما العربى ... العربى يبدأ بفعل الضرب : ضرب زيد عمرواً ...

فضحك الجلوس وقال أحدهم : يا أستاذ أنت تستحق أن تضرب على هذه الأمثلة التى تسوقها .

قال الأستاذ : اذا فعلتم هذا دللتم على شيئين : على أنى قلت الحقيقة ، وعلى أنكم أصلاء فى نسبكم !

وضحكوا جميعاً . بينما انصرفوا الى طرف جديد من الحديث .

الغريب OUTSIDER



شعر: محمد الفهد العيسى



أنا انسان يعيش الغربة
بين البشر ...
مع كل الناس ..
هنا ... وهناك
ضلت عيناه ..
هداه بدربه
.....
الغربة أحياها الليل ..
كل نهارى ..
كل نهاراتي ..
نقشت فى أجنحة من سربه
....
لا أعرف كيف أتيت ... !؟
كيف أعيش ؟؟
برغم حياواتي
بين البشر .. إنساناً !!!!
أنا انسان ..
علق انساني فى هدبه

(٢)

أحرف كلماتي تتكسر فوق شفاهي ..
على مشنقة لهاتي تغتال ..
تنكسر ... تخنق !!!!
أنا الانسان الضائع ..
في وجدان البشر ..
الانسان المذبوح ..
على مائدة الغيلان الموبوءه
....
الانسان الوجدان . !! ؟
بنات من عشق ..
وئدت فى « جاهلية » القرن العشرين .

د. حافظ الجمالي

الليبرالية في الفكر



إن الأخذ بكل صور التصنيف ـ عندما يتحدث أبناء الجيل الصاعد عن مذاهب المفكرين ـ يجعلنا ننتهى الى القول : إننا قوم لم نرزق بين مفكرينا لا سلامة الفكر ، ولا حسن النية ، ولا رصانة الثقافة . ومع أن التاريخ كرس من بيننا شعراء مثل أدونيس ، ونزار قبانى ، ومحمود درويش ، فقلما ينعقد الاجماع عليهم ، على الرغم من عشرات الألوف الذين يهرعون ليحضروا أمسية شعرية لواحد منهم !! .

عندما يتحدث أبناء الجيل الصاعد عن مذاهب المفكرين ، الذين سبقوهم بعض الشيء الى الوجود والحياة ، فانهم كثيراً ما يستعملون أداة تصنيف ، ماركسية الأصل ، ليسموا هذا المفكر بأنه اشتراكى ، والآخر بأنه قومى ، شوفينى ، والثالث ، بأنه ليبرالى ، ولو أننى قلما أسمع بأن لهذا المفكر أو ذاك نزعة ستالينية .

وبطبيعة الحال ، فان الأوصاف التى استخدمتها ، ليست كل الأوصاف ، ولا أكثر الأوصاف . إنها جزء «مهذب» من كل ضخم ، قلما تجد فيه إلا الاتهام ، والاشارات السوداء ، ومايقرب من كل شيء إلا من الطهارة والسلامة وحسن النية ، والتوازن العقلى . ولو رحنا نستبعد من قائمة المفكرين كل من يصنف عند أبناء الجيل الصاعد ، فى فئة غير مقبولة ، أو أخرى ، لوجدنا أن من يبقى من مفكرينا قائماً على رجليه ، يتمتع بحق الحياة ، عدد جد ضئيل . ومع ذلك فليس الذى يستبقى حياً فى تصنيف احدى الفئات ، يبقى كذلك فى تصنيف الأخرى ، بل يحيا هناك قوم ، يجب أن يموتوا هنا ، والعكس بالعكس ، مما يجعلنا ننتهى الى القول ، لو أخذنا بكل صور التصنيف : إننا قوم لم نرزق بين مفكرينا لا سلامة الفكر ، ولا حسن النية ، ولا رصانة الثقافة ، ولا هم يحزنون . ومع أنك تجد بين الناس من «كرسهم» التاريخ والتاريخ الثقافى ، على الأقل ، مثل أدونيس ، ونزار قبانى ، ومحمود درويش فانت قلما تجد الاجماع منعقداً عليهم ، على الرغم من أن عشرات الألوف من الناس العاديين والمثقفين معاً ، يهرعون ، باكبر السرعة ، ليحضروا أمسية شعرية لأى من هؤلاء ، أو أمثالهم ، وأذكر على سبيل المثال أن لأدونيس كتاباً هاماً جداً ، حول الثابت والمتحول ، يقدم فيه أطروحات ضخمة ، مثيرة ، ذكية ، مثيرة للاهتمام قطعاً . ومع ذلك فأكاد على تتبعى الدائم لما يكتب هنا وهناك ، لا أعثر على أية دراسة جدية تناولته بالتحليل والنقد ، حتى لكأن الكتاب لم يكتب قط . وكذلك نشر الدكتور قسطنطين زريق كتاباً عن «المستقبلية والمستقبل العربى» بعنوان : نحن والمستقبل ، وهو كتاب هام جداً ، ولا

الليبرالية في الفكر



أحسب أن مثقفاً بين أى نوع ، يمكنه أن يستغنى عنه . ومع ذلك فقلما وجد من يتناوله بالتعليق .. ومنذ مدة قليلة قرأت لأحد المفكرين العرب ، ممن طوتهم الأيام على عجل ، جملة يقول فيها إن العقل العربى برميل بلا قعر ، لا يتراكم فيه شيء ، ولا يبقى فيه شيء . وأظن أنى أجد مناسبات كثيرة لتصديق مثل هذا القول

• • •

لكن هذه مقدمة ، أعود منها الى العنوان الذى أنطلق منه أو الموضوع الذى أحب أن أبسط القول فيه . إنه الليبرالية والفكر . وأقول : إن الدرجة (الموضة) الشائعة لدينا ، هى أن نصم مباشرة بأسوأ النعوت كل من نشم مما يكتب صورة ما من صور الليبرالية ، كما لو أن هذه «عار كبير» متى علق بالانسان، فلا طهارة له منه الى أبد الآبدين . وتأمل قليلا : أيمكن أن يوجد بين المفكرين من يمكن أن يكون ليبرالياً ؟ ولقد قرأت للدكتور عصمت سيف الدولة مجموعة كتب ، أبرزها : نظرية الثورة العربية ، والاشتراكية العربية . ولاح لي أن هذا الرجل ، المخلص والرصين ، بالتأكيد ، يعرض حول الجدلية المادية أفكاراً يجب أن تحملنا على الايمان مباشرة بأنه ليس للجدلية المادية من قيمة علمية ، بل هى مخالفة للعلم . إلا أن من الطريف أن هذا المفكر يعقد فصلا لنقض الليبرالية «نقضاً حاسماً» لينتهى الى القول : بجدل الانسان ، بدلا من الجدلية المادية . وبمقدار ما أفهم ، فانه يصعب علي أن أجد فرقاً واضحاً بين الليبرالية الفكرية، وبين جدل الانسان ، أو بين الديمقراطية السياسية جملة ، وبين هذا الجدل . وأتساءل : ترى ألم يضع الدكتور سيف الدولة اسم جدل الانسان ، كبديل عن الديمقراطية ، خوفاً من «سوء السمعة» التى أحاطت ، تاريخياً ، بكلمة الليبرالية ؟ أتساءل عن هذا وجلا ... وأقول : مادمت أنظر الى هذا الرجل نظرة

● لماذا كانت الليبرالية سيئة السمعة؟

ملأى بالاعجاب والتقدير . فهل يمكن أن أتساءل ، بصدده ، مثل هذا السؤال ؟ أو يجوز بل أو يمكن لأمثاله أن يتنكر وراء كلمات معينة ، أو تعابير جديدة يخترعها ليرفع من قدر أفكاره ، أو ليدفع عنها ما قد يحيط بها من اللبس الذى نسجه التاريخ ؟ ومرة أخرى أقول : ما أقل ما كان لهذا الكتاب ، أو لمجموعة كتب سيف الدولة ، وكتب نديم البيطار ، التى يتكرر طبعها ، باستمرار ، من شأن فى الحياة العامة . فكأن هذه أيضاً لم تكتب قط . وسواء أوجد آلاف من الناس يقرأون هذا الكتاب أو ذاك ، أم لم يوجد من يقرأ البتة فان المهم أن ما يقرأ – ولا سيما الهام جداً – يجب أن يحدث أثراً ما فى بلورة الأفكار ، وتعيين الاتجاهات ، وتحديد معالم الطريق ... فاذا لم يحدث هذا الأثر فكأن الذى قيل لم يقل قط .

• • •

ولكن لماذا كانت الليبرالية «سيئة السمعة» ؟ لا شك أن الليبرالية ترادف الديمقراطية السياسية التى عرفت فى الغرب أيام التوسع الاستعمارى . وبالتالى فقد التصق الاستعمار بالنظام الليبرالى ، وأصبح كل واحد منهما صورة للآخر . ولما كان الاستعمار بغيضاً فقد أصبحت الليبرالية بغيضة أيضاً . ويذكرنى هذا بما كان الغزالى يتحدث عنه فى كتابه المنقذ من الضلال : إن المحجمة التى يوضع فيها العلق المستخدم لامتصاص دم الانسان كدواء لبعض الأمراض ، تثير فى نفوسنا بعض الاشمئزاز ، فلو غسلتها وطهرتها مرات كثيرة ثم ملأتها عسلا صافيا لما استطعت مدافعة القرف القديم الذى ارتبط بتداعي الأفكار ، وهذه تماماً هي حال الليبرالية . وكما ارتبطت المحجمة بمنظر العلق ، فكذلك ارتبطت الليبرالية بالاستعمار ، وأصبح كل من هذين الطرفين يذكر بالآخر ، حكماً . فلابد إذن من الشعور ببعض القرف ، بشكل طبيعى ، ولو أن المنطق الخالص يفصل بينهما فصلا تاماً . فالعسل الذى يوضع فى المحجمة بعد غسلها من آثار العلق ، ليس أقل حلاوة من العسل الذى يوضع فى صحون من الذهب . إلا أن الانسان ليس «عقلا» فقط ، بل هو مجموعة مشاعر أخرى ، لا تمت الى العقل بأدنى صلة . ولابد أن نحسب حساباتنا على أن الانسان ، كحيوان عاقل ، ليس كل الانسان ، بل بعضه فقط ، وأحياناً الحد الأدنى منه ، بالتأكيد .

لكن سبباً آخر ساهم فى اثقال الليبرالية بسوء السمعة ، وهذا السبب هو شيوع النزعات الماركسية وأفكارها . وحقاً فان الليبرالية كانت تعنى دوماً حرية العمل ، وحرية الكسب ، وحرية التجارة والتبادل ... وكانت تعنى هذه كلها بأكثر مما تعنى حرية الرأى ... وكما كان يقول ستالين : من هو الذى يستطيع أن يعبر عن رأيه فى بلاد البورجوازيين ؟ أوليس هذا وقفاً على الأغنياء دون الفقراء ، وعلى من يملك الصحف ، دون من لا يملكها ، وعلى من يستطيع شراء المطابع ، لا على من لا يستطيع شراءها ؟ وإذن ، فلا شك أن الليبرالية تعنى الفروق بين الطبقات ، والقبول المسبق ،

بهذه الفروق ، واعتبارها أشياء طبيعية وأخلاقية معاً . وماذا تريد لمفهوم ، كالليبرالية ، يقترن بالاستعمار من جهة أولى ، ثم بانقسام الناس الى أقلية غنية مستثمرة ، وأكثرية كبيرة فقيرة ، أقول : ماذا تريد لمفهوم أن يكون أكثر من هذا ، حتى يصبح بغيضاً ؟

● ● ●

ومع ذلك فانى أجد الليبرالية الفكرية ضرورة لا مفر منها فى أى نظام اجتماعى معقول ، أو مقبول ، مهما يكن شأن الليبرالية كمفهوم بغيض أو غير بغيض وألاحظ أن الليبرالية لم ترافق الاستعمار دوما . إذ أن الثورة الفرنسية ، البورجوازية ، ربما أقرت حرية العمل والتجارة ، ولكنها لم تقرر حرية الرأى ... وظلت هذه معرضة للاضطهاد ، كالشعوب المستعمرة تماماً ، منذ بدء الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، حتى عام ١٨٧٠ . وطبيعى أن جو الثورة الفرنسية لم يكن يسمح إلا بحرية الرأى لفريق محدود جداً من الناس . وكذلك لا ينتظر أحد أن تكون هذه مقبولة فى عهد نابليون ، ولا عهد لويس الثامن عشر ، أو شارل العاشر ، ويصح هذا حتى فى عهد ملك الفرنسيين لوي فيليب عام ١٨٣٠ ... وأظن أنه من غير المعقول أن يتوقع أحد أن تكون هنالك حرية رأى فى عهد الامبراطور نابليون الثالث . وبالجملة فان أكثر الاستعمار قد تم عندما لم تكن هناك ليبرالية فكرية .

وليس هذا الأمر بصحيح على فرنسا وحدها ، بل هو صحيح على أكثر الدول الغربية المتقدمة ، كألمانيا بسمارك وغليوم الأول والثانى ، أو كملوك هولندا وبلجيكا وايطاليا ... وأنا لا أشك أن كل الاستعمار إنما تم ، عندما تم ، فى عهود الليبرالية الاقتصادية حقاً ، ولكن لا فى عهود الليبرالية الفكرية .

ومن المفارقات الكبرى أن الليبرالية الفكرية التى يفترض حكماً أنها مرافقة أو قرينة لليبرالية الاقتصادية ، دون أن ترافقها فعلا ، هى التى أتاحت ، لدى قيامها واستقرارها ، ظهور الأحزاب والصحف الداعية الى أكبر عدالة اجتماعية . وحتى أولئك الفقراء الذين لم يكونوا قادرين على التعبير عن آرائهم ، صاروا بعد تجمعهم قادرين على ذلك فعلا ، وأصبحت لهم مكاتب ، ودور نشر ، ومجلات تملأ الساحات الفكرية كلها . فكأن الليبرالية الفكرية عندما وقفت على قدميها ، لم تقف إلا لتندد بالاستعمار والظلم ، والفروق بين الطبقات ، واللامساواة بين الناس ، بل لم يعرف هذه الآثام كلها من يحسن التنديد بها ، إلا فى أيام الليبرالية الفكرية .

وأخيراً أصحيح أن النشر كان موقوفاً دوماً على الأغنياء ؟ إن تراثنا وتراث الأمم الأخرى غنى باسماء العباقرة ، من كل لون . وهؤلاء هم الذين عرفت كتبهم وانتشرت ، قبل المطبعة وبعدها ؟ فهل كان هؤلاء جميعاً أغنياء ؟ ولماذا يعتب مثل أبى العلاء المعرى على أنه أعطي الحكمة دون «الورق» أو المال ؟ إن نشر الأفكار وذيوعها منوط بمستوى العبقرية لا بمستوى الثروة أو الجاه .

● ● ●

لكن الليبرالية الفكرية تجد ما يدعمها وراء هذا كله ، وحتى بدون هذا كله . فلو لم تكن هنالك سلطة وشعب ، وحاكم ومحكوم ، لما كان هنالك أية مشكلة حول الليبرالية ، التى اسميها بشكل أفضل باسم «الحرية الفكرية» . ولكن وجود الحاكم أو السلطة هو الذى ينشىء هذه المشكلة بطبيعة الحال . إذ أن كل سلطة فى الدنيا تميل الى أن تستقر فى الحكم ، دون أية معارضة . وبالتالى فانها محمولة بصورة طبيعية على كم الأفواه ، وكبت الحريات ، وإبطال النقد .

لكن المشكلة هى أن السلطة شىء حي . وهى مدعوة دوماً لاتخاذ هذا القرار أو ذاك . وقد تكون هذه القرارات صغيرة الشأن ، كتحديد أسعار البضائع المختلفة . ولكنها قد تكون أهم وأعظم ، كاعلان الحرب . وهنالك ما هو وسط بين التافه والمهم . وعلى الدولة أن تتخذ فيه دوماً قراراً أو آخر .

آه ... كم كنت أتمنى أن توجد سلطة معصومة لا ترى إلا الحق ، ولا تقرر إلا الأمثل والأعدل والأنبل ... وعندئذ نستغنى جميعاً عن حرية أفكارنا تجاهها . لكن المشكلة أنه لا يوجد فى الأرض مثل هذه السلطة ... ثم أن قرارات كهذه تهم الشعب بالدرجة الأولى والأخيرة ، ولا تهم السلطة إلا فى الحد الأدنى ... ولقد أصبحنا نستشير الفتاة فى أمر زواجها ، أفلا يجب أن نستشير الشعب فى أخص قضاياه ... أم مازلنا مع هذا الشعب ، كالآباء القدماء فى عصر الحجاب ، يفرضون على بناتهم الزوج دون استشارتهن ؟ وعهدى أن هذا كان مذمة توضع على حساب الرجعية . ومع ذلك فليت الأمر أو الأمور العامة كانت فقط كالزواج القديم ... فتهون المسألة عندئذ ، ونقول : كل زوج يمكن أن يقوم بوظائف الآخر ، أو بوظائفه الأساسية . ولكن ألا نرى أن الأمور العامة أخطر بكثير من قصة الزوج ، وأنه ما كل زوج هنا يقوم بالوظائف نفسها التى يقوم بها الزوج الآخر ؟

وأخيراً فليست السلطة إلا أفراداً قلائل جداً من مجموع الشعب .. ولن تعانى أو لن يعانوا من قراراتهم أو من جرائها إلا الأقل من القليل ، أو لا شىء أبداً ... أما الذى سيعانى ، وسيدفع الثمن ، وتقع على رأسه المغارم ، ويطالب بكل التضحيات ، فهو الشعب كله ، من أطفاله الى رجاله . أفلا نستشير إذن فى قراراتنا هؤلاء الذين سيعانون بالدرجة الأولى من نتائج هذه القرارات؟

إن السلطة ليست معصومة عن الخطأ ، ولا هى مختارة بالضرورة من أرقى العقول وأعظم الكفاءات . أفلا يكون من حق هذه العقول إذن أن يكون لها رأى ما فى صورة الحياة التى يراد لها أن تحياها ؟ أم أنه متى ارتفع الانسان فى السلطة ، فقد ارتفع فى الوقت نفسه ، فى حسن الرأى ؟

د. حافظ الجمالى

نزار قبانى



عبد الكريم بن ثابت

شاعر وجودي من فاس

بقلم : عبد الكريم غلاب

عاش عمراً قصيراً عب فيه من الحياة حلوها ومرها . فلم يكن يحفل بالحياة كثيراً . كان يعنيه فقط أن يرضى نفسه وضميره ، فى النضال .. أو فى الحب . ولم يكن يهمه أن ينجح هذا الحب . يكفيه أنه يفنى فى الجمال . وأنه عاشق للحياة حتى .. الموت !!

عشرون سنة مرت على وفاة الشاعر المغربى عبد الكريم بن ثابت .

وتعود بي الذاكرة الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ونحن يومئذ فى القاهرة نفتح أعيننا على عالم جديد ، العالم الذى ستفرزه الحرب : عالم مشرق ؟ أم هو الظلام الذى رمى بالانسانية الى أتون الحرب سيمد جناحيه من جديد على الآفاق التى أظلمت نفوس الانسانية فيها من جراء الظلم والاستعمار والاستغلال ؟

وكان عبد الكريم بن ثابت من الشبان المغاربة الذين تخرجوا من كلية الآداب بالقاهرة ، وهو مثلهم يتطلع الى حرية بلاده ويعمل مع المجموعة ضمن «رابطة الدفاع عن مراكش» ليحقق لبلاده الحرية التى ينشدها شعبها . ولم يكن يقف من الحرية موقف المتردد ، وهو الشاعر الذى يهيم فى شاطىء النيل يناجى القمر المنير فى سماء القاهرة الصافية ، ولم يكن ينسى حرية بلاده وهو العاشق الولهان الذى يترك حبات قلبه عند معبد الحب فى مصر الجديدة أو أثينا القديمة ...

ومن صميم قلبه الشاعر هتف :

أتراه فى يديا أم ترى فى قدميا
ذلك القيد الذى يضحك منى وعليا
ودموعى كلما أرسلتها من مقلتيا
شرب الدمع ولما يروه دمعى ريا
أين ذاك القيد أين ؟



عبد الكريم بن ثابت

أتراه اليوم عين ؟

ونشرت القصيدة «مجلة الكاتب المصرى» التى كان يصدرها العميد طه حسين ، وتلقفتها مجلة أدبية فرنسية تصدر فى باريس وكتبت عن الشاعر الوجودى المغربى ، والوجودية يومئذ المذهب اللامع بين المذاهب الفلسفية ـ الأدبية فى سماء أوربا . وكانت المجلات الفرنسية تتلقف النماذج الأدبية لهذه المذاهب التى أفرزتها الحرب، والتجأ زعماؤها اليها يتلمسون فيها حلا للمشاكل الانسانية والفكرية التى عمقتها الحرب ولم تحلها .

تكامل الصورة

لفت الشاعر اليه أنظار قراء الشعر الجيد فى الوطن العربى ، كما لفتت الحركة السياسية والنضالية فى المغرب أنظار المناضلين الى هذا البلد الذى تمرد من جديد يناضل من أجل الحرية ويسعى للاستقلال .

فى المغرب نضال وطنى قومى سياسى . فى المغرب شعراء ينشدون الشعر الجيد.

تكاملت الصورة فى جزء من بهائها ، ومن خلال هذه الصورة البهية دخل المغرب نادى الوطن العربى متحدياً الارادة الاستعمارية التى كانت تسعى لأن تظل أبواب هذا النادى مقفلة فى وجهه .

وتتالت قصائد الشاعر فى المجلات المصرية ، وبلاده يومئذ لا تملك مجلة يخاطب من خلالها قراءه ، ولكنه كان معروفاً فى المغرب وهو بعد طالب ينشد شعر الحب والجمال فى طابعه الرومانسى الحبيب الى نفس قراء ذلك الزمان .

وظل عبد الكريم بن ثابت يحسن الى هذا الأسلوب الرومانسى وهو ينشد شعراً فكرياً فلسفياً مناضلا . القيد الذى

● لم يكن يقف من الحرية موقف المتردد .. وهو الشاعر الذي يهيم في شاطئ النيل ومناجاة القمر

● توالت قصائد الشاعر في المجلات المصرية . ولم تكن بلاده يومذاك تملك مجلة يخاطب من خلالها قراءه

تساءل عنه فى مطلع القصيدة :

أتراه فى يديا أم ترى فى قدميا

مايزال يعمق البحث عنه . يجول فى الآفاق ليكتشف مكامنه :

هو فى الفكر وقد ران عليه من زمان
قبل أن يوجد إنسي على الأرض وجان
قبل أن نعرف : ما العز وما ثقل الهوان ؟
قبل أن نعرف : من نحن وفى أى مكان ؟
أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

فى هذا المقطع ـ الصورة يتخلص الشاعر من الذات الى الفكر ، الى التاريخ الى ما وراء الانسان .

فى الصورة الأولى يبحث عن آثاره فى يديه ، فى قدميه ، فى سخريته منه ضاحكاً ملتذاً بدموع الشاعر ، بل انه يلتهم دموع الشاعر ولا يرتوى .

الشك هو طابع التعامل مع هذا القيد الذى يملأ الآفاق ، يسلب الحرية من الكون والكائن ، ثم هو لا يبين : هو فى اليدين ؟ فى القدمين ؟ ضحكاته السلخرة ترن فى الآفاق ، متعطش لا يرحم حتى دموع الشعراء ، بعيد بمقدار ما هو قريب :

أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

تبدأ الصورة بالتساؤل وتنتهى بالتساؤل .

وتلك مأساة الانسانية .

وتبلغ المأساة عمقها حينما يدرك الشاعر أنه ليس الضحية الأولى : القيد فى الفكر قبل أن يوجد إنسي على الأرض وجان ، قبل أن نفرق بين العز والهوان ، قبل أن نعرف من نحن ؟ وفى أى أرض نعيش ؟ .

ويعمق الشاعر المأساة فيقدم صورة أخرى أكثر روعة :

هو فى الروح التى ما عرفت قط السكينة
هو فيها قبل أن تظهر فى الأرض حزينة
هو فيها قبل أن توضع فى الجسم سجينة
رابض فيها كليث ثائر يحمى عرينه
أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

مأساة الحياة وهى تأسر الروح ، فما عرفت بعد ذلك سكينة فى الأرض ، الروح المتمردة فى سجنها الجسمى ، الثائرة ، المرتدة الى حزنها أمام طغيان الحياة التى احتوتها كما لو كانت ليثاً غاضباً ثائراً يحمى هذا السجن الكبير . وهى ـ القيد ـ مع ذلك تدعو الى التساؤل : أين ... أتراه عين ؟ .

وتنتهى الصورة بالاستسلام ، بانهزام الانسان أمام القيد الأبدى : الحياة ، قيد ثقيل لا حيلة للانسان فى الانعتاق منه . ويستسلم بعد أن بح صوته فى التسأل :

آه من سر خفي مبهم مثل الضباب
آه لو يسمعنى اليوم وقد حم المصاب
أنا فى الدمع غريق وهو فى الصمت مذاب
بح صوتى وأنا أسأله بعض الجواب :
أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

مجموعة من الصور الفلسفية ، تطبعها شاعرية أصيلة ، يتراوح أسلوبها بين التقرير الذى توحى به الفكرة ، والتصوير الذى يوحى به الفن ، والتساؤل الذى يكشف عن جهل الانسان وعجزه عن أن يكشف أسرار الكون ، والتراوح بين الحديث عن النفس ـ التجربة ـ الذى تبدأ به القصيدة : فى يديا .. فى قدميا .. كنت منذ جئت الى الأرض أغنى للجمال ... وينتهى بنفس التجربة : أنا فى الدمع غريق .. بح صوتى ، وبينهما يهيم الشاعر فى الكون .. فى النور ... مع الحبيبة وهى تروى أقاصيصها .. فى الفكر .. فى الروح ... وينتهى به المطاف الى السر الخفى الغارق فى الضباب : الضباب الذى توحى به هذه اللازمة الآسية الموئسة التى تنتهى اليها كل صورة فى كل فقرة . لازمة يصطدم بها القارىء اذا كان من الذين يطمعون أن يحل لهم الشاعر أسرار الكون ـ القيد ...

اتجاه وجودى

.. فى القصيدة اتجاه وجودى يبلوره هذا الاحساس الشاعر بالقلق على كل مقومات الانسان : الفكر ، الروح ، العمل ، الغناء للجمال ، القلق من الشعور بالقيد دون أن يعرف الانسان : أين هو ؟ ما مصدره ؟ هل له وجود محسوس تشهده العين ؟ الشاعر يحس بمسئولية أمام الكون ، أمام نفسه ، أمام مشاعره ، أمام فكره . ولكن القلق يغمره على مصير هذه المسئولية ، وينتهى به الى الاستسلام كما استسلم الانسان منذ أدرك وفكر وفلسف الحياة ، والتجأ أخيراً الى الغيب والى التساؤل : أين ؟ والى اللاجدوى من السؤال .

فى هذا الاطار الفلسفى عاش الشاعر نوعاً من التناقض الذى هو الحياة الحقيقية للانسان المفكر منذ كان الفكر . كان عبد الكريم بن ثابت يلهب ظهر الحياة وهو يسعى فى يومه مناضلا مع المناضلين ، ومفكراً فى قضية بلاده ، وعاملا بقدر ما يستطيع ـ مع العاملين ـ ليحققوا لها الحرية فيصطدموا بالقيد . وفى ليله يلجأ الى حياة الشاعر ، يقرأ الشعر فى الوجوه الصباح ، فى النجوم ، فى القمر البهى يتلألأ على صفحات مياه النيل الرقراق ، فى الفلك تسلم عنانها للريح الرخاء ، ووراء مقلاعها صوت حنون يغنى وحيداً مع الليل والنهر والقمر والنجوم والسماء ، جائع ، شبعان . لا يدرى ولا يود أن يدرى . ويعود الشاعر الى بيته وفى قرابه أكثر من قصيدة . فى ليله الحافل بالجمال يعيش مع حبيبته تلك التى تركها فى فاس تفصلهما آلاف الأميال وسنوات الحرب . مع الجميلة التى أطلت عليه فى سماء الكلية بعينيها الخضراوين ، لونها القمحى ، شعرها الأشقر . واختفت فلم يعرفها بعد مدرج ولا فتحت عينيها

عبدالكريم بن ثابت

شاعر وجودي من فاس

الجميلتين على كتاب . مع بنت «الاكربول» الفاتنة ذات العينين الحافلتين بالعمق ، الوجه الشاحب فى بياضه كأنما صبت الحياة فى أجمل تمثال صنعه فنان الشعر السبط الناعم المندفع فى حيويته . ويذكر الليلة الراقصة التى أسفرت عن صبح ... عن الصبح الذى أدرك شهرزاد ... عن الحياة الآسرة . وكان «ليل ... وصباح» عنوان قصيدة أخرى من نفس مستوى «قيد» :

سهرت وكان شعاع القمر
ينام ويحلم فوق الغصون
وبت أشاهد ظل الشجر
كأنى أشاهد بعض الظنون
ونام الأنام وحل السهر
لمن أتلفته سبيل الفنون
ومن بات يشكو الأسى والضجر
ومن قاده الحب نحو الفتون
ومن ظل يطلب خير البشر
ومن ألبسوه رداء الجنون
وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف أقضي السنين
فباءت بصمت عميق رهيب
وفاضت دموعى وهل تنفع

هكذا يحيي الشاعر حياته بكل أبعادها فى السهر مع شعاع القمر ، مع الآمال والآلام ، مع الحب ، مع الأسى والضجر ، مع العقل والجنون ... ويسأل : لماذا وكيف أقضي السنين ... ؟ فلا مجيب إلا الصمت العميق الرهيب .

صور الحياة

ويطوف خيال الشاعر مع صور الحياة فى جمالها وقبحها فى خيرها وشرها ، فى تناقضاتها وعنف جحودها ويصطدم مع هذه الصورة :

هنالك شيخ وقور جليل
لقد مات ـ رباه ـ موت اللئيم
هنالك طفل وديع جميل
يعذب مثل الشقى الأثيم
وحب شريف وقلب يميل
الى الخير يشقى بنار الجحيم
وبغض عنيف وروح ذليل
وضيع يلاقي حظوظ العظيم
حياة قد امتزجت بالعليل
من الحق مثل امتزاج القويم

وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف أقضي السنين ؟
فباءت بصمت عميق رهيب
وفاضت دموعى وهل تنفع

دفقات قوية من المشاعر الانسانية تملأ خيال الشاعر وهو يقتبس صور الحياة ومفارقاتها وآفاقها البعيدة والقريبة فى الزمان والمكان ، فى



الشاعر بين الرئيس بورقيبه والطيب سليم ممثل تونس فى الأمم المتحدة

عاش عبد الكريم بن ثابت عمراً قصيراً عب فيه من الحياة حلوها ومرها . ولم يكن يحفل للحياة كثيراً . كان يهمه أن يرضي نفسه وضميره ، فى النضال أو فى الحب ، لا يهمه أن ينجح هذا الحب . فهو عاشق الى الأبد . يفني فى الجمال . تمثل الجمال فى هذا الوجه أو ذاك سيان ، تمثل فى الطبيعة ، فى السماء ، فى القمر ، فى النهر ، فى صوت جميل يغنى ، فى هزار فريد يغرد ، فى كل مكان عاش فيه يبحث عن سر الجمال لا عن متعة الحياة . بحث عن سر الجمال فى فاس (مسقط رأسه حيث عاش طفولته وجزءاً من شبابه) فى ضواحيها الجميلة ، بحث عنه فى القاهرة (ملجأه أثناء دراسته ونضاله) فى ضواحيها وشاطىء نيلها وحدائقها وأسمارها ، بحث عنه فى الرباط (مركز عمله لفترة من حياته) بحث عنه فى تونس (حيث عمل فى سفارة المغرب بها بعد الاستقلال) فى ضاحيتها الجميلة سيدى بوسعيد ، فى سواطئها الفاتنة : سوسة ، الحمامات ، موناستير .

كانت آماله فى الحب والحرية أكبر من دنياه وأطول من عمره . واصطدمت آماله فلم يبق له من دنياه غير ما صوره فى قصيدة آسية :

أملى من رماك من عليائه
بعدما قد ألفت جو السماء
ما دهانى وقد تضاءلت فى عينى
وأصبحت ضيق الأرجاء
ما أرى فيك غير شكل كئيب
مفعم بالشجون والبأساء
وعجوزاً أراك حطمها الدهر
تهادى من ضعفها فى انحناء

الشيء الذى كان يؤرق الشاعر هو هذا السجن الكبير ، هذا الوجود المثقل بالآلام والآثام يأسر الروح ويطغى بظلمه على العدل ، ببغضه على الحب ، بظلامه على النور . وكثيراً ما صور هذا الطغيان فى شعره «بائع الذكريات» احدى روائع ديوانه «ديوان الحرية» يحكى فيها قصة شريد يحاول أن يقايض كل ذكرياته فى الحياة بنهر النسيان . القصة ـ القصيدة تبدأ هكذا :

كان مساء ... وكان برد وهواء
وكان صوت العاصفة يدوى فى الفضاء
وكان صديقى يسير مخيفاً كالشبح

منتصباً كأفكار المتشائمين
والظلمة حوله كثيفة كئيبة
توحى الحزن وتبعث الهلع
قابلته صدفة
قال لي ، والدموع تنهمر من عينيه :
النفس والروح ، فى الحياة والجماد ، فى الفناء والخلود ، فى العقل والجنون ، فى الوفاء والجحود ، فى الضياء والظلام ، ويسأل أخيراً : لماذا ؟ وكيف أقضي السنين ؟ فلا يجد الرحمة حتى من نفسه بين جنبيه ، تبوء بالصمت العميق الرهيب . ولا يجد بين يديه غير دموع الأسى .. وسرعان ما يسأل : وهل تنفع ؟

ليل داج عاش فيه الشاعر حتى يكاد لا يجد غير اليأس القاتل والدموع التى لا جدوى منها . ولم يكن عبد الكريم بن ثابت من الذين يستسلمون لليأس القاتل فاهتدى . وأنهى القصيدة الرائعة بهذا المقطع :

وبعد زمان ... أطل الصباح
كطفل على مهده يبسم
كعذراء بين مروج البطاح
تتيه وترقص أو تحلم
كثغر الورود كخد الأقاح
على حزن ضاحك ينعم
ونادى المنادى : الكفاح ، الكفاح
وداووا به يأسكم تسلموا
فما من سلام وما من نجاح
بغير الجهاد فلا تسأموا
وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف أقضي السنين ؟
فقالت : لأجل الخلود الحبيب
تعيش وتخلق ما ينفع
ينير دياجى هذا الأجل
جهاد وحب وصدق الأمل

الشاعر الفيلسوف ضاقت به الحياة وهو يتجول فى أبعادها .

المناضل الفيلسوف ينتصر فى الأخير كما ينتصر الصباح الجميل كطفل ، كوجه عذراء ، كثغر ورود ، كخد أقاح على ظلام ليل عبوس قاتم . ويجد دواء اليأس فى الجهاد والنضال والحب والأمل الصادق.

بحث الشاعر طويلا عن سر الحياة فى دفقات شعرية قوية فكرية وفلسفية . واكتشف الصباح بعد الليل المدلهم . كان صباحه أقوى من ليل الحياة . وكان الاجابة الواضحة عن القيد الذى ظل

● الشيء الذي كان يؤرق الشاعر هو هذا الوجود المثقل بالآلام والآثام والظلم والبغض !

يسأل عن أسراره فلم تنكشف له ، لأن عيناً لا تراه ولأن أحداً لا يعرف أين ؟

بمثل هذا النغم ظل عبد الكريم بن ثابت يغنى نحواً من عشرين سنة فى عمره القصير غنى لهن جميعاً ... وغنى للحقيقة ينشدها :

ترى أين ولى ؟ وكيف اختفى
أفى مهمه الغاب والظلمات
ومن ذا يغنى وينشد فى
سكون عميق جمال الحياة
ومن ذا الذى تحتويه العيـ
ـون وتأسره تلكم النظرات
يعربد فى الليل مثل الهزا
ر ليقتل فى جوفه السكنات

وغنى لثورة بلاده :

أيها المستبد فى عالم غفل
وفى عالم كثير العناء
مر من ها هنا أخوك وقد كان
مخفياً فى قوة ودهاء

أغنية للخلود

غنى للخلود فى قصة اندماجية رائعة . ظن وصحبه أنهم قد خرجوا من دنيا الناس :

وجهلنا الأرض والناس وما
بات فوق الأرض من ذل ودون
ورياء وهوان وشقاء
وسموم واحتراب وظنون
ها هنا نحن تخطينا الدنا
وتحدينا المآسى والمنون
حسبنا أن ما يأسرنا
من زمان مات فى أرض السنين
تلكم الأرض وما أشأمها
نحن فيها فى قيود وسجون
كلما طافت بنا صورتها
أرعبتنا وكأنا فى جنون
انه سجن كبير قيده
هذه الأعمار بئست والسنون

أتشترى منى ذكرياتى ؟
قلت بكم يا صديقى ؟
قال : بنجمة لامعة وكوب مضيء ينير لي السبيل عَلّي أعثر على نهر النسيان .

التخلص من القيد

تسير القصة ـ القصيدة هذا المسار يبحث فيها «الشريد» عن نهر النسيان يسأل عنه الشيخ العجوز ، والرجل الكالح الوجه ، والجمال الذاوى الذى امتصت السنون بهاءه والصديق رفيق الصبا .. حتى اذا أعياه البحث بدا له بصيص من نور سار فى أثره وهو ينشد عند الهداية :

صاح النور : اتبعنى أيها المسكين
فسأدلك على نهر النسيان
ومضى النور وصاحبي يسيران
وحدهما فى ليلة حافلة بالأحزان
ووسيلتهما ركوب متن الزمان
آه منّ الزمان ...
آه من الزمان ...

القصة بسيطة يؤكد فيها الشاعر مذهبه فى التخلص من القيد الذى يتخلص منه رغم طول أناة ، من العالم المليء بالآلام ، من الوجود المثقل بالآثام ، ولكنه لا يفر من القيد إلا إليه ... حتى النسيان لا يجد سبيلا اليه إلا الزمان .

عاش الشاعر حياته كما أرادها شاعراً ينشد قصائده ، يكتبها ويعتز بها ثم لا يلبث أن يهملها فى أوراق ممزقة ، فى مجلات مبعثرة عاش للشعر قولا وحياة . عاش للحب ، ولم يرس شراع حبه على شاطىء . تخلى عن كل شيء ، عن الأصدقاء كما كان يهمل كل ما حفلت به حياته حتى أشعاره ، تخلى عن كل شيء ودخل مستشفى عمومياً فى الرباط آثر نوبة كبد ...

بعد بضعة أيام لم تكتمل أسبوعاً كانت إدارة المستشفى تبحث عن أحد من أصدقائه لتخبره أنه مات ... فريداً وحيداً من كل من ربط بهم حياته العملية ، حياته الشعرية ، حياته البوهيمية . وظل شعره ينبض بالحياة . بعد أن ودع الحياة .

رحمه الله .

عبد الكريم غلاب

علماء اللغة في رياض الجمال

بقلم : عبد الرزاق البصير

.. ومهما يكن من أمر .. فان الواقع يشهد أن كثيراً من « علماء اللغة » يختلفون مع الرأى القائل إن « علم اللغة » مادة جافة لا يصبر عليهاغير أولئك الذين انصرفت نفوسهم إلى الجد كل الانصراف . وإن هؤلاء الكثيرين يملكون حاسة فنية فريدة ، وإحساساً مرهفا بالجمال . ذلك أنهم لم يقفوا عن حدود الغوص ، والبحث ، والتدقيق فى « علم اللغة » . وإنما حلقوا بأجنحة خضراء فى سماوات الشعر . وقالوا أعذب الكلمات .

ربما يتصور الكثيرون أن علماء اللغة أبعد ما يكونون عن الحس الفنى الذى يتصف أصحابه برقة المشاعر ورهافة الأحاسيس ، مما يجعل فى عطائهم رقة وجمالا تستقبلها النفوس كما تستقبل الأسماع أعذب الألحان وأشجى الأنغام كما هو الحال فى عطاء الأدباء والشعراء إذ أنك تجد فى ثمرهم ما يبهج القلب ويطرب السمع من وصف للجمال ، سواء كان ذلك الجمال نابعاً من الطبيعة البشرية أو نابعاً من الطبيعة الجغرافية كتصوير الوجوه الحسان أو رياض الربيع أو تموج البحر ، وما الى ذلك من منابع الجمال . ويعود سبب هذا التصور الخاطىء الى ان اللغة ـ وهي المادة التى ملأت نفوس علماء اللغة عشقاً لها وكلفاً بها ـ مادة جافة لا يصبر عليها إلا من انصرفت نفسه الى الجد كل الانصراف . فترى علماء اللغة يحدثونك عن اللفظة الثلاثية والرباعية والخماسية وعن المصدر الصناعى ومصدر الهيئة وعن اسم الفاعل وعن الاشتقاق وعن كيفية اختلاف مرامى اللفظة حين تكون لازمة أو متعدية ببعض حروف الجر . وكمثال على ذلك نأخذ لفظة «أرب» فان أصل لفظة أرب بالكسر والسكون هو الدهاء والبصر بالأمور ، واشتق من هذه اللفظة اسم الأريب وهو المتبصر بالأمور . واذا أضيفت هذه اللفظة بهمزة مضمومة الى الكلب صارت قلادته التى يقاد بها . والأربيان بالكسر ، سمك ، عن ابن دريد وهو اسم معروف لدى عرب الخليج أفصح ، وأرب فى الأمر بلغ فيه جهده وطاقته وفطن له وأرب الرجل اذا احتاج الى الشىء وطلبه . فمن ذلك حديث عائشة ، قالت : كان رسول الله أملككم لأربه اى لحاجته ، وأرب الدهر اشتد وأرب بالشىء ظن به وشح وأربت معدته



● كثير من علماء اللغة يملكون حاسة فنية ونفوساً مقبلة على تصوير الجمال

● لغة القرآن تنمّي في نفوس عاشقيها أنهار الشعر والأدب

● عالم لغوي: قصائده تزيل الهموم عن القلوب الحزينة

فسدت . فأنت ترى أن اللفظة تتغير معانيها حين تضاف الى بعض الأشياء أو حين تتعدى ببعض الحروف . وقد ذكر علماء اللغة معانى كثيرة لهذه اللفظة نكتفى بما أوردناه لأنه يوضح ما قصدنا اليه من أن العمل باللغة يقتضى الجد والتدقيق وهو أمر لا يصبر عليه الا المتخصصون، مما يجعل دراسة المعاجم ثقيلة على نفوس معظم الناس ، فما بالك بمن ينفق عمره فى العمل بها ؟ . وليس من شك أن علماء المعاجم قد قدموا لهذه الأمة أجل الخدمات ، فلولا انصرافهم الى هذا العمل الشاق لما عرف قدر هذه اللغة وقيمتها ومكانتها .

الحاسة الفنية

ومهما يكن من أمر ، فان الواقع يشهد ان كثيراً من علماء اللغة يملكون حاسة فنية ونفوساً مقبلة على الجمال تقدره أعظم التقدير مما أدى بهم الى أن ينطقوا بأرق الشعر وعذبه وذلك يشهد بأن لهم نفوساً شاعرة خضراء فأنت اذا تأملت تاريخ أكثر علماء اللغة ، تجد فيه عذوبة ترتاح اليه نفسك أعظم الارتياح ، وأسطع دليل على ذلك ما نجده فى ترجمة ذلك العالم اللغوى الخليجى محمد بن الحسن المعروف بابن دريد وهو عالم شهد له جميع أصحاب التراجم بانه نادرة من نوادر الدهر ، سرعة فى الحفظ وقوة بالبديهة واثراء للغة . أما ما يدل على قوة ذاكرته فان عمه الحسين ابن دريد رأى مؤدبه يرويه معلقة الحارث ابن حلزة التى أولها (آذنتنا ببينها أسماء) فأراد عمه زيادة تشويقه ليقبل على حفظ هذه القصيدة وذلك بأن يهب له من المال ما يرضيه ، وكان عمه مدعواً على مائدة عند بعض الأعيان ، وأقبل صاحبنا ابن دريد على حفظ الشعر واذا به يحفظ الديوان بأكمله ، وما أن خرج عمه وعلم بذلك حتى امتلأ قلبه سروراً وزاد فى عطيته . وقد بلغ من سعة اطلاعه أنه كان يسابق من يقرأ عليه دواوين شعر العرب وقد بلغ من تفوقه أنه كان يقارن بالخليل بن أحمد الفراهيدى . أما عطاؤه اللغوى والأدبى فقد بلغ عشرين مؤلفاً شهد العلماء بقيمة كل مؤلف من مؤلفاته أشهرها مقصورته التى شرحها كثير من العلماء وعارضها كثير من الشعراء وهى تدل على رسوخ قدمه فى اللغة وملكته للشعر . وأنت اذا أردت أن تستشهد منها بأبيات تأخذك الحيرة لأنها كلها من النظم المختار . خذ منها مثلا قوله :

يا دهر ان لم تك عتبى فاتئد
فان اروادك والعتبى سوا
رفه علي طالما أنضيتنى
واستبق بعض ماء غصن ملتحى
لا تحسبن يا دهر انى جازع
لنكبة تعرقنى عرق المدى
مارست من لوهوت الأفلاك من
جوانب الجو عليه ما اشتكى

وما أعتقد أنى فى حاجة الى توضيح ما فى هذه الأبيات من صور ترسم قوة تعبير هذا العالم الفرد فى اللغة وثقته بنفسه ، فان هذه الأبيات واضحة الدلالة والمقصورة تجرى كلها على هذا النسق الرفيع . ومما يحبب هذا العالم اللغوى الى النفس تقديره للموسيقى ، فقد كان يزين منزله بأدوات الموسيقى غير مبال بما يكلفه هذا السلوك من نقد المتزمتين الذين يرون أن هذا أمر لا يليق بالعلماء .

أشعر العلماء

ومما يدل على رقة احساس هذا الأديب الموهوب انفعاله وهو فى طريقه الى عمان بهذا المشهد الشاعرى ، ذلك أنه رأى فاختتين تتناجيان تحت شجرة الحب تظللهما نخلتان ، واذا بأديبنا ينشد :

أقول لو رقاوين فى فرع نخلة
وقد طفل الامساء أو جنح العصر
وقد بسطت هاتا لتلك جناحها
ومر على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة
وما دب فى تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلى قطع الشوق قلبه
على أنه يحكى قساوته الصخر

وهنا ينبغى أن نتذكر بأن أديبنا لم يكن الوحيد الذى شاهد هذا المنظر فقد كان فى قافلة كبيرة قاصدين الى وطنهم العماني ، ولم تتحرك خالجة من نفوس أفراد تلك القافلة ، ولعلهم جميعاً لم يلتفتوا الى هذا المشهد المؤثر لأن نفس الشاعر هى التى تتوقف عند مثل هذه الأمور ، كذلك فلنقرأ قوله :

عانقت منه وقد مال النعاس به
والكأس تقسم لطفاً بين جلاسى
ريحانة ضمخت بالمسك ناضرة
تمج برد الندى فى حر أنفاسي

علماء اللغة
في رياض الجمال



وهذه أبيات تدل على أن هذا العالم الأديب يستحق قول من قال بأنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء .

والحق أنى لو طاوعت نفسى لأصبح هذا المقال كله مقصورا على الحديث عن هذا الأديب الموهوب والعالم المتعمق فى اللغة والأنساب والذى شاء الله له أن يتنقل من بغداد الى البصرة الى عمان والى بعض جزر الخليج وأن يقيم فى كل من هذه الأقطار فترة طويلة ينشر فيها علمه وفضله ويصبح فى كل منها زهرة يتضوع طيبها بين الناس ، غير أنى أريد أن أتنقل مع القراء الى أفنان أخرى نشأت فى نفوس بعض علمائنا اللغويين لأؤكد أن لغة القرآن إذا رسخت فى نفوس العاشقين لها أنمت فيها أنهار الشعر ورياض الأدب فتراهم يعطون العلم حقه والنفس حقها فحياتهم مزاج من العلم والنعيم ، وما ألطف مثل هذه الحياة التى تتكون من هذين المزاجين .

اللغوى الطائر

وحين نصل الى اللغوى المعروف بالجوهرى واسمه اسماعيل بن حماد المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ، صاحب كتاب مختار الصحاح ، الذى سار ذكره فى جميع الآفاق ، نجده فى سيرة هذا العالم أحداثاً تستوقف النظر ، فان جميع مترجميه يقولون عنه بأنه كان أماماً فى علم اللغة والأدب وانه كان يؤثر السفر ويفضله على الاقامة فى البلاد .. كل ذلك فى طلب علم اللغة .

اتسع خياله حتى تصور له بأنه قادر على أن يطير ، فصنع جناحين من خشب ، ربطهما بحبل ، وصعد سطح مسجد ، ونادى الناس قائلا ، لقد صنعت مالم اسبق اليه ، وسأطير الساعة ، فازدحم أهل نيسابور ينظرون اليه ، فتأبط الجناحين ، ونهض بهما ، فخانه اختراعه ، فسقط الى الأرض ، فكان ذلك سبب وفاته .

ولسنا نعرف ما إذا كان هذا العالم اللغوى عرف بخبر عباس بن فرناس الذى توفى قبله بمئة وعشرين سنة ، فان ذلك غير مستبعد .

وعلى أى حال ، فان هذين العالمين كانا أول من توصل خيالهما الى علم الطيران، وحاولا أن يحققا ما حلما به ، لكنهما لم يفلحا ، وذلك لا يغض من شأنهما ، فان العلم قد حقق أكثر مما كانا يحلمان به .

وللجوهرى نفثات شعرية مختلفة ، نقتطف منها هذه القطعة الشعرية الجميلة :

يا ضائع العمر بالأمانى
أما ترى رونق الزمان ؟
فقم بنا يا أخا الملاهى
نمضى الى نهر نشتقان
لعلنا نجتنى سروراً
حيث جنى الجنتين دان
كأننا والقصور فيها
بحافتى كوثر الجنان
والطير فوق الغصون تحكى
بحسن اصواتها الأغانى
وأرسل الورق عندليباً
كالزير والبم والمثانى
وبركة حولها أناخت
عشر من الدلب واثنتان
فرصتك اليوم فاغتنمها
فكل وقت سواه فان

موسوعة المفردات العربية

وهناك عالم لغوى آخر تفنن فى قول الشعر حتى أصبحت مقطوعاته تزيل الهموم عن القلوب الحزينة ، وذلك هو محمد بن مكرم المعروف بابن منظور مؤلف كتاب « لسان العرب » الذى اصبح المرجع الوحيد لمن يريد أن يتوسع فى معرفة المفردات العربية طيلة ثلاثة قرون من الزمن ، حتى جاء الزبيدى مؤلف كتاب « تاج العروس » ، فاستطاع أن يجعل الناس مستغنين عنه ، لأنه ألم به وبغيره من كتب اللغة.

ولسنا فى مجال المقارنة بين معاجم اللغة ، لأن لذلك مجالا آخر ، ولكننا أردنا أن نؤكد بأن كثيرا من علماء اللغة يملكون نفوساً متفتحة للجمال . يقول ابن منظور :

الناس قد اثموا فينا بظنهم
وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا
ما كان ضرك فى تصديق قولهم
بأن نحقق ما فينا يظنونا
حملى وحملك ذنباً واحدا ثقة
بالعفو أجمل من أثم الورى فينا

ومن شعره قوله :

بالله ان جزت بوادى الأراك
وقبلت عيدانه الخضر فاك
ابعث الى المملوك من بعضه
فاننى والله مالي سواك

وفيما أوردناه دلالة ساطعة على أن لغة القرآن تزيد فى جمال النفوس وفى استنارة العقول .

عبد الرزاق البصير

أكثر من نافذة مضاءة

إلى مناضلات الشعب الأريتري

م. كجراي



فى لحظة التوهج النازف عبر ساحة النضال
رأيتها كانت هناك شعلة تضيء فى معارك القتال
أغنية تعشقها الرياح فى السفوح والجبال
أروع مما قيل أو يقال
أبدع من قصائد الشعر ومن تألق الخيال
كانت مهاة حلوة تحلم بالفجر وبالحريه
أجمل من حوريه
يلمع فوق خصرها طوق من الرصاص
وفى الذراع الأسمر الصامد بندقيه
وحينما تدفق الرصاص كان وجهها كالهالة النوريه
يضيء فى تألق الملامح الرائعة الثوريه
ولم تعد بطاقة وردية منسيه
سيدتى البتول
تنمرت كالغضب الساحق حين أمطر الرصاص
انطلق الزناد تحت يدها يفتح درب النور والخلاص
كانت هناك تصنع التاريخ بالفداء والجراح
تقتحم الجحيم فى صلابة الصخور فى جسارة الرياح
يا رفقة السلاح
الفجر فوق صدرها وشاح
وهأنا أفتح باب الشعر لا أملك غير نغم
ينساب فى أمسية الذهول
ماذا بوسع الشعر أن يقول
أدعوك يا أميرة السفوح والسهول
يا وردة تعبق فى رمالنا
بالعطر حين تجدب الرياض والحقول
نامى كطفل رائع يحلم بالخضرة فى حدائق البراءه
للنصر فى ربوعنا أكثر من نافذة مضاءه

د. محمد عمارة

مهام جديدة لاجتهاد جديد

امام الاستعمار الجديد .. وشركاته المتعددة الجنسية .. والنمط الاجتماعى الذى تخلقه حضارته الاستهلاكية .. والكيان العنصرى الاستيطانى الذى يحرس مخططاته ... ماذا نصنع ؟ ... وكيف تكون المواجهة ... وهل لدينا من تراثنا الحضارى ما يحدد ملامح «البديل» ؟! ..

لن تجد اليوم ، من علماء الاسلام ، من لا يتحدث عن أهمية الاجتهاد ، وضرورة فتح بابه الذى أغلقه «علماء» عصر الانحطاط ، عندما عاشت أمتنا تحت سلطان المماليك وتسلط العثمانيين ، فتوقف الخلق والابداع ، وسادت مقولة : « ما ترك الأولون للآخرين شيئاً ؟! » ..

ولن تجد اليوم ، من علماء الاسلام ، من لا يحدثك عن حدود الاجتهاد ، وكيف أنه لا أجتهاد مع وجود « النصوص» ، قطعية الثبوت وقطعية الدلالة .. فمع وجود هذه « النصوص » ـ يقولون ـ : إنه لا أجتهاد ، هكذا باطلاق وتعميم ! ..

ولن تجد من هؤلاء العلماء إلا من يحدثك عن شروط المجتهد ، من مثل : المعرفة بأسرار الكتاب والسنة ، وآيات الأحكام ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ـ فى القرآن الكريم ـ .. الخ .. الخ .. وقبل ذلك : العلم بعلوم العربية ، التى هى الأدوات والسبل لفقه آيات الكتاب وفهم أحاديث الرسول ، عليه الصلاة والسلام ..

كل ذلك معروف .. ومكرر .. ومشهور !. لكن الحق والأهم ـ فى قضية



الاجتهاد ـ هو ماوراء هذا المعروف ، والمكرر ، والمشهور ؟! ..

ففى نطاق « الفكر » الاسلامي نجد لدينا عالمين « متميزين » ، لا ترقى علاقاتهما إلى « الاتحاد » ولا تنزل إلى «الفصل» .. نجد :

ا ـ « الدين » ، بما له من « أصول » ، وما لهذه « الأصول » من « فروع » :

وأصول الدين هذه هى « وضع إلهي » نزل بها الوحي من عند الله ، فلا مجال فيها للرأى ولا مكان فيها للاجتهاد ، لأنها « ثوابت » لا يعتريها التطور أو التغير بمرور الزمن أو اختلاف المكان أو تمايز الحضارات أو تغاير الظروف والملابسات

أما « فروع » هذه الأصول وتفصيلاتها .. فهى التى كانت موضوعاً لاجتهاد المجتهدين منذ عصر النبوة وحتى تبلور المذاهب الفقهية فى عالم الاسلام .. والاجتهاد فى هذا الميدان لم يكن « اختراعاً » ولا « إبداعاً » ولا «إضافة» ، وإنما كان « تفريعاً » ، وفروضاً ، وإلحاقاً للفروع بالأصول ، بواسطة الاستدلال ... ولقد انجز الاجتهاد الاسلامي ، فى القرون الماضية ، أغلب المهام التى تستدعي الاجتهاد فى هذا الميدان .. بل ووضع الفروض والبدائل التى قد يصعب على الكثيرين تخيلها فى الكثير من المسائل والأوقات !

فالاجتهاد فى « أصول » الدين غير وارد ... والاجتهاد فى « فروعه » غير ملح ولا تستدعيه الضرورات ! .. بل ربما كان ذلك هو السبب الحقيقى في أن « إغلاق باب الاجتهاد » لم يحدث أضراراً كبرى بفكرنا « الدينى » ، اللهم إذا نحن استثنينا أضرار تراكم الخرافات والبدع على جوهر قطاع من هذا الفكر « الدينى » هذا عن الدين ، أصولا ، وفروعاً ..

ب ـ وغير « الدين » ـ فى نطاق «الفكر» الاسلامي ـ لدينا شئون « الدنيا » :

وهى تلك التى تكتفى فيها الوحي الالهي ـ لحكمة وبقصد ـ بتحديد «المثل العليا» ، والحديث عن « المقاصد والغايات » ، ورسم « الأطر العامة » فى «كليات» تتسم بالمرونة والعموم ...

● اقتصاد الوحي الإسلامي في الحديث عن الغيب والطبيعة والخلق وأصل الكون جعل بالإمكان أن نكون فلاسفة ومؤمنين في نفس الوقت

ولقد كانت للوحي ـ كما قلنا ـ حكمة فى العدول عن التحديد والتفصيل فى شئون « الدنيا » هذه ، فلم يكمل أمورها كما أكمل أمور « الدين » ، وذلك لأن نظم الحياة الدنيا وتشريعات مجتمعاتها وقوانين معيشتها متطورة دائماً وأبداً مع تعاقب القرون ، متميزة حتماً باختلاف المواطن وتغير الظروف والملابسات ... تلك كانت الحكمة ... ومن ثم كان القصد هو إطلاق العنان للعقل الانسانى المسلم كي يبدع ويخلق ويضيف ويجدد ويغير فى نظمه الدنيوية ، دونما قيد يقيده ، اللهم إلا «مصلحة جمهور الأمة» المسترشدة بالتجربة الانسانية ، و « بالكليات » و «المقاصد» و « المثل العليا » التى جاء بها الوحي « فلسفة » للنظم الدنيوية و «أطراً» لها ، لا « نظماً » و « قوانين » تحدد القوالب وتضع التفصيلات ..

هنا ، فى هذا الميدان .. ميدان « دنيا » المسلمين ـ وليس « دينهم » ـ تلح الضرورات كل الالحاح على أهمية «الاجتهاد» ..

فنحن قد تخلفنا لعوامل ذاتية وأخرى خارجية .. ما هي تلك العوامل ؟ .. لابد ، كي نجيب ، من « الاجتهاد » ! ..

ونحن أمة مستهدفة من أعداء كثيرين وعلى مر العصور ، ولذلك نواجه اليوم بتحديات كثيرة ، عسكرية واقتصادية وفكرية ، وتشرذم اقليمي ، وهى جميعاً تصب في تحد حضارى يهددنا بالسحق القومى وبتحويلنا الى هامش لحضارة الأعداء ... فكيف السبيل لمواجهة هذه التحديات ؟ .. لابد ، كي نجيب ، من «الاجتهاد» ! ..

ونحن أمة ذات تراث حضارى غنى وعريق .. وهذا التراث ، بحكم أنه ابداع تيارات فكرية متعددة ، بل ومتناقضة ، يبعث الحيرة عند قطاع من المعاصرين ، ويصيب الكثيرين بالكثير من التمزق ، وذلك بدلا من أن يوحد جمهور الأمة ويشحن شبابها بالكبرياء المشروع ! فمنا من يرى « سلفه الصالح » فى « علماء » عصر « الحواشى » و «التعليقات» و «الهوامش» و « المحسنات البديعية » وحكاكات الألفاظ ، عندما توقف الخلق والابداع .. بل ويرى فى هذه الآثار الهابطة « ديناً » يتقدس عن « النظر والرأى والاجتهاد » ! ..

ومنا من يرى فى « التعبد بالنصوص» النهج الآمن والمفيد ، فيغض من شأن العقل مكتفياً بالنقل والمأثورات ، حتى عندما تتهافت ، أمام العقل ، مضامين هذه المأثورات ! ..

ومنا من يرى فى شروح فلاسفتنا على الفكر اليوناني وتعليقاتهم على مقولات فلاسفة اليونان الابداع الحقيقى فى تراثنا ، فيدعون إلى مواصلة هذا المسعى وإكمال هذا الطريق ! ..

ومنا من يرى لحضارتنا طابعاً « وسطياً » متميزا ، وازنت به بين الأقطاب ، وألفت فيه بين ما عد فى حضارات أخرى متناقضات لا سبيل إلى الجمع بينها ، فضلا عن التوفيق .. موازنة بين « العقل » وبين « النقل » .. بين « الدين » وبين « الدنيا » .. بين «الدنيا» وبين «الآخرة» .. بين « الحكمة » وبين « الشريعة » .. بين « الفرد » وبين « المجموع » .. حتى لقد تدينت فيها الفلسفة كما تفلسف الدين ؟! .. وعز فيها وجود تيار إلحادى تاريخي ـ كما حدث فى الحضارة اليونانية وامتدادها الأوربي الحديث ـ لا لقصور فى أفق فلاسفتنا ومحدودية فى نطاق حريتهم الفكرية ، وإنما لأن اقتصاد الوحى الاسلامى فى الحديث عن الغيب والطبيعة والخلق وأصل الكون قد جعل بالامكان أن نكون « فلاسفة » و «مؤمنين» فى ذات الوقت .. فرأينا ، في تراثنا ، من

مهام جديدة لاجتهاد جديد



قالوا بقدم العالم والمادة : مؤمنين ، بل ونساكاً زاهدين ، لو أقسموا على الله ، سبحانه ، لأبرلهم الايمان ! ..

فأي صفحات من تراثنا نستلهم ؟ .. وأى تيار من تياراته نتخذه « سلفاً صالحاً » نمد بيننا وبينه الخيوط والأسباب والأنساب ؟! .. هنا موطن ـ بل مواطن ـ « للاجتهاد » ! ..

فالاجتهاد ، إذن ، يجب أن يخرج ، وأن نخرج به من ذلك الاطار الضيق الذى عرفه تراثنا الفقهى ، والذى لا يزال يفكر فيه دارسو الفقه وقلة من الفقهاء وكثرة من أشباه الفقهاء ! .. فهؤلاء ليسوا وحدهم المطالبون بالاجتهاد ، بل إن المطالب به هم علماء الأمة وأهل الخبرة العالية والمكثفة فيها ، ومن كل المجالات والتخصصات ، لأن ميدانه الحقيقى هو أمور الدنيا ونظم معيشتها ونمط حضارة المسلمين ، وليس إلحاق فروع الدين بأصولها ، لأن هذه الأصول قد تمت بتمام الوحي ، وتلك الفروع قد أوسعها الأقدمون بحثاً واجتهادا ، فلم يبق فى ميدانها للاجتهاد إلا هامش محدد ! ..

● ●

والأمر الذى لا شك فيه أن هذه النظرة للاجتهاد تستدعى إعادة النظر حتى فى تعريفه الذى استقر له فى تراثنا الاسلامي.... فلأن أسلافنا قد حصروه فى نطاق « الفقه » ، الذى هو « علم الفروع » ، قالوا فى تعريفه : « إنه استفراغ الفقيه الواسع ليحصل له ظن بحكم شرعي » .. ووفق هذا التعريف كان ولا يزال باستطاعة من يبذل وسعه لاستخراج الفروع الفقهية من أصولها ، أو رد هذه الفروع الى تلك الأصول أن يسمى نفسه مجتهدا ، حتى ولو كان جاهلا وغافلا عن أمهات المعضلات التى تواجه الأمة فى حضارتها وحياتها الدنيوية ! ..

وعلى سبيل المثال .. فان بعض المذاهب الاسلامية ، التى لم تغلق باب الاجتهاد ، زاخرة بأعداد لا بأس بها من « المجتهدين » .. ومع ذلك فلم يحدث أن رأينا واحدا من هؤلاء « المجتهدين » يتخذ موقفاً نقديا من الأساطير التى يتمحور حولها تراث مذهبه الاعتقادى ؟! فأين « الاجتهاد » هنا ؟! .. وماذا على المجتهد أن يصنع إذا هو لم يجدد حياة الأمة منطلقاً من تحرير عقلها وتجديد عقائدها التى طمس تألقها ركام الأساطير ؟! ..

نعم .. قد لا تكون تلك خاصية ينفرد بها هؤلاء « المجتهدون » .. فنحن نشهد فى « العلم الطبيعي » « علماء » أفذاذا فى مجالات تخصصهم ، ومع ذلك نراهم أسرى للخرافات والخزعبلات ! .. وفي الحركة الصهيونية ـ على سبيل المثال ـ نجد « علماء » لامعين ، ومع ذلك يتملك عقلهم الايمان بأساطير العهد القديم ، بل ويسعون إلى تحويلها إلى قومية ودولة وواقع معاش !! .. هنا غاب المنهج العلمي ، وتخلف التكامل الثقافي ، وتراجع التنسيق بين فروع المعرفة ، فكان لدينا ـ فى الحقيقة وواقع الأمر ـ : رجال مهرة ونابغون فى « حرفهم » و «صنائعهم» ،(يعملون ظاهرا من الحياة الدنيا) ، ولكنهم لا يرتقون إلى مرتبة «العلماء» المالكين للمنهج العلمي والتصور المتكامل لفروع الثقافة ومجالات العلوم .. وبالمثل ، فان «المجتهد» الذى يقبع في ميدان الفقه ـ بعد أن انتهت المعارك الحقيقية فى هذا الميدان ـ لا يمكن أن يكون فارس العصر ، فهو ليس « المجتهد » بالمعنى الحقيقى والمعاصر للاجتهاد ؟ ! ..

فليس « الفقه » ـ بالمعنى والحدود التقليدية له ـ هو الميدان الذى يلح علينا كي نفتح الباب للاجتهاد ... وليس طلاب علم الفقه هم أهل الاجتهاد الذين يحتاجهم العصر الذى نعيش فيه .. وليس الفقهاء وأشباه الفقهاء فى بلادنا ـ وحدهم ـ هم فرسان ميدان الاجتهاد !

إن أمتنا تقف ـ حقا لا مبالغة فيه ـ فى مفترق الطرق :

● أمام الاستعمار الجديد ... وشركاته المتعددة الجنسية .. والنمط الاجتماعي الذى تخلقه حضارته الاستهلاكية .. والكيان العنصرى الاستيطاني الذى يحرس مخططاته ... ماذا نصنع ؟ .. وكيف تكون المواجهة ؟ .. وهل لدينا من تراثنا الحضارى ما يحدد ملامح « البديل » ؟! ..

● وأمام التخلف الحضارى ، وخاصة أسبابه الذاتية والداخلية ، ماذا نحن صانعون كي نفلت من قيوده ؟ .. وماهو النموذج الذى علينا أن نبشر به ونسعى لتسويده ؟ .. وأى عصر من عصورنا الحضارية والتاريخية هو بالنسبة لحاضرنا ومستقبلنا نقطة الانطلاق ، وتربة الجذور ، والأوتاد التى نمد إليها الخيوط ؟؟ ..

● وإذا كانت قضيتنا ، فى الجوهر والأساس ، هي « التخلف » .. فهل يحلها أن نسعى للحاق بالغير ، حتى ولو أصبحنا وإياهم أبناء حضارة واحدة ؟!.. أم أن لأمتنا ، حضاريا ، طابعاً متميزاً ، الأمر الذى يفرض علينا أن نحارب « التبعية » حربنا « للتخلف » ، بل ربما أكثر ، إذ بدون « الاستقلال » الحقيقى ، وعلى رأس بنوده « التميز » الحضارى ، لن نتجاوز التخلف ، اللهم إلا إذا فقدنا ماهو أعز من « التقدم » فقدنا الهوية والذات ؟!..

في هذه القضايا ، ومثلها ، يجب الاجتهاد ... وإلى هذه الميادين يجب أن تستنفر الأمة فرسانها المؤهلين للاجتهاد فى هذه الميادين .. فذلك هو الاجتهاد الحق .. وهؤلاء الفرسان هم أولو الأمر ، الذين أوجب الله طاعتهم ، وهم الأئمة الحقيقيون لاجتهاد العصر الذى نعيش فيه .

د. محمد عمارة

بنفسجة الغياب

شعر : حسن طلب



فوزى العنتيل

أرسلت اليه أسأله عن ديوانى «أزل النار فى أبد النور» وأحدثه فى شئون الشعر ، ولم أكن أتصور أن خطابه الأخير سيجيء مع نبأ وفاته ، فالى روح الشاعر النبيل فوزى العنتيل ، أهدى هذه القصيدة .

أبكيك ؟
أم أبكى الوطن ؟
أبكيك ؟
أم أدع البكا للنيل ..
حتى يسترد فضلة الحزن القديم ..
ويتزنّ ؟!

أبكيك أم أبكى الوطن ؟
أبكيك .. أم أشكوك ؟
أم آتيك أم أرجوك ؟
إنى اليوم لن أرثيك ..
إلا أن تقر بأن سترثينى غداً !!
فدع القصائد تتشى بالدمع ..
دع شعرى وشعرك يبكيان دماً ..
ودع شعرى وشعرك يذهبان سدى ..
وضع كل «العَروض» معاً ..
وقل :
لله درك يا بنفسجة الشجن

• • •

وصل الخطاب
ووصلت أنت ..
فيالوقت فر من وقت !!
ويالكما ذهاباً فى إياب !
قل لي بربك :
كيف كنت وقد أتى الآتى اليك ـ عليك ؟
.. كيف نضا الاهاب
عن حُر وجهك ..
دون أن ترمى بسهم الشعر طلعته ؟!

لماذا لم تدع لي فرصة حتى أرد عليك
كيد الشعر ؟
أو أدع الدواة ترى خيالك فى الكتاب ؟!

أولم يكن ما بيننا يكفى لكى يتقهقر الآتى الغريب
وينتحي ؟
أولم يكن هذا الرسول ليستحى ؟!
أولم يكن هذا العتاب .. ؟!!
إن القصيدة حرضتنى ضد موتك
.. والقصيدة أوغرت صدرى عليك
فلم أجرب فيك ماء الحزن
لا وأبيك لم أبك
القصيدة خاصمتنى فيك ..
ويحك ..
لا تظن بى الظنون ، فما بكيتك .. إنما
وتر الرباب
هو ما يئن الآن تحت مناسبات الدمع
.. أو يتلو عليك بقية الرد الذى لم تنتظره
.. ويقتضيك صدى الجواب
ـ ولا جواب !

• • •

إن القصيدة راودتنى منك عنك
.. فما بكيتك ..
بل ضحكت ضحكت حتى كبلتنى الروح
.. ثم شربت حتى أطلقتنى !
لا تظن بى الظنون
.. فليس ما فى الكأس خمر
إنه شعر مذاب
فاشرب الى أن يستتب لك الزمان
.. ويستضيء بك التراب
وقل : التحية للصدى النائى
الوداعَ لصورة المرئى فى الرائى !
وقل :
لا در درك يا بنفسجة الغياب
لا در درك يا بنفسجة الغياب

د. محمد الدسوقي

معنى إنزال القرآن في رمضان

مما لا مراء فيه ولا خلاف عليه أن القرآن الكريم لم ينزل جملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما نزل منجماً تبعاً للحوادث في بعض الأحيان، وقد بين الكتاب العزيز سر هذا التنجيم في آيتين من آياته ، يقول الله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » (٣٢ ـ الفرقان) ، أى أنزلناه مفرقاً ليقوى فؤادك على حفظه وفهمه ، إذ كان النبى أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، ومن العسير على مثله أن يحفظ القرآن جملة واحدة .

ويقول الله تعالى أيضاً « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا » (١٠٦ ـ الاسراء) أى أنزلناه مفرقاً لتقرأه على الناس على مهل وتؤده ، فيكون ذلك أيسر لحفظ الناس إياه وأعون على فهمهم له ، وعلمهم بما فيه .

وإذا كان القرآن قد نزل مفرقاً طوال عصر البعثة وهو نحو ثلاثة وعشرين عاما ، فما معنى إنزال القرآن في رمضان ؟ « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٨٥ ـ البقرة) .

لقد اختلف المفسرون والفقهاء فى معنى انزال القرآن فى شهر الصيام ، فمنهم من ذهب الى أن القرآن نزل جملة فى رمضان من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فجعل فى بيت العزة ، ثم أنزل على الرسول مفرقاً بعد ذلك ، ومنهم من يفسر نزول القرآن في رمضان بابتداء نزوله ، ويقبل هذا الرأى كثير من المفسرين قديماً وحديثاً .

ويرى بعض المعاصرين أن ما ذهب إليه الفقهاء والمفسرون من تفسير لمعنى

> "وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا"

إنزال القرآن فى رمضان غير سديد ، لأنهم قصروا النزول على المعنى المادى من الانتقال والهبوط ، وليس هذا كل معنى الكلمة ، فقد استعملها القرآن في حسيات ليس فيها انتقال ولا هبوط ، كقوله : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » (٢٥ ـ الحديد) ، ولا هبوط فى الحديد ولا انتقال من مكان الى مكان ، وقوله تعالى: «يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم » (٢٦ ـ الأعراف) . وليس يعنى الانزال هنا الانحدار من الأعلى إلى الأرض .

إن من معاني الانزال تقريب الشيء والهداية إليه ، وبهذا يمكن تفسير معنى انزال القرآن فى رمضان بتقريبه الى الناس وهدايتهم إليه وإيناسهم به واقبالهم عليه ، وهذا المعنى ـ وإن كان لا يتناقض أو يتعارض مع ما ذهب إليه عامة المفسرين فى الماضى والحاضر ـ يضفى على شهر الصيام معنى روحياً طيباً ، وهو أنه شهر القرآن ومدارسته والانتفاع بهديه ، والاغتراف من ينبوعه الذى لا يفيض .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من تلاوة القرآن فى رمضان وأن جبريل عليه السلام كان يعارضه بما نزل من القرآن فى كل سنة مرة فى رمضان ، وأنه عارضه به مرتين فى العام الذى قبض فيه الرسول .

فرمضان شهر القرآن تنزيلا ومراجعة وترتيلا وتدبراً وهداية ، فهو أعظم الشهور على الله ، نكر اسمه فى كتابه دون سائر الشهور ، فلم يرد فى القرآن اسم شهر سوى رمضان .

إن إنزال القرآن في رمضان إذن يعنى تقريبه الينا حتى يكون لنا نورا فى حياتنا ، نهتدى بهديه ، ونحكمه فيما شجر بيننا ، أو فيما يجد من أحداث ونواجه من مشكلات لا نحيد عن ذلك ولا نفرط ، وإن نحن فعلنا ما أمرنا الله به كانت لنا العزة فى الدنيا والفوز بدار السلام فى الآخرة .

وحين نصت الآية الكريمة على انزال القرآن فى رمضان ، نكرت أن هذا القرآن « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » وكان من الممكن استغناء الآية عن هذه العبارة دون أن يتأثر المعنى الذى من أجله نزلت ، وهو بيان ميقات الصوم المفروض على المؤمنين ، ولكن ذكر هذه العبارة ينبه الأذهان إلى أن القرآن لم ينزل لأمة خاصة ، وإن كان بلسان عربي مبين ، فهو هدى للناس ، وكلمة الناس تتسع فى مدلولها لتشمل البشرية كلها منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كذلك ينبه ذكر هذه العبارة إلى المقصد الأول من إنزال القرآن ، فهذا الكتاب العزيز الذى لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه قد جاء للناس هداية لهم ، جاء للناس ليعملوا به ، وليكون فرقاناً بين الحق والباطل ، فليس المقصد الأول منه تلاوته فى المحافل وعلى المقابر ، أو حمله على الصدور كالتمائم أو وضعه فى حجرات البيت كلوحة جميلة تزين الجدران .

وهذه العبارة تتضمن معنى ثالثاً تشير إليه ولا تتحدث عنه صراحة ، وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى : « وبينات

من الهدى والفرقان » أى أن هذا القرآن الذى هو هداية للناس فيه الدلائل والشواهد التى تفرق بين الحق والباطل، وسبيل الوقوف على هذه الدلائل هو التفكير والنظر العقلى ، فكأن تلك العبارة تبين أن الايمان الراسخ والاعتقاد الصحيح الذى لا تنال منه رياح الشك والظنون هو الذى يقوم على دعائم من التدبر والتفكير فى النفس الانسانية ، وفى خلق السموات والأرض، وما أودع الله فيهما من كائنات « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (٢١ ـ الذاريات)

«إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » (١٩٠ ـ آل عمران) « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (١٠١ ـ يونس)

والآيات القرآنية فى هذا المجال كثيـرة ، وهى تشهد بأن الاسلام دين العقل والتفكير ، وأن على المسلمين أن يتدبروا و يتفكروا ويبحثوا وينظروا ، ليحققوا معنى العبودية الخالصة ، وليحققوا كذلك سيادة كلمة الله فى دنيا الناس بالايمان والعلم والعمل .

إن رمضان فرصة سنوية للطاعات والقربات ، وفرصة أيضاً تذكر المسلمين بأن القرآن الكريم كتاب يهدى للتى أقوم، لعل هذه الذكرى تنفعهم فلا يعتصمون بغير كتاب الله ، ولا يتبعون سبيلا سواه فهو وحده السبيل المستقيم « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٥٣ ـ الأنعام) .

دكتور محمد الدسوقي
جامعة الفاتح

هكذا تكلم جمال الدين الأفغاني

● إن الطبيعة أحكم فيك ، فهي تدبر نفسها ومن يترك شيئا عاش بدونه .

● أحقر الناس من يطلب موت الناس ليحيا . وأعظمهم من يستميت ليحيى ولو واحد من الناس .

● صاحب القلم لا يحتاج الى عصا ..

● ما مات أحد فى حب أمته ، إلا وأحبته .

● لا أمة بدون أخلاق ، ولا أخلاق بغير عقيدة ، ولا عقيدة بغير فهم .

● أحقر صناعة لنحات ، أنفع من تقعر النحاة ..

● من عجز عن اصلاح نفسه ، كيف يكون مصلحاً لغيره .

● من تولى زمام أمور الجمهور ، لا غنى له عن مرآة وكتاب تاريخ صحيح ، فكما أن المرآة تريه شخصه على علاته ، هكذا التاريخ ينقل أعماله فى حياته .

● الأديب فى الشرق يموت حياً ويحيا ميتاً .

● من قال ان الدين يأمر بالعسر دون اليسر وبالضار دون النافع لمجرد التقليد والمألوف فهو كذاب .

● المعوج الظاهر من الناس أقل ضرراً من الملتبس بالاستقامة .

● محدث النعمة بالمال يستعرضه فى كل مكان ومحدث النعمة بالعلم يلقيه على كل انسان .

● من الغرائب فى طبائع الانسان أنه إذا رضي استحسن القبيح واستسهل الصعب ، وإذا غضب عكس الأمر فيستقبح الحسن ويستعصب السهل ، فلو مزج الانسان ساعة رضاه فى ساعة غضبه لوقع على الهيئة المتوسطة وفاز بالفضيلة .

● كل عناصر الوجود فى هذا العالم الفاني خاضعة للعقل المطلق الانساني ، فكل مستحيل اليوم فى الطب والصناعة سوف يكون غداً ممكناً .

● انصرفنا عن الأخذ بروح القرآن والعمل بمعانيه ومضامينه إلى الاشتغال بألفاظه وإعرابه ، فوقفنا عند بابه ولم نتخط إلى محرابه .

● لو يحاسب الانسان نفسه كما يحاسب غيره ، لقل خطؤه وقرب من الكمال .

● الأعمى من يظن جميع الناس بدون أبصار .

● تبلغ المرأة بضعفها ما لا يبلغه الرجل بقوته .

● هل من حاجة للاتيان بالأدلة وضرب الأمثلة على أن أصغر الأمم ناهضت أعظم الدول وظفرت بحاجتها ونالت حريتها واستقلالها .

● إن هذا « الاستعمار » لغة ، واصطلاحاً ، مصدراً واشتقاقاً ، لا أراه إلا من قبيل اسماء الأضداد وهو أقرب الى «الخراب» و « التخريب » وإلى « الاسترقاق » و « الاستعباد » منه الى « العمار والعمران والاستعمار » !

إعـــلان

دولـــة قطـــر
وزارة الماليـــة والبـــترول

تعلن ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول بدولة قطر عن حاجتها لشغل الوظائف التالية بادارة الطيران المدنى بوزارة المواصلات والنقل وفقا للشروط التالية :

الوظيفة	المؤهل العلمى والخبرة العملية	الدرجة الحلقة	المرتب الشـــهرى من	المرتب الشـــهرى الى	الجنسية
١ ـ محاسب	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة مدتها ثلاث سنوات فى مجال المحاسبات الحكومية ولديه المام باللغة الانجليزية .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٢ ـ رئيس شئون الافـــراد	بكالوريوس تجارة شعبة ادارة اعمـــال	د٤/ح٢	٣٧٥٠/ـ	٤٥٠٠/ـ ريال	قطـــــرى
٣ ـ باحث قانونى	ليسانس حقوق مع خبرة مدتها سنتين في مجال العمل .	د٤/ح٢	٣٧٥٠/ـ	٤٥٠٠/ـ ريال	قطـــــرى
٤ ـ مسئول متابعة	الشهادة الثانوية العامة أو مايعادلها مع خبرة مدتها ثلاث سنوات فى المجالات الادارية بعد الثانوية التجارية أو خمس بعد الثانوية العامة .	د١/ح٣	٣٢٥٠/ـ	٣٦٥٠/ـ ريال	قطـــــرى
٥ ـ مشرف خدمات	الشهادة الثانوية التجارية مع خبرة مدتها سنتان اذا كان مؤهله الثانوية العامة .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطـــــرى
٦ ـ سكرتير	الشهادة الثانوية التجارية أو الثانوية العامة مع خبرة لمدة سنتين فى مجال العمل بالنسبة للقطرى واربع سنوات في اعمال السكرتارية بعد الثانوية التجارية بالنسبة لابناء الخليج والدول العربية .	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٧ ـ طابـــع	الشهادة الثانوية التجارية مع خبرة لا تقل مدتها عن أربع سنوات في اعمال السكرتارية والضرب على الالة الكاتبة وان يجيد اللغة الانجليزية .	د٣/ح٣	٢٤٥٠/ـ	٢٨٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
٨ ـ كاتب حسابات	الثانوية العامة أو ما يعادلها ويفضل من لديه خبرة فى مجال الحسابات .	د٣/ح٣	٢٤٥٠/ـ	٢٨٥٠/ـ ريال	قطـــــرى
٩ ـ مساعد مراقب عمليات جوية	الثانوية العامة أو ما يعادلها بالاضافة الى دورات فى مجال العمليات الخاصة بالطيران مع خبرة عملية لا لا تقل مدتها عن أربع سنوات فى مجال العمل	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية
١٠ ـ مشرف محطات ارصاد جوية	شهادة رصد من معهد للارصاد الجوية معترف به أو ما يعادلها مع خبرة لا تقل مدتها عن سبع سنوات فى	د٢/ح٣	٢٨٥٠/ـ	٣٢٥٠/ـ ريال	قطرى أو من ابناء الخليج والدول العربية

الوظيفة	المؤهل العلمى والخبرة العملية	الدرجة الحلقة	المرتب الشهرى من	المرتب الشهرى الى	الجنسية
	مجال الرصد ويفضل من عمل سابقا مشرفا فى احدى محطات الرصد وان يجيد اللغة الانجليزية .				
١١ ـ رصد جوى	شهادة رصد من معهد للارصاد الجوية معترف به أو ما يعادلها مع خبرة لاتقل مدتها عن خمس سنوات في مجال الرصد باحدى محطات الارصاد الجوية أو البحرية.	د٣/ح٣	٢٤٥٠/ـ	٢٨٥٠/ـ ريال	قطرى أومن ابناء الخليج والدول العربية
١٢ ـ كتب مخازن	الشهادة الاعدادية ويفضل من لديه خبرة فى مجال العمل	د٤/ح٣	٢٠٥٠/ـ	٢٤٥٠/ـ ريال	قطـــــرى
١٣ ـ عمل هاتف	الشهادة الابتدائية أو دورة تدريبية من احد المعاهد وسبق له أن عمل على التلكس وملما بأعمال البدالة .	د٢/ح٤	٢٠٥٠/ـ	٢٤٥٠/ـ ريال	قطـــــرى

شـــــــــروط عـــــــامـــة

يمنح من يقع عليه الاختيار لشغل احدى هذه الوظائف كافة المزايا الملحقة بها كالاجازة الدورية والعلاوة الاجتماعية وعلاوة بدل السكن ومكافأة نهاية الخدمة وذلك كله طبقا للقواعد المقررة بقانون الوظائف العامة المدنيـــة .

تقدم الطلبات خطيا باسم السيد / مدير ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول (قسم التعيينات) ص.ب ٣٦ ـ لدوحة ـ قطـــر خلال ٣٠ يوماً من تاريخ نشر هذا الاعلان ، على ان يتضمن الطلب جميع البيانات الخاصة بالطالب كالسن ـ الحالة الاجتماعية ـ المؤهل العلمى والخبرة العملية ـ العمل الحالى والسابق التفاصيل الكاملة عن جواز السفر اربع صور حديثة وصور عن المؤهل العلمى والخبرة معتمدة من السلطات المختصة . يكتب على الظرف الخارجى طلب وظيفة .

حسّـــان عطـــوان

الاتجاه الواقعي الملتزم في شعر الخليج العربي

فى عـــدد سابق .. نشرت « الدوحة » الجزء الأول من هذه الدراسة تحت عنوان « اتجاهات الشعر الخليجى فى مرحلة ما بعد ظهور النفط » . وهذا هو الجزء الثانى والأخير من الدراسة :

ا ـ التيار السياسى الملتزم:

هذا الاتجاه يضم أعمق نماذج الشعر العربى الخليجى ؛ فيه تحس بتجذر الشعر والشاعر الى حد الفناء بالأرض .. وفى قلب كل شاعر سيف .. وفى عينـه تموج رؤى بلا حدود .. ورغم كل شـىء .. تجد نورا ما بين قلوبهم وعيونهم .. ولا أغالى إذا قلت أن التزام الشعراء الخليجيين بالأرض والانسان ؛ يعتبر نموذجاً فريداً فى النقاء والوعى ..

يا أيهـــا الخليـج

وكيف أنت أزرق على جدار قاعه السلطان وأخضر على خرائط الغزاة
وكيف أنت أحمر تضج بالأنين ،

وأكاد اعتبر الشاعر (البحرينى) (على عبد الله خليفة) أحد أهم الأصوات الشعرية الخليجيةبله العربية .. إنه لا يغادرك قبل أن يودع فى سرك « أمراً » يحلفك أن تأتمنه ؛ إنه الوطن النائم المشرش حتى الكآبة ..

فى هذه المجاهل الموغلة الكآبة
مابين هجعة النخيل فى العراء وامتداد حزن غابه
سأحضن المعزف بعد غيبة طويلة ..

ولأن (علياً) وعى الجرح والمظاهرات الحاشدة فى مارس ١٩٦٥ .. وسقوط الكادحين برصاص الاستعمار .. يكتب ..

قطرات من دمائك صبغت حائط بيت
فى طريق للمدارس
وصدى طلقة نار
سجل الرابع والعشرين صبح الأربعاء
كان يوماً نابضاً من شهر مارس
يافعاً بين الزحام
عندما اجتاح لظى النيران اشتات المواكب .
واقفاً ظل .. ونادت صرخة المحكوم كلا
أيها الأطفال فى كل زمان
آه ما جدوى حياتى .
أطلع الشمس وإلا .. شمعة أوقد فى قلب الظلام
صامداً ظل .. وطاشت فى وجل وهنـا ،
قبل الأرض طويلا ..
واشتعل ..

إن نضج الرؤية الشعرية الملتزمة سياسيا لدى « على عبد الله خليفة » و « قاسم حداد » و «علوى الهاشمى» تجعل منهم مدرسة متميزة فى الشعر الواقعى الخليجى الملتزم .. فقد صدروا جميعا عن رصد القضايا الوطنية والقومية .. وحللوها تحليلا موضوعياً .. وليرسموا الطريق الأمثل للانسان بعيداً عن (الترهل) و (الدوغماتية) و (التبسيطية)

يكتب (علوى الهاشمى) .. عن الوطن
أعرف انك مثلى .. تصنع من حزنك
ارغفة وتطوف بها كل بيوت الفقراء
تكتب فوق الأبواب الموصدة /
بالجوع وبالنسيـــان /
« قمر الحزن رغيف ابيض »
وتسافر كالريح الثلجية
عبر تجاعيد الصحراء
لكنك ياوطنى / تتألق مثل النجمة /
فى خاطرة الظلمة /
والفرس العربى الكابى مازال على ساحات الموت . رهين الكبوة ..

هنا .. حيث لا مناص من أن يعترف الشاعر (الهاشمى) .. أن الموت يترصد ويتحين الفرصة فى هذا الوطن ولكن لابد من عناق الأرض بالدم .. فلا سبيل الى اليأس .. فيقول :

وطنى ان أكتب شعراً فيك
يعنى أن أمشى فوق جسور النار
يعنى أن افقد هذى الأرض توازنها
تطأ الأقدام الحافية التيجان
ويصير العالم ميداناً لصهيل الفرس العربية .
هذا جسدى وردة عشق تتفتح فى كل مناخات الأرض الدموية
تطلع فى كل فصول الموت الوحشية
تنمو مابين الحافر والحافر
تحت الفرس الكابى .
وتطول على السيف وقامات السيافين

ب ـ التيار الاجتماعى الملتزم :

وشعراء هذا التيار من شعراء الخليج العربى ؛ يصدرون عن وعي شمولى .. واحساس دافق وحار بمعاناة الانسان الخليجى .. ولا سيما وهو يصارع الطبيعة .. ويكابد أهوال البحر ؛ باحثاً

محمد الفايز



علي عبد الله خليفة



عن لقمة العيش بشرف وكرامة .
ومثل هذا التيار الاجتماعى الوطنى الملتزم ..
(على السبتى) و (محمد الفايز) .

(فعلي السبتى ١٩٣٥ ـ ...) يؤكد على حرية المجتمع وامتلاكه لخيراته وثرواته .. ولكن وعيه يتحدد من خلال رؤية شمولية للغد وما سيلاقيه الانسان إذا لم يتحرر.يقول السبتي :

مدينتى كأنها تمثال
بلون مزركش لكنه تمثال
حتى النساء فى مدينتى بلا آمال ..
ببيع يشترى يستأجر الرجال ..
كل شىء فى مدينتى له ثمن
لجنس والأطفال والسكن

ود يا مدينتى أن أجمع الحجر
بأمر القدر
نيغسل المدينة التى أحبها من البشر.
مدينتى متى أراك تزدهين بالبشر ..

ان وضوح (الأسود) و (الأبيض) وما بينهما من تناقض يجعل شعراء هذا التيار الاجتماعى الملتزم .. لا يزيفون الحقيقة .. ويجابهون بصدقهم المطلق ارتكاس الواقع ويرسمون الطريق الايجابى للخلاص . (فليس المال كل شىء) هذا ما يريدون أن يؤكدوه فى نهوض الواقع وتخطيه لأزماته .. فالانسان هو الأهم (مدينتى متى أراك تزدهين بالبشر) هكذا تؤكد رؤية (السبتى) طريق الخلاص .. ولا ينسى (السبتى) أن يوجه انتقاديته لكل القيم السكونية والتى تاكلت وعفى عليها الزمن .. فهو يريد أن يفك أسر الحياة .. ويحررها .

أما (محمد الفايز ١٩٣٢ ـ ...) فيقف طويلا أمام معاناة انسان الخليج ومظاهر الطبيعة القاسية .. فهو يكابد الغياب فى

علوى الهاشمى



حمدة خميس



المجهول من أجل صدفة ؛ من أجل اللقمة الشريفة . ولا يفتأ أن يعود منتصراً أو لا يعود .. مخلفاً وراءه الذكريات التى لا يمحوها الزمن ولا كر السنين .. يقول على لسان هذا البحار الجواب ..

أركبت مثلى «البوم» و «السنبوك»
و الشوعي » الكبير ؟!
أرفعت أشرعة أمام الريح
فى الليل الضرير ؟
هل ذقت زادى فى المساء على حصير؟
من نخلة ماتت وما مات العذاب
بقلبى الدامى الكسير
أسمعت صوت «دجاجة» الأعماق
تبحث عن غذاء ؟
هل طاردتك «اللخمة» السوداء
و « الدول » العنيد ؟
وهل انزويت وراء هاتيك الصخور؟
فى القاع و «الرماى» خلفك كالخفير
يترصد الغواص .. هل ذقت العذاب
مثلى وصارعت العباب .. ؟!!..

هكذا إذ تبدو حياة انسان الخليج فى نظر هذا التيار الشعرى .. إنها محفوفة بالمخاطر يتغشاها الموت فى كل لحظة .. وهو يغوص باحثاً عن الرزق .. ولقد نقول إن هذا المظهر قد تراجع وانحسر الآن بعد الثراء .. ـ وإن ظل ـ موجودا فهو فى اطار محدود جدا .. ونرى لدى الفايز وهو يصور « دراما الخطر » شكلا شعريا يعتمد على (القص الشعرى الدرامى) .. فقصيدة البحار .. خير دليل على ذلك الجنس الأدبي .

الاتجاه الرمزى الميثولوجى

وهو اتجاه شعرى أصيل أيضاً فى أصوات شعراء الخليج .. استمد اصوله من حركة الحداثة الشعرية التى بدأها (السياب) و (البياتى) .. وأكدها (عبد الصبور) بعد ذلك .. فنجد معظم شعراء الحداثة .. يحاولون قراءة التاريخ العربى على ضوء نظرة معاصرة .. وهذا ما نجده فى معظم شعر الموجة الحد يثة الجديدة .. وتكاد الشاعرة البحرينية (حمده خميس) ترد مثالا حياً على ذلك .. فهى لا تكتفى برصد الظاهرة العيانية .. بل تمزجها بخلفية ميثولوجية .. لاغناء الحدث الشعرى والرؤية الفكرية فى القصيدة .. ولعل الحديث عن الاتجاه الرمزى الميثولوجى فى شعر الخليج يقودنا آلياً الى الحديث عن مسببات ودواعى الرمز .. ومحاولات استلهام الميثولوجيا ..

وتحديدا يمكن القول : ان هذا الاتجاه لا يرى الصورة العامة صورة مبسطة ولا ساذجة فهي (فعل مركب) .. يتفجر بالدلالات والرؤى اللانهائية .. والرمز أدعى وأدخل فى النفس لأنه يحمل مضامين لا نهائية .. والرمز كأسلوب .. قادر على رصد الواقع والسمو فوقه وتعرية الزيف واماطة القناع عن الخور والجبن والنفاق .. وهذا الشكل الشعرى يحرر الشاعر من وطأة (المباشرة) الفجة الآنية التى تقول على الشىء باسمه ..

تكتب « حمـــدة خميس » عـــن السهروردى يستشرق :

جالس فوق صدرى أراقب حزنى
الذى يشبـه الشمعدان
هاطلا ظله فى ضلوعى /
يدى فوق قـــلبى
واسمع فى داخلى موجة الاحتقان
تلوب / كأن الجنون سماء فؤادى /
كأن الندوب التى فى رمادى
صدى جائع؛ وكأنى/ يدى فوق نبضى .
وأعرف أن السجون ستكسر
وأن الضحايا مرايا بلادى /
وهذى الشظايـا
إذن ايها الرمح جاهر / ولا
توقف القلب عند العذاب
فهذا التراب الصباحى طفل
يزاول لعبته
والغياب البطولى نخل /يوزع
طلع الضحى للتفجر يثمر بحراً وحلماً
فوزع غفاءك فى ساعدى
وخذنى
وخذنى ....

وبعـــد

كانت تلك اطلالة عامة على أبرز الاتجاهات الشعرية الخليجية فى مرحلة (مابعد ظهور النفط) .. حملت كل عمق المعاناة .. وحرارة الواقع .. ونبض الحلم الى غد أفضل .. وعسانى أعود لكل شاعر عربى خليجى .. فى دراسات تفصيلية .. ومتعمقة .. فهم يشألون ظاهرة تستحق التانى والحوار ..

حسان عطوان

التأثير العربي في الأدب العالمي

حي بن يقظان وروبنسون كروزو

يوسف الشاروني

وصف الكاتب الاسباني « منتدث بيلايو » فى كتابه « أصول الرواية » حي بنُ يقظان لابن طفيل بأنها أعظم آثار الأدب العربى اصالة وتفرداً ، ورغم أن الرأى الأكثر اعتدالا أنها «من أعظم» وليست « أعظم » اذا وضعنا فى اعتبارنا عملا فنياً مثل « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعرى وغيرها ، إلا أن هذا القول يدل على مدى ما تحظى به قصة « حي بن يقظان » لابن طفيل من شهرة عالمية وأثرها فيمن جاءوا بعدها . فلا شك أن التشابه شديد مثلا بينها وبين قصة « روبنسون كروزو » لدانيال ديفو (١٦٦٠ ـ ١٧٣١) حتى أنه كثيراً ما يثار التساؤل عن مدى العلاقة بينهما .

إن أقدم ترجمة لحي بن يقظان إلى الانجليزية هى ترجمة « جورج كيث » عام ١٦٧٤ ترجمها عن الترجمة اللاتينية لادوارد بوكوك والتى كانت قد نشرت قبل ذلك بثلاث سنوات (عام ١٦٧١) . كما ترجمها عن الترجمة اللاتينية أيضاً « جورج اشويل » عام ١٨٨٦م ، وظهرت الترجمة الانجليزية الثالثة عام ١٧٠٨م عن المخطوط العربى بالمكتبة البودلية بجامعة أوكسفورد ، قام بها « سيمون أوكلى » أستاذ اللغة العربية بجامعة كمبردج . ومعنى هذا أن «ديفو» كان في الحادية عشرة من عمره عند نشر الترجمة اللاتينية ، وكان فى الرابعة عشرة عندما نشرت الترجمة الانجليزية الأولى ، وكان فى السابعة والعشرين عندما نشرت الترجمة الانجليزية الثانية ، وكان في الثامنة والأربعين عندما نشرت ترجمة أوكلى فى عام ١٧٠٨ علما بان ديفو نشر روايته عام ١٧١٩م عندما كان فى التاسعة والخمسين من عمره .

دراسة مقارنة

ويعلن الاستاذ حسن محمود فى الجزء الأخير من رسالته (حي بن يقظان وروبنسون كروزو : دراسة مقارنة ، جامعة عين شمس ، مطبوعة على الاستنسل ، ١٩٨٠م) والذى خصصه لبيان أوجه المقارنة بين قصتي حي بن يقظان وروبنسون كروزو ان هذه الترجمات المتوالية لحي بن يقظان الى الانجليزية ـ ومن قبلها الى العبرية واللاتينية ، ومن بعدها الى اللغات الاوربية الأخرى كالألمانية ، والهولندية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والروسية .. الخ ، توضح مدى الاهتمام بالدراسات العربية فى الجامعات الانجليزية فى القرن السابع عشر ، وأن هذا الاهتمام كان له أثره الذى لا ينكر فى ذيوع قصة « حي بن يقظان » بين قراء الانجليزية .

ويعلن صاحب الرسالة فى شجاعة علمية أنه



أحد الاسكتشات المرسومة لقصة روبنسون كروزو

بالرغم من أن رسالته تفترض صلة تاثير وتاثر بين قصة «حي بن يقظان» لابن طفيل ورواية «روبنسون كروزو» لدانيال ديفو، ألا أن هذه الدراسة لاتدعى، ولا ينبغى لها أن تدعى، أن «حي بن يقظان» كانت المثال الوحيد الذى وضعه ديفو نصب عينيه عندما شرع فى كتابة روايته. ثم يستطرد قائلا انه لايعيب دراسته ان تشير الى مصادر أخرى محتملة ربما كان لها أثر - قل أو كثر - على الفنان ديفو بل أن الامانة العلمية تقتضى مثل هذه الاشارة. (المرجع السابق، ص ٢٨٦).

فمن المصادر المحتملة التى أمدت «ديفو» بما انتفع به سواء فى القالب القصصي أو في الأفكار العامة التى ضمنها روايته، كتب الرحلات التى كانت شائعة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، بل كانت اللون الأدبي المفضل لدى القارىء العادى. ولعل من أهم هذه القصص قصة البحار الأسكتلندى «اليكسندر سيلكيرك» المتوفي عام ١٧٢١م والتى نشرت عام ١٧١٢ أى قبل نشر رواية «روبنسون كروزو» بسبع سنوات. وقصة «سيلكيرك» مدينة فى ذيوعها الى كتاب «رحلة بحرية حول العالم» الذى كتبه القبطان الانجليزى «وودز روجرز» ونشره فى عام ١٧١٢م. وقد كان «سيلكيرك» فى رحلة بحرية مع القبطان «وليام دامبيار» فى ربيع عام ١٧٠٣. وفى سبتمبر من عام ١٧٠٤م وصلت السفينة التى كانت تقل البحارة الى جزيرة «خوان فيرنانديث» وهناك دب خلاف بين «دامبيار» وأحد بحارته كان من نتيجته ابعاد «سيلكيرك» وتركه مهجوراً على أرض تلك الجزيرة بعد أن زوده ببعض المؤن والملابس وكتب العبادة. وقد تعذب «سيلكيرك» فى الأشهر الثمانية الأولى بسبب الوحدة والرعب والحنين. ثم أخذ يتكيف شيئاً فشيئاً، فبنى كوخين احدهما للسكن والآخر لاعداد الطعام، وأخذ يتغذى على لحوم الأغنام وأنواع النباتات والفواكه، وتعرض للموت أكثر من مرة. وظل «سيلكيرك» على هذا الحال حتى عام ١٧٠٩م عندما وصلت الى ساحل الجزيرة سفينة تتبع الحملة التى كان يقودها «وليام دامبيار» و «وردز روجرز»، فنقلاه معهما الى البر الانجليزى عام ١٧١١م وروى قصته لووردز روجرز بلغة انجليزية كانت قد صدئت من قلة استعمالها حتى انه لم يفهمه إلا بصعوبة بالغة.

وتلي قصة «سيلكيرك» فى الأهمية قصة القبطان الانجليزى «روبرت فوكس» التى كانت قد نشرت فى كتاب «قصة تاريخية من سيلان» عام ١٦٨١. وكان «ديفو» على علم تام بها لأنه أورد ملخصاً لها فى كتابه «الكابتن سنجلتون» الذى صدر عام ١٧٢٠م

كان فوكس ووالده وعدد من الرجال قد نفوا الى جزيرة سيلان، وفى ظروف الأسر هذه مات عدد منهم كان والد «فوكس» منهم. وبعد تسعة عشر عاماً تمكن «فوكس» وأحد رفاقه من الهرب فى ظروف محفوفة بالخطر والالتجاء الى أحد المستعمرات الهولندية. ورغم أن «فوكس» لم يكن وحيد أبل معه رفاقه فى بلد ماهول إلا أن هناك أكثر من وجه شبه بينه وبين «روبنسون كروزو»، فقد كان على



دانيال ديفو

«فوكس» أن يحل مشكلتي المأوى والملبس. فقد ابتنى عددا من البيوت كما فعل «كروزو»، وامسك بالماعز واستانس كثيرا منها، وارتدى ملابس من صنعه هو، وكان ينفق الكثير من وقته فى القراءة والتأمل الدينى، وأورد وصفاً للكيفية التى صنع بها أوانى خزفية وسلالا، بل هناك مزيدا من التماثل فى طبيعة السرد القصصى كطريقة التعبير عن مرور الزمن فضلا عن الشبه فى الاسلوب واللغة.

ومن الكتب المهمة الأخرى التى يفترض أنها من مصادر «ديفو» كتاب «رحلة جديدة حول العالم» الذى ألفه القبطان الانجليزى المغامر «وليام دامبيار» ونشره عام ١٦٩٧ وظهر الجزءان الأخيران منه عامي ١٧٠٣، ١٧٠٩ على التوالى. ومما يعزز مظنه رجوع «ديفو» إليه أنه ألف كتاباً هو أيضاً يحمل نفس العنوان «رحلة جديدة حول العالم» نشر عام ١٧٢٤ وضمنه بعض المعلومات التى استقاها من كتاب «دامبيار» وغيره من كتب الأسفار التى كانت تحتويها مكتبته مع ملاحظة أن «ديفو» لم يكن بحاراً ولم تقع عيناه على أى من الجزر أو الشعوب التى أورد وصفاً لها فى كتابه.

ثم يأتى كتاب سيمبليسزموس

للكاتب الألماني «جريجلزهاوزن» الذى نشره فى عام ١٩٦٩م، ويعنينا منه مغامرات البطل الأخيرة عندما تحطمت به سفينته بالقرب من ساحل جزيرة مدغشقر. أن بعض محاولات بطل هذه القصة صنع أوانيه من التراب، وكذلك قياسه الزمن، وتصرفات تشبه مثيلاتها فى المحاولات التى قام بها كروزو.

وهناك عدد آخر من الكتب المشابهة والتى تتباين فى التفصيلات لكنها كلها تروى قصص مجموعات أو أفراد وجدوا أنفسهم على جزيرة مهجورة أو ماهولة فعاشوا فيها سنوات حتى تم العثور عليهم أو الهرب منها.

ويقلل البعض مثل «بول هنتر» من تأثير «ديفو» بمثل هذه الأمثلة والتجارب، ويرى أن «ديفو» كان يتصف بصفتين أساسيتين فهو صحفى وكاتب رواية معاً. فهو كصحفى يهتم بالحدث وكروائى يهتم بالجانب الأيدولوجى. وبذلك فهو يعنيه من الأحداث أن يعزز بها أيدولوجيته أى موقفه الفكرى والخلقى والدينى. ويضيف هنتر قائلا: ولكي نعرف الدور الذى قام به «ديفو» ينبغى لنا أن نعرف الى أى من الكتب تنتمى رواية «روبنسون كروزو» وذلك لأن النهج الذى التزمه «ديفو» أملاه عليه الهدف من الكتاب أكثر مما أملته عليه كتب الرحلات التى يزيد تعدادها عن خمسمائة ... ولما كانت تلك المعلومات موجودة في الموسوعات والمعاجم فانه يصعب على المرء تحديد أى من هذه المراجع جميعاً كان له الأثر الأكثر وضوحا. ويقول ان رواية روبنسون كروزو ليست من أدب الرحلات بل أن لها غاية خلقية ودينية، وأن ذكر المواضيع والناس ليس هدفاً من أهدافها ولهذا

يستعرض صاحب الرسالة المفكرين الذين مارسوا تأثيراً ما على الأدب الانجليزى فى القرن السابع عشر والذين اهتم كثير منهم بالحياة البدائية والبدائيين وبالطبيعة ويختم صاحب البحث استعراضه لهذه النقطة من البحث - المصادر التى يفترض أن لها تأثيرا فى رواية روبنسون كروزو - إلى أن ما دفعه الى ذلك هو الأخذ «بمبدأ الأمانة العلمية وبسط الحقائق كاملة على الرغم مما يحمله هذا البسط من ايجاد نوع من الاحباط فى نفس من يتتبع هذه الدراسة وكله أمل فى أن يرى تأثير «حي ابن يقظان» واضحاً جلياً لاينازعه فى هذا التأثير منازع.» ثم يستدرك قائلا: اننا لا ننكر أن يكون من هذه المصادر ما قد أمد «ديفو» ببعض التفاصيل أو الأفكار، ولكن «حي بن يقظان» تبقى العمل الفني الفكري المتكامل الذى يغرى بالتأثر والمحاكاة من دون كل تلك المصادر.» (المرجع السابق ص ٣١٦).

الفكر الطوبائي

وقصة «حي بن يقظان» تنتمي الى الفكر الطوبائى أو الى ظاهرة خلق العوالم المتخيلة ومع ذلك تحتفظ بخاصية متميزة وتلك هى الفردية، أى انها تعرض صورة مؤثرة لاخاذة لا لمجتمع أو مدينة مثالية كما ألفنا فى الطوبائيات السابقة، بل لجزيرة طوبائية يعيش فيها الانسان المثالي بعيداً عن المجتمعات البشرية «ويتفق المؤلف مع العقاد» فى رد ظاهرة نشأت الطوبائيات بوجه عام الى ظاهرة القلق والضيق بالدنيا وما فيها بسبب اضطراب الجماعة السياسية وسوء الأوضاع الاقتصادية وانحلال الأخلاق مما يدفع صفوة ممتازة من رجال الفكر لأن تتصور عوالم من صنع الخيال تتحقق فيها ما عجزت عن تحقيقه فى واقعها العملي. أما ميزة الفردية التى تختص بها قصة «حي بن يقظان» فيرجع صاحب الرسالة ردها الى سوء ظن طفيل بالناس أفرادا أو جماعات وياسه من أن يرى فيهم الخير والصلاح، فهم، كما وصفهم فى قصة «حي» لا ينجح فيهم الوعظ ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة، ولا يزدادون بالجدل إلا اصراراً. وأما الحكمة فلا سبيل إليها، ولا حظ لهم منها، وقد غمرتهم الجهالة.

حي بن يقظان وروبنسون كروزو

ويستدرك الأستاذ حسن محمود حسن فيعلن أن حياة ابن طفيل الشخصية لم يكن فيها إلا اليسر والنعمة ، وليس أدل على ذلك من صحبته لخليفة الموحدين ، فقد كان يقيم في القصر عنده أياماً ليلا ونهارا لا يظهر « كما يقول المراكشي » أحد معاصريه لكن ابن طفيل كان مهموماً بهموم الانسانية . إن طوبائية المتوحد التي تمثلها « حي بن يقظان » تمجد الانسان والعقل معاً وهي تعلي من قيمة الفرد إلى الحد الذي يوصله الى الاكتفاء بالذات وتجعله في غنى عن حياة الجماعة مادام الجهل يحجب عنها نور الحق والحقيقة . لكن هذا الفرد ينبغي أن يتصف بصفات غير عادية من الحيوية والامتياز بحيث يستطيع التوصل الى السعادة التي لم يستطع الوصول اليها في ظل حياة اجتماعية وهذا ما اتصف به حي وامتاز . (المرجع السابق ص ٣٢٢)

فاذا انتقلنا الى رواية « روبنسون كروزو » وجدنا أنها تنتمي الى الأدب الطوبائي ذاته من حيث أنها تقدم عالما من صنع الخيال .. وانها مع ذلك تحتفظ بنفس الخاصية المميزة التي انفردت بها قصة « حي بن يقظان » وهي الفردية . ولكن طوبائية روبنسون كروزو اقتصادية تمجد العمل وترى فيه السبيل الأمثل لبقاء الانسان .

ويرى حسن محمود حسن أن تجربة عزل الانسان عن المجتمع البشري ، وتركه ليحيا حياة عزلة تامة يستطيع في خلالها انجاز ما لا يمكن انجازه ، على المستويين المادي والروحي ، فيما لو ظل في مكانه ومكانته بين الناس ، لهي تجربة فريدة وغريبة في آن واحد . ويرى أن « دانيال ديفو » لم يكن فيلسوفاً ولا مفكراً من مفكري عصره ، فلابد أن يكون قد استلهم قصة « حي بن يقظان » وهو يكتب قصته . ذلك أن تحويل حالة العزلة الى نجاح كان من المتعذر تصوره ، فسيلكيرك نموذج « ديفو » الرئيسي والمنبوذون المشابهون كانوا ينحدرون الى حالة من البدائية التامة في غضون سنوات قليلة . لقد كانوا يتضاءلون ، بسبب تأثير البيئة والخوف والقلق ، الى مستوى الحيوانات ـ وفي بعض الحالات الموثوق بها كانوا يفقدون القدرة على الكلام ، أو يصابون بالجنون ، أو يموتون جوعاً . لقد وضع « ديفو » بطل روايته في جزيرة مهجورة لما يزيد عن ثمانية وعشرين عاماً ، ثم أعاده بعد ذلك الى الوطن مكتمل العقل والبدن ، مما يرجح أن تكون قصة « حي بن يقظان » هي المثال الوحيد والنموذج الأمثل الذي حذا حذوه « ديفو » واستلهمه امكانية النجاح .

عزلة البطل

وعزلة البطل مظهر من المظاهر المشتركة بين حي ابن يقظان وروبنسون كروزو . والعزلة ليست مقصودة لذاتها بل لغايات ترجى منها . فابن طفيل كان يحاول اثبات مقولات فكرية عديدة منها : امتياز العقل الانساني .. وقدرة الانسان اللامحدودة أو الفردية التي يؤكدها ابن طفيل بالرمز والتلميح . أن حي بن يقظان في معنى من معانيها ، احتجاج صامت على أن يظل الفرد مجرد لبنه في بناء اجتماعي يخضع مقهورا لسلطات عدة كسلطة الحاكم وسلطة المجتمع ومايتوارثه من عادات ودين وقيم ، دون أن يكون له رأي في أي منها ، وهو الانسان الذي حباه الله بالعقل ، وبالحواس ، وبالقدرة على الانتفاع بأعضائه على أحسن وجه .. ولم تكن عزلة روبنسون كروزو كذلك دونما غاية ، فهو عندما حطت به الأمواج على ساحل الجزيرة كان مثقلا بالخطيئة وهي عصيانه والديه ـ لكنه لم يكن على وعي بها ، لذلك كان القصد من عزلته تركيز اهتمامه في ذاته ، والالتفات الى سيرة حياته بامعان ونظر ، ودفعه الى التساؤل عن السبب في كل ما حدث ، واظهار الصراع الذي يمر به ، وخصوصاً في مرحلة التحول والهداية .. لم يفت « ديفو » أن يظهر مستويات مختلفة للعلاقات المضطربة بين كروزو والله ، وبينه وبين الطبيعة العاتية ، ثم بينه وبين نفسه . ان نفي كروزو عن عالمه المتحضر الى حيث حطت به الأمواج على شاطىء جزيرة مجهولة ، جعل توبته وعودته الى الله ممكنة .. أما النتائج التي ترتبت على عزلة البطلين فكانت متماثلة تقريبا ، فقد حقق كل منهما نجاحاً عظيماً على المستويين المادي والروحي .

والجزيرة المهجورة مظهر ثالث من المظاهر المشتركة بين كل من العملين . فجزيرة « حي » ترمز لهذا العالم الذي يسعى الى استكشاف كنهه ومعرفة أسراره ، فضلا عما تمثله الجزيرة المهجورة من بساطة وخلو من كل آثار المدنية . وجزيرة « كروزو » تعنى كل ما تعنيه جزيرة حي مع اختلاف يتمثل في معرفة « كروزو » بالعالم الأوسع ، وبأن جزيرته جزء من كل ، ومن ثم ظل كروزو يرنو ببصره الى ذلك العالم ويتوق الى العودة إليه .

ولقد أدرك المؤلفان ضرورة توفير الأمن في الجزيرة لكي لا تتعذر الحياة على بطليهما ، وهو أمن متعدد الجوانب : فهي أولا خالية من الوحوش الكاسرة التي تهدد البقاء ، وهي ثانياً : خالية من الأوبئة والأمراض المستوطنة ، فلم يتعرض « حي » طيلة حياته الى أمراض وكذلك « كروزو » باستثناء المرض الذي أصابه وأدى به الى التوبة . وثالثاً : فان الجزيرتين عامرتان بالخيرات ، وأرضهما خصبة .

والجزيرة المهجورة تكاد تكون مسرح معظم الحدث ، فان حياة البطلين على أرضها تشغل الحيز الأكبر من القصتين ، حتى أن ما يسبقها من أحداث وما يتلوها لا يعدو أن يكون تمهيداً للوصول اليها وتكملة .

ومما يلفت النظر أن مجيء كل من « حي » و « كروزو » الى الجزيرة المهجورة كان قدر كل من البطلين ولم يكن لأي منهما ارادة فيه ، وهو فضلا عن ذلك عقاب على ارتكاب خطيئة . في حالة « حي » لم يكن هو مرتكب الخطيئة وأن انصب عليه العقاب . فقد وقعت أمه في حب ابن عمها « يقظان » الذي بادلها الحب ولكن أخاها الملك لم يجد من بين كل من تقدموا بطلب يدها من يستحق الظفر بها ، فاتفقت مع ابن عمها على الزواج سراً ، وكان حي ثمرة هذا الزواج . ولما خشي أبواه افتضاح أمرهما وضعاه في صندوق القياه في اليم فحطت به الأمواج على الجزيرة المهجورة . أما في حالة كروزو فالخطيئة تتمثل في معصية الابن للأب ، والخروج على ارادته الى أن تحطمت السفينة قرب ساحل الجزيرة المهجورة ، ووجد « كروزو » نفسه ملقى على صخور شاطئها وقد حل به العقاب الصارم .

لكن هذا العقاب الصارم على قسوته ، لم يكن يقصد به هدم الحياة ، بل تصحيح مسارها . وكانت هذه مهمة العناية الالهية التي لعبت دورا ملحوظاً في كلا القصتين ، فنجاة حي من الغرق عندما القى به أبواه الى اليم ، ورعاية الظبية له في طفولته ، وخلو الجزيرة من الأخطار التي تتهدد « حي » أو الظبية بالهلاك ، وتدبير سفينة تقل « حي » و « أبسال » الى الجزيرة الماهولة .. كل هذا يدل على مدى دور العناية الالهية في حياة « حي » . ولم يكن دور تلك العناية في رواية « روبنسون كروزو » أقل مما هي في قصة « حي بن يقظان » . وللعناية الالهية أصولها في كل من الديانتين الاسلامية والمسيحية .

نوعان من المغامرات

وقد كان لحي بن يقظان وروبنسون كروزو نوعان من المغامرات : نوع كان ذا صلة بالبيئة في الجزيرة وهما يلتمسان اسباب الحياة ويحاولان التغلب على الطبيعة واستئناس ما يمكن من احيائها والتكيف معها ، ونوع آخر كان ذا صبغة عقلية وروحية في جانب « حي » ، وروحية دينية في جانب « كروزو » .

ونجد أن مسيرة « حي » بعد صدمته في موت الظبية ، تبدأ بدءا جديدة ، إذ يغلب « حي » الطبيعة بقوتيه العقلية والبدنية ، بحيث يصبح سيد الجزيرة دون غيره من الأحياء ، ثم يجد الى الله سبيلا ، وذلك هو حال « كروزو » بعد المرض الذي اشرف فيه على الموت وقاده الى التوبة ، فبعد هذه التوبة لا يستأنف « كروزو » الحياة بل يبدأها من جديد ، فلم تعد الجزيرة موحشة مقلقة بل صارت جنة خضراء حتى أنه لم تعد به رغبة العودة الى الوطن .. كل هذا وهو يرى في نفسه وكيلا للعناية الالهية .. فتحول بذلك من مجرد منبوذ مهجور الى سيد مهاب له السيطرة على الجزيرة كلها . فالصدمة في القضيتين تتمخض عن ميلاد وبعث جديدين ، يضيفان على البطلين ميزات شخصية ، وخصائص فردية ، لم يكن أي منهما يتصف بمثلها من قبل .

وقد مارس كل من البطلين عمليات البناء والزراعة واستخدام النار والانتفاع بالصيد بدرجات متفاوتة وطرق تختلف بعدا أو قربا . ولاشك

ان المعلومات التي اوردها كل من ابن طفيل ودانيال «ديفو» عن نشاة الانسان الاولي كاكتشاف النار والانتفاع بها والاهتداء الى الصيد واتخاذه مصدرا من مصادر الغذاء واستئناس الحيوان للاستفادة به والى الاشتغال بالزراعة ، لا شك ان هذه المعلومات قد استقاها المؤلفان من التاريخ القديم ، وهى معلومات عامة متعارف عليها فى كلا المجتمعين العربي والانجليزي .

ففي القصتين معا تتبع للمراحل التي مر بها الانسان الاول ، وهو في حالة من البدائية ، واستقصاء لتاريخه الحضاري ، وتكون النواة الاولى للمجتمع البشري من التقاء اثنين او اكثر من الناس ، تجمعهما اهداف وغايات مشتركة تواضعا عليها ، واقر الضعيف منهما للاقوى بحق القيادة والتوجيه فنشات عن ذلك أولى مظاهر السلطة .

فقد شاهد « حي » فى ذات يوم رجلا يسير على ارض الجزيرة ، فوقف يتعجب منه ملياً . ولم يكن الرجل إلا « أبسال » ، الزاهد المتعبد الذى هجر مجتمعه وجاء يطلب العزلة . ومضى بعض الوقت قبل أن يلتقيا فقد كان كل منهما يخشى صاحبه وينكره . فلما هدأت مخاوفهما وتعارفا ، وتعلم حي لغة أبسال ، افضى اليه بما يمر به من تجارب ومعارف ومشاهدات ، وقص عليه أبسال قصته . عند ذلك تالف الرجلان ، واعجب أبسال بحي فالتزم خدمته والاقتداء به .

فاذا عدنا إلى رواية روبنسون كروزو وجدنا البطل فيها يمثل الانسان الاول فى اسلوب معيشته ، ثم تنتهى حياة العزلة وحياة التفرد التى كان يحياها عندما ينقذ « فرايداى » من أيدى قبيلته الذين كانوا قد اتوا الجزيرة ليجعلوا منه طعامهم ، فاصبح تابعه ومؤنس وحدته ليتكون من التقائهما نواة مجتمع صغير تكون السيادة فيه للاقوى وهو «كروزو» .

ومما يلفت النظر أن فكرة التعرى ـ وكل منهما فى جزيرة مهجورة ـ قد استوقفت البطلين فاستنكراها . فالتعرى أمر تنكره الأديان السماوية والاعراف الاجتماعية ، لهذا كان منطقياً أن يأبى البطلان الخروج على مالم يشأ المؤلفان الخ وج عليه رغم أن كلا منهما كان بعيدا عن المجتمع الانساني .

وإذا كان « روبنسون كروزو » قد استمد فكرة ضرورة تغطية جسده من الحياة الحضارية والاجتماعية التى كان يعيشها قبل مجيئه على جزيرته ، فان حي بن يقظان قد استمد الفكرة مما يحيط به من حيوانات وجدها كلها « كاسية بالأوبار والأشعار والريش .. وكان ايضاً ينظر الى مخارج الفضول من سائر الحيوان فيراها مستورة .. فكان كل ذلك يكربه ويسوءه . فلما طال همه فى ذلك كله ـ وهو قد قارب سبعة أعوام ـ ويئس من أن يكمل ذلك وما قد أضر به نقصه اتخذ من أوراق الشجر العريضة شيئاً جعل بعضه خلفه وبعضه أمامه ... الخ » (أحمد أمين ، حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردى ، مؤسسة الخانجى ، ١٩٥٨ ، ص ٧٣) .

ومما يسترعى الانتباه فى القصتين معاً أن حياة البطلين خالية من الجنس ومن مجرد التفكير فيه . ويحاول الاستاذ حسن محمود حسن أن يعلل ذلك بالغاية التى كان يرجو كل من المؤلفين بلوغها . فابن



ابن طفيل

طفيل كان يرجو لحي بن يقظان أن يبلغ ذرى فى المعرفة العقلية والالهية ، وكذلك كان « ديفو » يرجو لروبنسون كروزو أن يثبت قدرة الانسان على مواجهة الطبيعة ويدنو من الله بعد التوبة . وكانت العزلة ضرورية يقتضيها التفرغ لمثل هذه المهام . والعزلة عن الناس رجالا ونساء ، لذلك كان طبيعياً ألا يولي أى من البطلين اهتماماً بالجنس وإلا فقد كان على المؤلفين ادخال عنصر نسائى وفى ذلك اخلال ببيئة كل من القصتين وبعد عن الغاية المرجوه .

ومن أوجه الشبه البارز فى القصتين لقاء كل من حي بن يقظان و أبسال ، وروبنسون كروزو وفرايداى فكلا البطلين لا يلتقى بصاحبه إلا فى أواخر القصة ، حيث يكون المؤلفان قد استنفذا معظم الأغراض التى ابدعا عمليهما الفنيين من اجلهما ، فياتى اللقاء مكملا ومقررا لبعض الآراء المبثوثة فى ثناياهما . كذلك تجد أن كلا الوافدين الجديدين راودته فكرة الهرب عند التقائه بصاحبه لأول مرة ، فلما لم يتحقق له ذلك استسلم الى الفزع والى الرعب والتردد . وكلا المقيمين ، حي وكروزو ، يجد أن من واجبه طمأنة ضيفه ثم تأتى مرحلة تعلم اللغة ، وهى واحدة فى الحالتين ، ثم تبادل المعلومات ، فالألفة وتعزيز الروابط .

الغايـــة الدينيـــة

ثم يبحث صاحب الرسالة عن الغاية التى جاء كل من أبسال وفرايداى الى الجزيرتين من اجلها فيرى أن ابن طفيل أراد أن يتيح للقارىء فرصة الاقتناع بجدية ما سمع وقرأ من خبر حي بن يقظان وذلك بان يمكنه من المقارنة بين الشخصيتين على اختلاف نشاتيهما . شخصية « حي » التجريدية وشخصية « أبسال » الواقعية المنتزعة من بيئة اجتماعية . فاذا ما فرغ من تلك المقارنة ، وادرك وجه الحكمة فى اقتداء أبسال بحي ، عظمت شخصية حي عنده . ولا تختلف أسباب « ديفو » كثيرا عن أسباب ابن طفيل علماً بان لقاء كروزو بفرايداى لم يتم إلا بعد ثلاثة وعشرين عاما حين كانت تجربة البطل خلالها قد اكتملت وان لقاء « أبسال » بحي كانت بعد أن بلغ « حي » خمسين عاما عاشها كلها على جزيرته المهجورة . وهكذا اتخذ المؤلفان من قدوم الوافدين الجديدين معياراً للحكم على نجاح تجربة العزلة من خلال ما حققته الشخصيتان الرئيسيتان من تطور ، وعلى ما بلغه كل منهما من منزلة دينية رفيعة فى آن واحد .

وانطلاقا من الغاية الدينية التى يسعى كل من «حي بن يقظان و « روبنسون كروزو » إلى بلوغها وتاكيدها نرى أن سعادة الوصول والمشاهدة عند «حي» تزهده فيما عداها ، وان خلاص الروح الذى ظفر به « كروزو » بعد التوبة يجعله يرى السعادة فى العودة الى اللـــه لا فى العودة الى الوطن .

وتلا ذلك أن كلا البطلين قد غادر الجزيرة وعاد الى المجتمع الانساني بعد عزلة طويلة ، لكنهما لم يرغبا فى تلك العودة ولم تطل اقامتها . فحي بن يقظان كان قد ذهب الى الجزيرة المأهولة بصحبة « أبسال » ، وهناك افضى بسره الى الناس وحدثهم عن مشاهداته ، ودعاهم الى نبذ ما هم فيه من اشتغال بالدنيا وانصراف الى الأهواء والشهوات ، وبعد عن الحكمة ، فلما اعرضوا عنه ودعهم وصاحبه أبسال وانفصلا عنهم ، وتلطفا فى العودة الى جزيرتهما حتى يسر الله عز وجل العبور اليها . أما « كروزو » فكان قد وصل الى الوطن ليجد أن معظم اقاربه ممن يعرفهم ويالفهم قد ماتوا ، فلبث فترة ولم ترق له الاقامة وعاوده الحنين الى الاسفار ، فركب سفينة ابن أخيه وغادر الوطن فى رحلة جديدة وخلالها مر على جزيرته ليتفقدها وليتعرف على أحوال خلفائه فيها .

ورغم أن المقارنة بين العملين من ناحية البناء القصصى لا يبدو متعادلا حيث أن « روبنسون كروزو » كتبت فى فترة كان فيها الفن الروائى قد بلغ مرحلة النضج إذا قورنت بحي بن يقظان التى كتبت فى زمن لم يكن قد عرف فيه الفن القصصى بالمعنى الحديث ـ أى الفن القصصى ابن المطبعة .. إلا انهما يتشابهان فى عدة نقاط منها غرابة موضوع كل منهما وهو تجربة العيش المنفرد بعيداً عن الحياة الاجتماعية ، كما أن كليهما من قصص الشخصيات رغم أن الفكر هو العنصر السائد فى كل منهما . و «حي» و «كروزو» شخصيتان متناميتان يؤثر فيهما عامل الزمن فيتطوران بتقدمه ، وفى شخصية كل من البطلين جوانب من شخصية مؤلفيهما . وللقصتين حبكة تتوالى الاحداث بموجبها وفق نظام دقيق . والأسلوب فى كل من القصتين سهل واضح وان اختلفت أسباب كل من المؤلفين : فابن طفيل يسعى الى تقريب الفلسفة من العامة ولهذا لجأ الى القالب القصصى وجاءت عبارته رشيقة سهلة ، أما ديفو فقد عمد الى البساطة والوضوح متأثراً بلغة الصحافة التى اتقنها . وهكذا كانت بساطة الاسلوب عند الكاتبين سببهما الاتجاه الى مخاطبة الجمهور العريض وليس صفوة المتخصصين .

إن العرب لم يعرفوا القصة الفلسفية فقط ، بل ان أحد فلاسفتهم استطاع أن يرقى بها الى مستوى أدبي رفيع . وكان ذلك حصيلة بيئته الثقافية ـ فلسفية كانت أو أدبية ـ مما حقق لها شهرتها وأثرها العالميين .

يوسف الشاروني

تأملات إعلامية

الإذاعات العربية في أزمة حقيقية

محمد فتحي

في بداية الربع الثاني من هذا القرن ، ونحن لما نزل صبية حديثى العهد بالمدارس ، بدأنا نعي شيئاً اسمه المجتمع . ربما كان أبعد ما تخرجه الذاكرة من ركام المخزون فيها هو موكب الرؤية .. رؤية هلال رمضان ، شهر الصوم . مشهد عظيم ! تجلجل فى مقدمته الطبول الكبار ، محمّلة مع ضاربها فوق ظهور الجمال .. طبل الجمال كما كان يسمى .. والنقرزان ، وصاجات النحاس الأصفر .. ثم يتبعها نقيب الأشراف ، فوق جواده الأبيض .. ثم حاملو البيارق والأعلام الملونة ، على الجانبين ، من أتباع الطرق الصوفية ، البيومية والرفاعية ولا أذكر ماذا .. ومن بعد هؤلاء تتعاقب مشاهد مبهجة .. عروض لأصحاب الحرف والصناعات ، تفننوا فى إبراز حرفهم وما يصنعون .. فهؤلاء المراكبية ـ وكانت عاصمة إقليمنا الدلتاوى ميناء نيليا هاماً للغلال والملح والقلل وبلاليص العسل الأسود ـ وضعوا مركبهم الضخم فوق عربة تجرها الخيل .. لم يكن إذ ذاك فى عاصمة الاقليم سيارات ! وجسدوا فى مركبهم ، ما يمارسون . ومن بعدهم النجارون ، ومن ورائهم البناؤون ، فالحدادون ، فالخياطون ، فالشربتلية بقدورهم النحاسية البراقة وصاجاتهم الرنانة (الخروب .. العسل الأبيض !) . وهكذا دواليك ! وبين كل حرفة وحرفة ينتثر المشاة من حملة القماقم الفضية الرشيقة يرشون على المتفرجين على جانبي الطريق ماء الورد وماء الزهر ..



عبده الحامولى



محمد عبد الوهاب

مشهد انطبع فى الذاكرة ، لا يبرحها ، رغم بعد السنين !

مشهد آخر

وقد يخرج من الذاكرة بعد ذلك مشهد آخر مهيب .. هو الاحتفال بالمولد النبوى الشريف . كان الاحتفال يجرى فى رحاب المسجد الكبير وسط المدينة ، فى ميدانه الضخم . يقيمه على نفقته أحد سراة المدينة ، شهبندر التجار فيها . وتتناقل الأفواه على امتداد المدينة ، وحتى الريف ، الخبر بأن الصيت (نسبة فيما أظن إلى صاحب الصوت الجميل العالي) الذى سوف يحيي ليلة المولد هو الشيخ على محمود ، أو الشيخ أحمد ندا ، أو من كان في مقامهما من صيتة ذلك الزمان ، طمستهم مع الأسف الذاكرة ، والذين بلغت شهرتهم ، كصوتهم عنان السماء ، لنبوغهم فى تلاوة القرآن وإنشاد المدائح النبوية والقصائد الدينية (كان الشيخ محمد رفعت قارئاً معروفاً فى ذلك الوقت ولكن نظراً للرقة والدقة فى صوته لم يكن يستطيع أن يسمع مثل هذا الجمهور الكبير ، ولم يكن هناك ـ بعد ـ ميكروفون ومكبر للصوت !)

ويتقاطر الأفراد والجماعات ـ بلا دعوة ـ إلى الصيوان الكبير للاحتفال بليلة سيد الخلق ، والاستمتاع بنفحات الصييت الكبير ، وشرب القرفة المسكرة ، يقدمها بنفسه للناس شهبندر التجار ومقيم الحفل على نفقته !

مقدم الصييت الى المدينة الاقليمية كان حدثاً يتحدث به الناس ، ويتناقلون أخباره ، وبدع أدائه ، ويعيشون فى نشوة الذكرى حتى العام التالي .

إن كان هذان الحدثان ـ موكب الرؤيا والاحتفال بالمولد ـ من الفن فى شيء ، فهذا هو كل ما كان يعرفه المجتمع من الفن . بالطبع كان هناك الطرب . كان هناك « مطرب الملوك والأمراء » محمد عبد الوهاب . وكانت هناك « سلطانة الطرب » منيرة المهدية . ولكن



منيرة المهدية



أم كلثوم

من لعامة الناس بهذه الثريات ؟! كانا بعيدى المنال جداً بالنسبة للجمهور . وكان من سلفاهما أشدبعداً للمتطلع الى منال ! كانت ألمظ وعبده الحامولي شيئاً يخص الخديوى .. ولعلهما كانا بعض حاشيته ! بل لقد ذهب عبده الحامولي إلى ما فوق الخديوى ! لم يعد تطريبه قصراً على أذن الخديوى ، بل تعداها إلى أذن سلطان آل عثمان وخليفة المسلمين ! غنى بين يديه فى « يلدز » على البسفور فى الآستانة !

هكذا كان الفن

هكذا كان الفن .. لا يعرف عشاً غير بلاط الملوك والأمراء ! الموسيقى والرسم والغناء كلها سواء ..والشعر أيضاً ! كان عندنا حتى عهد غير بعيد منصب «شاعر الملك» تقليدا فيما أظن للبلاط الانجليزى، وربما لبلاطات أخرى كانت قائمة .

هكذا كان سبيل الفن فى المجتمع ! ثم جاء عصر العلم ، وتطبيقات العلم أو ما يحلو لنا تسميتها بالتكنولوجيا . انقلبت الصورة رأساً على عقب ! ركب الفقراء السيارة .. سيارة الكل ، نعم ! وركب الفقراء الطائرة .. ليست تلك التى كانوا يركبونها فى تخيلاتهم المحبطة .. بساط سليمان ؟! واخترعت الأذاعة ، ودخلت القرية بعد أن ظل البلاط الملكي فى مصر يقاوم دخولها عشر سنوات كاملة !

وهنا نصل ـ متأخرين قليلا ـ الى العنوان الذى أثبتناه فى صدر هذا المقال بدخول الاذاعة القرى انتهت إلى الأبد ارستقراطية الفن . مطرب الملوك والأمراء راح يغنى لأصحاب الجلاليب الزرقاء (لماذا تخلى الفلاحون عنها ؟!) والسلطانة أصبحت كوكب الشرق لا تغني لقريتها فقط بل لكافة القرى ، وللخلق في الشرق كله ، لكل من له أذن تسمع ! أصبح الفن مشاعاً للجميع .. للبسطاء والفقراء والمحرومين جميعاً ، لا لأبناء القصور وحدهم !

فى مصر العصرية كان الفن معناه الغناء . التمثيل جاء متأخراً ، والرسم والنحت خطوة أخرى بعد التمثيل . فلما دخلت الاذاعة راحت تقدم للناس أعذب الألحان وأشهى الأشعار لتروى عطشهم وطول ظمئهم للفن . ومضت فى ذلك شوطاً بعد شوط . ثم جاء وقت تجاوزت الحدود ؛ وحتى بلغ الأمر اليوم درجة الانفجار ! أهل القرى يسمعون الأغنية الواحدة بانتظام وبلا انقطاع أربعين سنة .. وثلاثين وعشرين ! وليتنا وقفنا عند حد إذاعة الأغانى قائمة بذاتها . بل رحنا بلا داع مشروع فى فن أو غير فن نقحم الغناء فى كل لون من ألوان البرامج ..

عندما نناقش مع الناس فى الشارع قضية ، نلحقها بغناء !

عندما نقدم للناس تمثيلية فيها عظة وعبرة ، نصدرها بغناء !

عندما نشرع فى محو أمية الناس . نعلمهم العلم ، نغنى لهم ..ياأهل بلدى !

عندما نقدم معلومة أو فتفوته من المعرفة ، في الصباح ، نتبعها !

الخدمات الاذاعية العربية لم تفطن بعد الى أن الغناء لم يعد أداة جذب ، يتحدث عنه الناس !

ولعل الخدمات الاذاعية لم تفطن أيضاً الى عامل حاسم فى هذا المجال .. ذلك هو المتغيرات الجارية فى سوق الترفيه اليوم . أقصد بهذه المتغيرات الثورة الطاغية فى تكنولوجيا الاتصال ، الميكانيكي والاليكتروني .. والاسطوانات والأشرطة والمسجلات والكاسيتات والفيديو ومجسمات الصوت .. ومستحدثات أخرى عديدة تتزايد يوماً بعد يوم ، ويَجُبُّ الجديد منها القديم . لست في حاجة الى القول بأنها دخلت حياة الناس اليومية ، بل أصبحت لعبتهم .

هذه المتغيرات وحدها سبب كاف لأن تغير الخدمات الاذاعية نهجها تغييراً جذرياً . تسقط الغناء فى برامجها إلى أدنى حد ، مقتصرة على الجديد النموذجي ، وربما أيضاً على العروض التاريخية البليغة للتراث الفني .

تعدد المجالات

وأحسب أن المخططين لن يجدوا مشقة فى العثور على البدائل ، فمكتبة التأليف الموسيقي الكلاسي والعصرى عامرة ، وقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية لا حصر لها ، وغزوات العلم تلهب الخيال . والمهارات التى يتعين نقلها للناس تيسيراً لشئون معاشهم عديدة ، ومجالات الفكاهة النظيفة المبهجة ما تزال بكراً ، ووقائع المجتمع من شتى الألوان فيض لا ينضب ، ومعالم المجتمع الحضارية والثقافية لم تستوف حقها بعد ، ولم تنم ولم تجد المخطط المدرك ، المهيمن الممسك بالخيوط ، المترجم .

سكوت الناس ليس معناه الرضا ! فوظيفة « الأنس » التى تؤديها الاذاعات بشقيها لاخلاط الناس تعميهم ـ الى حين ـ عن التفكر . ومن الحكمة أن نسبقهم ، وإلا فيسكتشفون إن عاجلا وإن آجلا أنهم فى واد ، وخدماتهم الاذاعية في واد آخر .



وقت للشعر ووقت للنضال

قبيل الثورة البرتغالية ـ ١٩٧٤ ـ حازت ماريا تريزا هورتا شهرة واسعة كواحدة من ثلاث كاتبات برتغاليات اخرجن معاً «كتابات برتغالية جديدة» وهو مجموعة اشعار ومقالات وقصص اعتبرتها السلطات فاضحة وخطرة سياسياً ، وقامت بمصادرة كل نسخ الكتاب باسم قانون الرقابة على المطبوعات والمؤلفين .. وقدمت ماريا ليزابيل بارنيو ـ الروائية ـ وماريا فاثيما دى كوستا ـ كاتبة المقالات الاجتماعية ـ والشاعرة ماريا تريزا هورتا الى المحاكمة . وقد دافعت الحركة النسوية العالمية عنهن ، وأوفدت زعيماتها الى لشبونة أثناء المحاكمة .. فالماريات الثلاث وان كن من العاملات لتحرير المرأة قد جمعن مواد الكتاب بدافع سياسى ، هو عزمهن على محاربة الديكتاتورية واجهزة قمعها ، وقيامها بمصادرة الكتب والكتاب .. وخاصة النساء بينهم .

ولكن الثورة تفجرت قبل أن تكتمل محاكمتهن ، فخلي سبيلهن تحت القانون الجديد .. وتفرقن بعد أن كان الهدف السياسى وحده يجمعهن ..

وقد تزعمت ماريا الروائية ، وماريا الكاتبة الاجتماعية تكوين حركة تحرير المرأة البرتغالية ، مع عدد من المحاميات والطبيبات ونساء من دروب اخرى فى الحياة العامة ، وكانت القوانين البرتغالية ـ ومازالت ـ تعطى الرجل سيطرة مطلقة على الزوجة والاطفال والممتلكات .. وإذا كانت اوضاع المرأة قد تحسنت بعد الثورة بعد ان منحها الدستور البرتغالى الجديد حقوقاً مساوية للرجل ، فان تطبيق وممارسة تلك الحقوق فى راى السيدة ماريا هورتا ، سيستغرق جيلين على أقل تقدير ، إذ أن نساء الريف مازلن يرزحن تحت ظروف لا تختلف كثيراً عن ظروف القرون الوسطى ، فالاجر المتساوى للعمل المتساوى ، والحقوق المتساوية بين الجنسين ، كلها أمور لن تخرج من دائرة المدن والمصانع .. الى الريف .

وقد واصلت ماريا هورتا نضالها منطلقة من مجال الأبداع ، فاصدرت أول عمل لها بعد الثورة فى عام ١٩٧٨ .. وهو مجموعة شعرية بعنوان « نساء ابريل » ، قصائد تصور النضال العام للمرأة البرتغالية خلال الثورة . وعملت محررة للملحق الثقافي الأدبى لصحيفة بالعاصمة لشبونه ، ثم كلفت بانشاء وتحرير أول مجلة نسوية برتغالية . وتقوم السيدة هورتا حاليا بكتابة سلسلة من التراجم الشخصية القصيرة لعدد من النساء البرتغاليات البارزات ، ونساء من جنسيات أخرى .. اسمتها : « المرأة .. اختى » كما انها تخطط لكتابة مؤلف عن العنف ضد المرأة فى البرتغال ، ومع ذلك كله « تجد الوقت لكتابة الشعر ، ولدراسة التحليل النفساني ، والذى ترى انه يمكن أن يساعد المرأة فى فهم نفسها وفهمه المجتمع ،والأسباب الدافعةلقهرواضطهاد المرأة .. ولكنها ناقمة على التأثير السلبي على المرأة فى أعمال فرويد .



من التبعية الى الأصالة الأفريقية !

ظل نقد الأدب الأفريقي لزمن طويل تحت سيطرة النظرة الانجلو امريكية التى لا ترى فى الأعمال الادبية الافريقية سوى امتداد للأدب الانجليزى ، ومازالت ترفض الاعتراف بكونه ابداعاً منفصلا ومتميزاً عن بقية آداب أهل الأرض .

وفى هذا الكتاب الجديد الصادر فى نيجيريا نهض مؤلفوه شينوايزو ، واونولكشيخوا جيمى ، والحشوكوا ، وكلهم عارف بالبؤرة التى تنطلق منها أساليب النقد الأوروبى فى معالجة الادب الأفريقى ، الى المبادرة بتعرية وكشف النواقص والسلبيات فى هذا المنطلق النقدى .

والهدف الرئيسى من كتابهم هو المساهمة فى مساعدة الثقافة الأفريقية على التحرر من قبضة الغرب ، ولذا وضعوا قائمة بالتهم الاوروبية الموجهة ضد الرواية الافريقية .

فالنقاد الغربيون يزعمون أن الرواية الافريقية تعانى من عدم نضج الوصف فيها ، وبنقص فى رسم الشخصيات ، وبعدم طرح الدوافع ، ويخلوها من التحليل النفسى ، والعمق فى التناول ، وتخمتها بالحوار غير الواقعى ، كما تتهم بعض الروايات بانها قصيرة جداً أو خالية من العقدة .

ويرى بعض اولئك النقاد الغربيين أن العمل الإفريقى المكتوب باللغة الانجليزية يجب أن يعامل بنفس المعايير التى تطبق على المؤلف الانجليزي .. مما يعني أن النقد الاوروبي للرواية الافريقية ينطلق من اتجاهات استعمارية عرقية لا ترى فى الكاتب الافريقى سوى تلميذ ـ خائب ـ للكاتب الأوروبى ، ومثل هذه النظرة تغفل الفرق بين الأدب الافريقى والأدب الانجليزى .

إن بعض الكتاب الأفارقة قد اعتمدوا على التراث الأوروبى .. هذه حقيقة .. ولذا يهتم الكتاب بدراسة استمرار تاثير التراث الأدبى الانجليزى على كتاب نيجيريا اليوم ، ويطالب المؤلفون الثلاثة بتخليص شعبة اللغة الانجليزية بالجامعات من الصورة المؤسسية ، مما يذكرنا بدعوة « جيمس نقوقى » ورفاقه فى كينيا ، واستبدال شعبة اللغة الانجليزية بقسم للغات الافريقية وآدابها ، وقسم للأدب المقارن ، وقسم للغات المستعمر .

وقد استقبل هذا الكتاب بعاصفة من الجدل ، واستغرب الناشرون ان يخرج مثل هذا الصوت الذى يذكر باشياء ما كانوا يتصورون ان يفكر بها احد ، وهى ان الاعمال الافريقية يجب ان يتم تناولها كشىء منفصل عن تلك التى يؤلفها السادة الانجليز .. وان القارىء والجمهور الموجهة اليه هما فى افريقيا ، وحيثما كان هناك من هو من اصل افريقى .. وهذا بالضبط ما حاول «جيمس نقوقى» شرحه فى محاضرة القاها فى المركز الأفريقى بلندن .

ويمكن اعتبار (نقوقى) وتشنوا اشيبي محظوظين لانهما وجدا ناشرا يحمل افكارهما الى

القراء ، لأنه لو كان أوروبى النظرة لفقدت اعمالها البكر مذاقها وتفردها ، والتى يمكن أن تعتبر اليوم اساسا صالحا لبناء أدب افريقى .

وهناك كثير من الناشرين الذين يدعون الخبرة والدراية بالأدب الافريقى ، فيقومون بنشر اعمال افريقية بعد أن يشوهوها ويقولبوها فى اشكال مجحفة باصولها لكى تتفق مع الافكار الخاطئة التى يديرونها عما هو افريقى . ومثل اولئك لا يابهون كثيرا باهمية الاسلوب الصافى الواضح للكتابة الأفريقية باللغة الانجليزية ، فيقوم محررو دورهم باعادة صياغة النثر البسيط واحالته الى شىء معقد ، غايته ارضاء السوق الأوروبى الذى يقصدون ترويج الكتاب الأفريقى فيه .

والأمل معقود على أن الكاتب الأفريقى سيكتشف قريبا أن كل الجمهور القارىء الذى يريده هو موجود بالفعل فى افريقيا .. وأن القارىء الأوربى ياتى فى المكان الثانى .. كما انه أن للناشر الأوروبى للاعمال الافريقية أن ياخذ فى اعتباره ما يجرى فى افريقيا .



أوجين يونيسكو



دورينمات



جونتر جراس

فريد ريش دورينمات يسخر من معاصريه

بين لوحاته الرائعة الألوان يحيا ، ويرسم ويكتب مشرفا من بيته على السفح السويسري المغطى بالجليد على مدينة نويشيختل . وهو في الستين ، ضخم البنية ، ذو عينين غريبتين خاليتين من التعبير خلف نظارة سميكة . يتحرك في بطء ، ويفرض حضورا فاترا كالغياب . ومع ذلك فقد حقق الكاتب المسرحي السويسري فريدريش دورينمات اخر نجاح له في يناير الماضى بعمله الأخير «روميلوس العظيم » الذي عرض في مسرح زيورخ ، وصدرت اعماله الكاملة في ثلاثين مجلدا ، ومنحته جامعة نيوشيختل الدكتوراة الفخرية في حفل شرفه الرئيس السويسري.

ولكن بريق نجمه قد خفت شيئا ما بعد سطوع في الخمسينات واوائل الستينات ، تلك الفترة التي شهدت تالقه عالميا في مسرحيات مثل «الزيارة» و «الفيزيائيون» . ومع ذلك لم يتوقف عن الابداع . فكتب «لوحة كوكب» في عام ١٩٧٠ ، و «رفيق الاسفار» عام ١٩٧٣ ، و «آخر مهلة» ، عام ١٩٧٥/٦ . غير أن واحدا من هذه الاعمال لم يحقق ذلك النوع من النجاح الجارف الذي عرفه في الستينات ، ولعل ذلك ـ فيما قال صديقه الكاتب هوغو لوتشر في كلمة القاها ليلة إفتتاح مسرحية «روميلوس العظيم» ـ ليس بسبب الهبوط العام في المسرح والاذاعة في مدينتي زيورخ وبازل ، وانما لأن الكاتب قد دخل منطقة جديدة وصعبة حين رفض أن يكرر نفسه ، ومضى يكتب نوعا من المسرح يتعامل مع الفكر بشكل أوثق .

وفي مقابلة اجراها معه الصحفي النمساوي «اندريه موللر» ، انتقد دورينمات وسخر من عدد كبير من معاصريه من امثال «جونتر جراس» و «هنريش بول» ، و «ماكس فريش» و «صامويل بيكت» «يوجين أونيسكو» وتفجر عن ذلك سيل من التعليقات في الصحافة الالمانية . وقد حاول دورينمات فيما بعد أن يوضح الأمور .. فالمقابلة وما قاله ما كانتا للنشر ، وكانت في مقهى مزدحم ، ولم يكن دورينمات يدري أن الصحفي يحمل معه جهاز تسجيل . ولأن دورينمات لم يناقض ما قاله الصحفي ، فان الأخير قد أصر على ما نشره . وقد يفسر المزاج الحاد الذي انطلقت منه تلك السخرية وذلك النقد بتقلب حالاته المزاجية تبعا لمرض السكر الذي يعاني منه دورينمات .

والرجل في الستين من عمره الآن .. وقد عكف على جمع مادة لكتاب جديد ، جلها عن الحرب العالمية الثالثة ـ فهو مهووس بقضية العدو .. والتي تغزو كثيرا من اعماله . وهو يحاول أن يجد الاجابة لسؤال كبير : هل يمكن للبشرية ان تحيا دون احساس بوجود عدو يتربص بها ؟ .

وقد اضحى اليوم اقل اهتماما بالمسرح وصارت مسالة الذهاب الى المسرح نوعا من التعذيب بالنسبة له ، وخاصة اذا كانت لمشاهدة مسرحياته . وهو يكره المسرح الحديث الذي يتجبر فيه المخرجون الذين يتركز همهم بالمواضيع أكثر من اهتمامهم بالمسرحيات . ولذا تحول من كتابة المسرحيات وإخراجها الى النثر .. والذي يرى فيه امتدادا للمسرح بشكل ما . وسيصدر قريبا أول كتابين من أصل مادة جمعها على مدى عشر سنوات ليخرجها في ستة مجلدات ، والكتابان عن العلاقة بين الحياة ـ التجربة ـ والخيال ، واثر الخيال على التجربة .. فالكاتب في نظره شخص يتمرد بابتداع عالم نقيض لهذا العالم .

ولا يبدو أن دورينمات قد تاثر بهبوط شعبيته وما زالت هناك مسارح تعني بمسرحياته ، إذ أن فرقة مسرح برلين ستقدم مسرحية «الفيزيائيون» هذا العام ، كما أن المجر تواصل تقديم اعماله .

«لقد درست الفلسفة» يقول دورينمات ، «ولم اتخل عن الموضوع بعد . ومسرحي متجذر في الفكر .. وذلك ما يجعله مسرحا صعبا . » ان المشكلة التي يحس دورينمات أنه يعانيها هي أنه ليس كاتبا عقائديا مثل «كلوديل» الكاثوليكي أو «بريخت» الماركسي .. فهو معزول ـ كما يقول ـ لأن مسرحه يقوم على فكر ذاتي .

وهو يرى أن الكاتب المسرحي يقتات من العطف والتفهم اللذين يسبغهما عليه صغار الممثلين والمخرجين . وقد كان ينعم بذلك فيما مضى في زيورخ ، و ميونخ .. لكنه فقده بعد أن مات معظم أصدقائه في المسرح .. وكما يقول : إنني الآن في الستين من عمري ، وتعني محاولة خلق فرقة جديدة لي عملا متواصلا وثقيلا .. ولذلك اخترت كتابة النثر . انني لا أحاول إيجاد وجه شبه .. ولكننا نعرف أن بيتهوفن قد عبر عن أعمق قدراته الموسيقية لا في السيمفونيات ، وانما في الرباعيات الأخيرة . »

الأدب الجـاد

● في حفل اقيم في يونيو الماضى بلندن لتوزيع جوائز ومنح لشباب الادباء البريطانيين ، قال السير اقنوس ويلسون ، الذى كان ضيف شرف الحفل ، انه لاحظ أن كمية الأدب الجاد وباقلام بريطانية المعروض للبيع فى المطارات البريطانية آخذة فى الانخفاض والتقلص بشكل خطير .. بالمقارنة الى الحقبة الماضية . واقترح على جمعية المؤلفين وعلى اتحاد الكتاب القومى والأطراف الأخرى المعنية عقد اجتماع لايجاد سبيل لتمكين زوار البلاد الاجانب لدى وصولهم المملكة المتحدة من الحصول على الكتب الانجليزية الجادة التى تمثل افضل الكتاب المعاصرين .



الشاعر الأردى فايز أحمد فايز

منذ النجاح الفورى لأول مجموعة شعرية نشرت له فى عام ١٩٤١ ، والنجاح المستمر لكل عمل جديد منه ، اقترن اسم الشاعر الباكستانى فايز أحمد فايز بالشاعر غالب ، أعظم شعراء الأردية ، والشاعر الفيلسوف المجاهد محمد إقبال . فهو يتفرد بمساهمته الكبيرة فى التراث الشعرى الأردى بجمعه بين غنائية «غالب» الصافية والمضمون الاجتماعى والسياسى لاقبال.

وقد اشتهر خارج شبه القارة الهندى بانه شاعر (ملتزم) قضايا العدالة الاجتماعية وجانب الفقراء والمستضعفين فى الأرض .. وقضايا الحرية والسلام العالميين ، وانه ظل عنيداً فى نضاله فى سبيل هذه القضايا رغم كل ما مرت به شبه القارة ، وما تكبده من الأيام .

وقد اقامت جبهة التحرير الفلسطينية احتفالا فى بيروت بمناسبة بلوغه السبعين ، كما احتفل به أصدقاؤه فى لندن ، واقام الكتاب السوفييت احتفالا رسمياً به فى العاصمة السوفييتية .

ولد فايز بمدينة سيالكوت الصغيرة بالبنجاب عام ١٩١١ .. وقد انجبت نفس المدينة الشاعر العظيم إقبال .. وقد اثرت على حياته جملة اشياء فرضها الزمن وظروفه لكثر مما اختارها فايز بمحض حريته . ففى عام ١٩٤١ استدعى على عجل الى الخدمة العسكرية فى الجيش البريطانى فى دلهى ، فترك عمله كمحاضر فى لاهور . وكانت المسالة بالنسبة له ضرورة عسكرية اكثر منها ولاء للامبراطورية . وكان يدرك أن تشجيع البريطانيين للشعور القومى الهندى فى الجيش ما كان إلا لخدمة أغراضهم فنظر الى مسالة الولاء على اعتبار عدم جدوى استبدال سيد باخر .. خاصة وهو يرى أن قضية الحرية يمكن خدمتها بشكل أفضل بالدفاع عن الوطن وإن كان مستعمرة بريطانية . وقد لامه كثيرون انذاك على اختياره جانب الحلفاء .. فرد بان خدمة الحرية أفضل من اتباع الايدولوجية بشكل أعمى .. إذ الولاء عنده هو للتجربة التى يلتزم بها المرء ، وما الايدولوجية سوى جزء وبعض من تلك التجربة .. وان الحكومات لا يمكن تتطلب الولاء إلا من موظفيها ، والكاتب ليس واحداً منهم ، وإن كان الكاتب منتقد مجتمعه فهو مع ذلك جزء منه ، وعليه نفس المسئوليات كاى مواطن اخر فى أن يسعى للحرية والحقوق الانسانية والعدالة . وذلك لا يعنى الانكباب على تنفيذ برامج او الانخراط فى الأحزاب أو فى العقائدية . إن الكتابة ، كما يرى فايز يجب أن تتعالى على الحدود الضيقة لكل هذه الأشياء ، وأن تظل أمينة ومخلصة لقيمها الأساسية .. والتى هى بالنسبة لفايز :الانسانية والحرية .

فى عام ١٩٤٧ نالت شبه القارة الهندية حريتها ، والتى جاءت بمشاكل جديدة واخفاقات جديدة ، وخيبت آمالا كثيرة . وعاد فايز الى وطنه الجديد فى دولة الباكستان ، وصار محرراً لصحيفة التايمز بها . ولأن كل أشكال الكتابة هى بالضرورة دعائية ، كما قال ، لم يكن بنفسه صراع بين الشاعر فيه والصحافى . ولكن مشاكله كانت مع السلطة فى بلاده منذ البداية . وقد قضى فترات مختلفة فى السجن بتهم سياسية ، وذلك لانتقاداته المتكررة فى كلمة التحرير للحكومة ، ولمواقفه المشهودة من عدد من القضايا التقدمية .

كانت العشرينات والثلاثينات فى الهند فترات تغييرات سياسية واقتصادية هائلة ، وهى الفترات التى شكلت مستقبل فايز السياسى ، وشهدت بداية الحركة النقابية وحركات المزارعين ، فوجدت كل هذه الأمور مكاناً فى شعره ، بل هى التى أعطت ذلك الشعر تقاسيمه . يقول فايز :

«فى البداية كتبت بدافع رومانتيكى . كان الشعر يتدفق منى . ولم اكن أسعى اليه . وكان الاعتراف الأول بى مخيفاً .. لأننى لم أكن أنوى الاستمرار فى الكتابة . وكانت هناك قضايا سياسية عديدة تفرض نفسها على الكاتب .. ولم تكن تمت الى الشعر بصلة .. ولكن العالم كان دائماً معى ، والأحداث تضغط على عملى .. لذا واصلت الكتابة» .

واصبحت الأحداث والوقائع جزءاً من شعره . وما كان هذا القران بين الشعر والواقع السياسى ليعنى عنده فقدان السحر الرومانسى . فقد ظل فايز أميناً لنظرته .. رغم كل الاحتجاجات .. بان القصيدة يجب أن تظل حلوة كالاغنية .

ومنذ أوائل الثلاثينات ، وفايز هو الضوء الهادى القيادى فى اتحاد الكتاب التقدميين بالهند . ولكنه على العكس من كل معاصريه من الكتاب لم تكن المواضيع التقدمية تعنى عنده تبنى أسلوب تقدمى قائم على أساليب الشعر الحديث فى الغرب . فهو عنيد فى التزامه بالأشكال والخطوط المتصلة بالأسلوب التقليدى. يقول :

«إن الشكل يجب أن يخدم أغراض ووظيفة الشعر . إننى لم أشعر يوماً بحاجة الى تغيير الشكل لأننى لم أجد منه ما يعوقنى فى قول ما أريد .. وفى نهاية الأمر ، فان المهم هو الاتصال والتوصيل . فالمواضيع التقليدية والأشكال التقليدية كانت هى الأفضل بالنسبة لي للوصول الى جمهور ذهنيته وحساسيته واستجاباته موزونة على موسيقى وتصوير معينين» .

«ولقد لزمت الأساليب القديمة لأنها أعطتنى قدراً أكبر من الحرية . فانت تستطيع أن تستخدم أكثر المواضيع المستهلكة والأساطير والحكايا الشعبية والتاريخ كوسائل ووسائط لتجنب الرقيب ، وذلك بطريقة لا يمكن للأساليب المباشرة والواضحة التى طرحتها الحداثة أن تؤديه» .

إن فايز هو الذى انقذ الشعر الأردى من الضحالة والتفاهة التى تردى فيها فى بداية هذا القرن . فقد نقل الى مواضيعه الفاترة ، وصوره المكرورة المجترة معان جديدة ، فطور الصورة التقليدية للمحب وشجو الشاعر المتباكى على حظه لتتسع وتشمل الوطن والبلاد والجمهرة الكادحة من بنى وطنه .. والنساء ـ أولئك المضطهدات فى كل مكان فى العالم . وكانت كل قصيدة غزل تكتب كشكاة باكية .. لكن فايز حول البكائية الى اتهام واحتجاج ، وبذا وفق فى خلق مصالحة بين الرومانتيكى والثورى فى الشعر ..

أن ريستون والمعلم زانج



احياء مسرح خيال الظل الصينى .. فى باريس

يعود مسرح خيال الظل الصينى الى عام ١٨١ قبل الميلاد .. ولكنه اختفى فجاة بعد ان داهمه ليل طويل من السياسة المعاصرة التى أهملت ، فى خطوها لخلق التقدم ، روعة الابداع الانسانى عبر مسيرة التاريخ المتصلة .

وقد وجد هذا المسرح دفعاً غير متوقع من فتاة فرنسية فى الرابعة والعشرين من عمرها هى الآنسة آن ريستون ، والتى عرض لها بباريس «مغامرات باي» التى تدوم ٥٥ دقيقة .. فى مسرح «ماريا ستيورات» ، ثم قامت فرقتها بجولة فى الريف الفرنسى . وبعد كل عرض يدعى المشاهدون الى كواليس المسرح ليشرح لهم كيفية عمل مسرح الظل .

وكانت الآنسة «ريستون» قد درست اللغة الصينية فى باريس لمدة أعوام خمسة ، ولم تستطع الذهاب الى الصين لدراسة مسرح الظل كما كانت تريد ، إذ وقفت الثورة الثقافية التى كانت تجتاح الصين .

وقد أعيد مسرح خيال الظل الى الحياة الثقافية منذ عام ، ولكنه فقد خلفيته وتجذره فى الثقافة الشعبية التى هو جزء منها لا يتجزأ ، وصار يقدم كمادة جاذبة للسياحة . أما فى تيوان ، حيث درست الآنسة مسرح الظل مدة عامين ، فان تقاليد هذا المسرح ليست بمثل قدمها وعراقتها فى الصين الأم . ولكنه مازال هناك فى تربة الثقافة الشعبية ، وإن كان آخذاً فى الضمور ، إذ لم تعد هناك سوى ثلاث فرق مسرحية .

وقد وجدت الآنسة ريستون أستاذها عام ١٩٧٨ أثناء جولة لها للحصول على العرائس الصينية اللازمة لهذا النوع من العمل المسرحى . ووفقاً لتقاليد تعليم مسرح الظل لم يوافق «زانج مينج شاو» على تدريبها وحدها ، لكنه قطع وعداً بتعليمها ان وجدت تلميذاً آخر . وكان الشباب الصينى نفسه قد انصرف باندفاع الى دراسة الأشكال العصرية للتعبير المسرحى . أما فى فرنسا ، فلم تجد آن ريستون أحداً يفهم ما تقوله .

وأخيراً استطاعت أن تستميل المعلم «زانج» ليقبلها تلميذة وحيدة ، وعاشت فى بيته بقرية للصيادين صغيرة فترة أشهر ثلاثة ، انتقلت بعدها الى مدينة «تايبى» لدراسة تاريخ مسرح الظل ، ثم عادت تعمل مع معلمها حيثما حل لتقديم عروضه .

والعرائس التى تستخدمها الآنسة «ريستون» هى من جنوب الصين ، وهى أصغر حجماً وأكثر حيوية من عرائس شمال الصين ، ومصنوعة من الجلد . وقد صنعت عرائسها من جلد الماشية بعد أن عولج ليكون رقيقاً كالورق . وكل قطعة من هذه العرائس مربوطة بعودين أو ثلاثة أعواد . تحركها هى وشريكها «اميريك مونشنارد» وكان قد درس التجارة والأعمال ، ثم اصبح شاعراً قبل أن يتحول الى مسرح العرائس .

وقد أضافت الآنسة ريستون ألواناً أخرى جعلت عرائسها أكثر اشراقاً ، إذ أن ألوان



احدى شخصيات مسرح خيال الظل الصينى

العرائس التيوانية المستخرجة من الخضروات والنباتات تقتصر على الأحمر والأخضر والأسود . لكنها حافظت على التقليد اللونى الصينى .. فالأحمر عند أهل الصين يعنى السعادة والوحدة ، والأبيض يدل على الخيانة والخونة ، والأزرق هو لون النفاق وأصحابه .

وقد أدخلت كثيراً من التعديلات على مسرح الظل الصينى ليتواءم مع ظروف فرنسا ، مع المحافظة على تقاليده .. وعلى دوره الأساسى فى تعليم المجتمع كما علمها أستاذها «زانج» . وقد وجدت هى وشريكها أن بمقدورهما تطويع مسرح خيال الظل ليقدم أعمالاً أوروبية .. ومازالا يعملان على بلوغ مرحلة يتم لهما فيها أن يقدما أعمال شكسبير نفسها .

هل يبادله الوطن الحب

يبدو أن ربيع الانفتاح الصينى الذى دام أكثر من ثلاث سنوات حتى الآن أخذ يحرج جهات عديدة داخل النظام الصينى ، كما تدل الوقائع المتصلة بقضية الكاتب المسرحى والشاعر « باي هوا » .

فقد واجه هذا الشاعر هجوماً حاداً منذ شهر لكتابته سيناريو فيلم « حب من جانب واحد » ، فانحازت الى الدفاع عنه المؤسسة الأدبية الصينية ، ورمت منتقديه بانهم يحاولون اخافة الكتاب باستخدام أساليب التخويف النفساني .

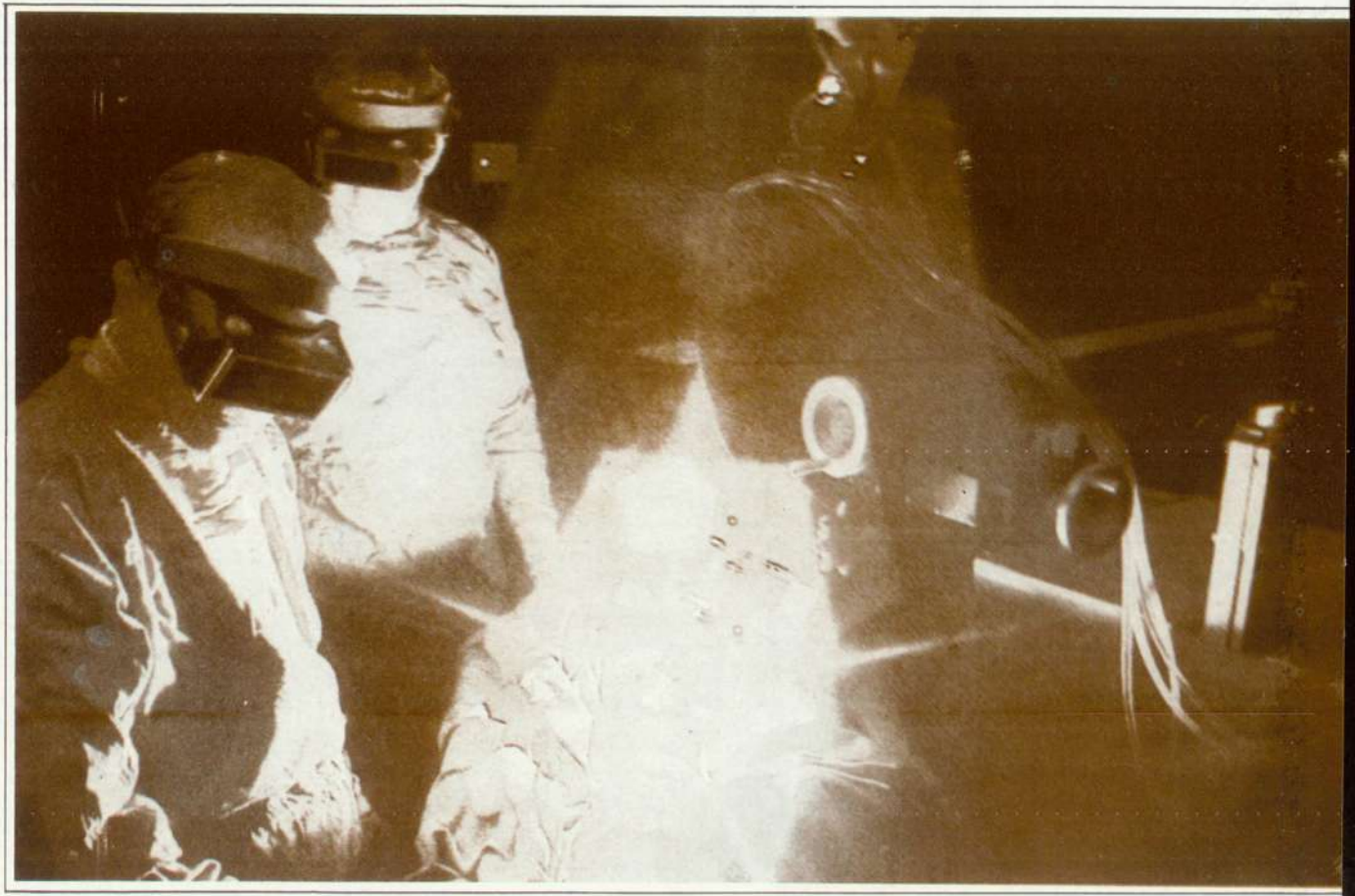
وكان الشاعر « هوا » واحداً ممن فازوا بالجائزة القومية لأفضل قصائد كتبت فى العامين الماضيين ، فانتهز النقاد تلك المناقشة عندما لاحظوا أن الهجمات الموجهة ضد السيناريو الذى كتبه لم تقل من شأنه ككاتب . وقد طالبت كبرى المجلات المخصصة للنقد الأدبى والفنى بأن يتم تقويم السيناريو من جهات مختلفة ، مشيرة بذلك الى أن المدافعين عنه كانوا محظوظى النشاط بأمر من الرقابة حتى هذا الوقت . واعتماداً على المقالات والرسائل التى وصلت الى اتحاد الكتاب الصينيين واتحاد الدوائر الفنية والأدبية المحتجة على الهجوم الحاد على « باي هوا » ، حذرت المجلة الأدبية من أن ينقلب أي نقد لأى عمل أدبى فنى الى (حركة سياسية) ودعت بشدة إلى فتح الباب للنقاد ضماناً لاستمرار النقاش الحر .

وقد أصاب المثقفين الصينيين القلق من أن يكون الهجوم على « باي هوا » بداية النهاية لفترة الحرية والانفتاح التى دامت ثلاث سنوات إذ مازال كثيرون منهم يذكرون أن مثل هذا النقد هو الذى مهد لتفجير « الثورة الثقافية الصينية » منذ خمسة عشر عاماً .. وخاصة بعد أن احتد النقاش فى الشهر الماضى بين شق من القياديين فى الحزب الشيوعى الصينى ممن يعتقدون أن التحرر الثقافى قد بلغ حداً بعيداً .. ويجب كبح جماحه ، وأولئك المدافعين عنه ، وعن سياسات أخرى لنائب رئيس الحزب .. دنيق . ومن الدفاع الذى قدمفى الاسابيع الماضية يتضح أن انصار دنيق وقد كسبوا الموقف فى قضية التحضير للاجتماع القادم للجنة المركزية ، يساندون المثقفين .

ان السيناريو الذى وصنعه « باي » بعنوان « حب من جانب واحد » وأخرج فيلما تحت اسم « الشمس والانسان » ثم سحب من دور العرض بعد عدد محدد من العروض ، يحكي قصة مثقف صينى فنان يعود من الخارج بدافع من حب الوطن ، ولكنه اتهم وحوكم كبرجوازي وجاسوس محتمل ابان الثورة الثقافية . وتساله ابنته : « أنت تحب الوطن ، ولكن هل يبادلك الوطن الحب ؟ » وبذا تعطى السيناريو مدلوله ومرماه الحقيقى .

وعلى العكس من الأفلام الأخرى التى تدور حول الثورة الثقافية ، والتى حاز بعضها على جوائز هذا العام ، فان « الشمس والانسان » ينتهى بنبرة متشائمة ، اذ يترك البطل ، وهو على فراش الموت آخر خطواته فى شكل علامة استفهام ، اعترف الكاتب بانه قصد بها طرح التساؤل حول مستقبل بلاده تحت ظل الاشتراكية .

والجدير بالملاحظة أن الكاتب ، رغم ما أثير حول عمله من نقاش وهجوم لم يختف من الدوائر الأدبية ، كما كان الأمر فى أيام الثورة الثقافية .. بل منح جائزة الشعر فى نفس الوقت الذى تم فيه النقد الشرس للسيناريو الذى كتبه .. وهذا مؤشر بأن السياسة الثقافية الجديدة فى الصين آخذة بالفعل فى تطبيق شعار « دع مائة زهرة تتفتح » .. ومائة مدرسة فكرية تعترك » .



وهج ينطلق من أشعة الليزر أثناء استئصال ورم سرطانى من جلد قدم .. ولقد وضع الطبيبان نظارات خاصة واقية من الوهج . الا ترى معنا أن هـــذه الصورة تشبه فى الظاهر صورة لحام للمعادن فى ورشة ؟

أشعة الموت ..
تحولت لأشـــعّة أمـــل وحيـــاة

د. عبدالمحســـن صـــالح

قيل ان العالم الأغريقى القديم أرشميدس كان أول من فكر فى تركيز أشعة الشمس ، ثم توجيهها بمرايا ضخمة عاكسة ، لتحرق سفن الرومان اثناء غزوهم لجزيرة صقلية ، وسواء أكانت هذه القصة حقيقة أم خيالا ، إلا أنها لم تنفذ فى عصره ، ولا بعد عصره .

لكن هذا الهدف قد تحقق فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، ليس هذه المرة من خلال عدسات مجمعة ، ولا مرايا عاكسة ، ولا أشعة الشمس الساطعة ، بل عن طريق ضوء حارق من ابتكار عقول تقف دائما وراء كل انجاز عظيم ، ولقد اصبحت هذه الأشعة بمثابة أدوات جراحية ، تجرى بواسطتها أدق العمليات فى الأجسام ، حتى ولو كانت هذه العملية داخل العين ذاتها ، أو فى عظمة جد صغيره من عظام الأذن الداخلية .

هذه الأشعة « السحرية » الغريبة تعرف باسم أشعة « الليزر » .. وهى تختلف عن كل انواع الأشعة التى نعرفها فى الطبيعة ، ثم انها ليست واردة فيها ، بل جاءت نتيجة لبحوث علماء الفيزياء ، وعندما ظهرت لأول مرة ، عرف العلماء انهم يقفون أمام أكتشاف مثير ورهيب ، وهو لا يختلف ـ من حيث المبدأ ـ عن اكتشاف الطاقة النووية التى استخدمت فى التخريب ، ثم روضها العلماء بعد ذلك للتعمير .. وكأنما التاريخ يعيد نفسه ، فعندما ظهرت أشعة الليزر ببأسها الشديد ، قالوا عنها انها ستكون نواة لأشعة الموت ، وبهذا يمكن أن تضاف الى قائمة اسلحة الدمار الرهيبة ، لكن حمدا لله أنها ما كانت ، بل حولها العلماء الى أشعة أمل ورجاء ، وقدموها للأطباء هدية طبية ، لتصبح أشعة استكشـــاف وشفاء وللبشرية خيرا وبركة وامالا عريضة !



صورة توضح تشوها فى بشرة الوجه ، لكن أشعة الليزر انطلقت لتزيل نسبة كبيرة من هذا التشوه .. قارن الصورتين .



● أشعة الليزر تستطيع أن تقوم بإجراء عملية جراحية في شعيرة دموية يصعب رؤيتها

ورشة تقطيع ولحام !

ان أول ما يتبادر الى الذهن ـ وانت ترى الطبيب « المودرن » أو المتطور مع تطورات العلم وأساليبه الحديثة ـ انك أمام ورشة لحام حديثة ومنظمة ونظيفة ، مع الفارق الكبير طبعاً بين ورشة ميكانيكية وعيادة طبية .. فمقومات ورشة التقطيع واللحام والاصلاح تعتمد على استخدام غاز الاسيتيلين المختلط بالأوكسيجين ، أو على الطاقة الكهربية ، فتبتر هذا الجزء من ذاك ، أو تلحم قطعة بقطعة ، وهذه الطريقة أو تلك تطبق على الآلات وأدوات معدنية لتصلح فيها عطباً أو تزيل صدأ ، أو توصل فيها ما انفصل .. أى أن استخدام النار والمطرقة والسندان والمنشار وما شابه ذلك من أدوات تقليدية قديمة ، قد حل محلها غاز شديد الاشتعال ، فيكاد سنا برقة يذهب بالأبصار (شكل ١) .

ان هذه الصورة التقليدية التى طالما رأيناها فى ورشة لحام المعادن ، قد تراها بصورة أخرى مثيرة فى احدى المستشفيات الحديثة ، أو عند طبيب ماهر فى عيادته الخاصة ، وفيها يمسك الجراح شيئاً أشبه بأداة اللحام ، وعندما يدوس على زرار ، تنطلق اشعة غريبة قد تكون مرئية أو غير مرئية للعين البشرية ، وعندما يوجهها الى الجزء المعطوب من جسد الانسان ، فانها تثقب وتقطع وتزيل وتلحم ، وعندئذ قد ترى وهجاً ودخاناً خفيفاً .. وكأنما المريض قد تحول الى آلة ، وعليه تتسلط أشعة الليزر ، فتصلح ما عطب من هذه الآلة البشرية الحساسة (شكل٢) .

لكن ليس كل من تناول اشعة الليزر بقادر على أن يمس هذه الآلة البشرية كما يمس الفنى المعادن فى ورشته ، بل ان العمليات الجراحية التى تتم بأشعة الليزر تحتاج الى طبيب ماهر وحساس ومتمرن ، خاصة إذا توجهت هذه الأشعة الحارقة الى العين ، إذ لابد أن يكون توجيهها محسوباً ومقدرا بعناية فائقة ، ولابد كذلك من وضع راس الانسان فى شيء أشبه « بالمنجلة » التى نثبت بين فكيها جزء معدنياً نريد نشره أو قطعه ، لكن « المنجلة » الطبية جاءت بتصميم مناسب ، لتثبت رأس الانسان ، وتمنعه من أية حركة ، مع أخذنا فى الاعتبار راحة المريض ذاته .. لأن رأسه ليست قطعة من معدن ، ولا يجب أن نعاملها مثلا كما نعامل المعدن بين فكى « المنجلة » (شكل ٣) .

مبضع كشعرة الرأس

لكن .. لماذا يتخلى الأطباء المتطورون عن أدواتهم الجراحية التقليدية ، ويلجأون الى استخدام هذه الأشعة الخطرة ؟ .. وهل هى رفاهية أو بدعة يلجأ اليها بعض الأطباء لاكتساب شيء من الشهرة ؟ .. أم أنهم يسيرون على مبدأ « خالف تعرف » ؟ .

ليس ذلك تماماً ، فهناك بعض العمليات الجراحية الدقيقة التى لا يمكن اجراؤها بأدوات الجراحة المعروفة والتى تختلف كثيرا عن أشعة الليزر ، إذ يمكن لهذه الأشعة أن تنبثق من خيط زجاجي أقل سمكاً من شعرة الرأس ، ليس ذلك فحسب ، بل أن هذا الخيط الدقيق جدا يمكن ادخاله بسهولة تامة من أى جزء فى العين ، ومن الممكن توجيهه حتى الشبكية ، فاذا استقر فى المكان المحدد ، انطلقت منه أشعة الليزر كومضات دقيقة غاية الدقة ، وبحيث يصبح فى الأمكان اجراء عملية فى خلية واحدة لا ترى بالعين ، وهذا ينبئك بحساسية ودقة هذه الأداة العجيبة التى دخلت عالم الطب والجراحة من أوسع ابوابه ، وحققت بذلك أهدافاً رائعة ما كان يمكن التوصل اليها بأدواتنا الجراحية التقليدية .

فى دراسة ممتعة قدمها لنا لورين فرويد مان فى إحدى المجلات العلمية عن دقة هذه الأشعة المثيرة ، يذكر فيها حقائق ما كانت لتطرأ على عقل بشر منذ عشرين عاماً فقط ، ومن هذه الحقائق أنه بالامكان كتابة الحروف بأشعة الليزر على رأس دبوس صغير ، أو على ماهو أصغر من ذلك ، حتى ولو كان ذلك خلية دموية أو نباتية .. وطبيعى أن هذه الخلايا لا ترى إلا بالميكروسكوب ، وهذا يوضح لنا بجلاء أن أشعة الليزر تستطيع أن تقوم باجراء عملية جراحية فى شعيرة دموية يصعب رؤيتها ، أو فى موضع على شبكية العين اصغر من نقطة تراها هنا فوق بعض الحروف أو تحتها ! .

ان واحدة من الصور المنشورة مع هذا المقال (شكل٤) توضح ذلك أجمل توضيح .. إذ نرى فى خليتين متجاورتين ـ مشارا إليها بسهمين ـ نقطا ضوئية لحرفى M B .. وهما الحرفان الأولان من اسم ميشيل بيرنز من جامعة كاليفورنيا ، ان كل نقطة تمثل ومضة ضوئية خاطفة لأشعة الليزر ، التى تحكم فيها بيرنز بدقة فائقة ، فتركت اثرها كثقب دقيق ، ولو لم نكبر هذه الصورة بميكروسكوب ، لما استطعنا ان نرى خلايا النبات ، وناهيك عن النقط التى هى اصغر بكثير من الخلايا ، وطبيعى أن هذه الصورة لن تقدم فى مجال العلم ولن تؤخر ، لكنها تشهد بطبيعة العصر الذى سندخله مع



طراز أخر من أشعة الليزر المستخدم فى طب الأسنان .. وبواسطته تتم العمليات بكفاءة نادرة ، وقد لا تحققها أدوات الجراحة التقليدية

أشعة الموت ..
تحولت لأشعة أمل وحياة

● من أهم مميزات اشعة الليزر أنها تزيل الأنسجة غير المرغوبة عن طريق إحراقها.. وهي في نفس الوقت لا تسبب نزيفًا دمويًا كالذي تحدثه الآلات الجراحية التقليدية

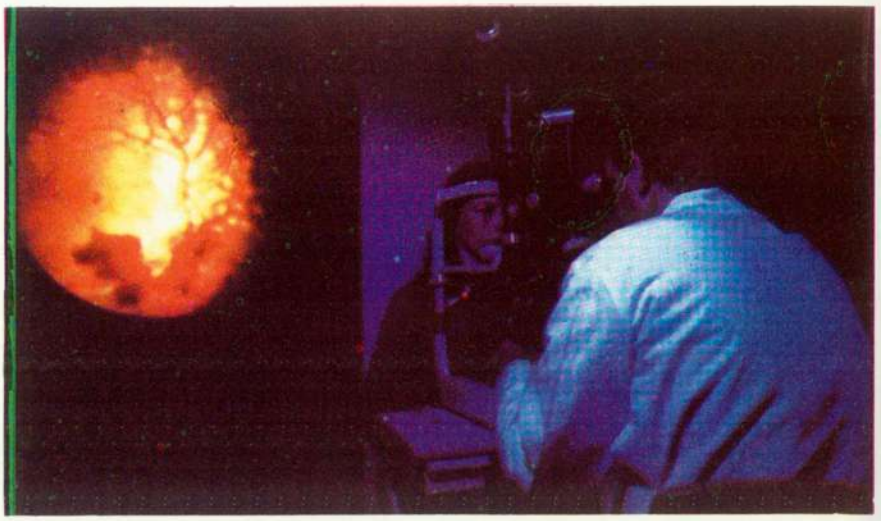
العلم لنحقق اهدافاً رائعة فى مجالات لا نكاد نحصيها عداً .

نار الليزر .. نور العين

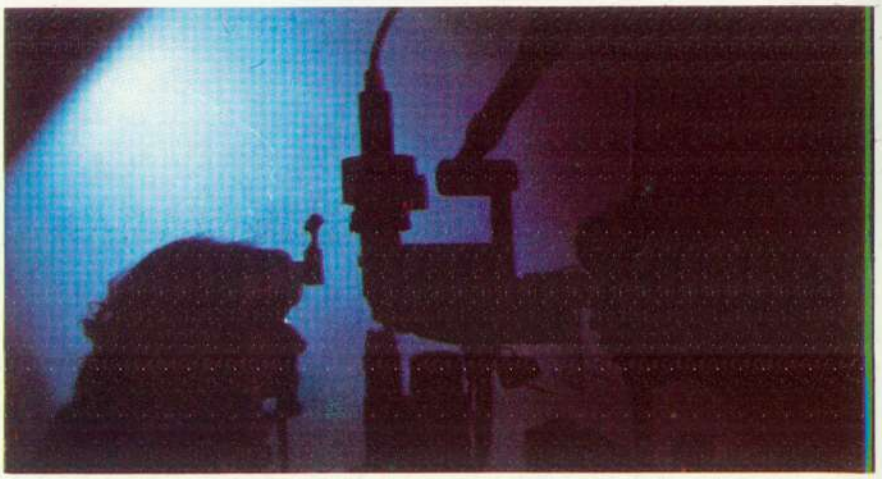
لو قدر لك مثلا وشاهدت طبيب العيون وهو يجرى عملياته على العين البشرية ، فربما اصابك شيء من الدهشة الممزوجة بالفزع . إذ تراه يمسك بآلة لحام المعادن ، لكنها آلة دقيقة ونظيفة ، وتنتهى بأنبوبة زجاجية تشبه الابرة ، لكنها فى سمك شعرة الرأس ، أو ربما أقل ثم إذ به يدخلها بسهولة تامة فى عمق العين متوجها بها نحو شبكيتها .. أنه يريد القيام بعملية « لحام » فى الانفصال الذى حل بالشبكية ، وطبيعى أنه لا يستطيع أن يرى المنطقة التى حل بها التلف بوضوح تام ، ولابد أن يضيء العين من الداخل .. لكن بأية وسيلة يمكن بلوغ هذا الهدف الذى يقف له شعر الرأس ؟ .

بشعرة زجاجية أخرى رقيقة غاية الرقة ، فبعد أن تدخل العين تنطلق أشعة الليزر بحساب ومقدار ، فتضيء دون أن تحرق المحتويات الداخلية ، وتصبح بمثابة المرشد فى عالم تكتنفه بعض المتاهات ، ولكي يرى أنسجة الشبكية بوضوح ، كان لابد أن يستعين بعين غير عينيه ، وقدم له العلم شيئا اشبه بالميكروسكوب ، ليكبر له العين مرات ، ومن خلاله ينظر ويوجه الشعرة الزجاجية الأخرى التى تنطلق منها اشعة ليزر قوية – هى بمثابة مبضع دقيق غاية الدقة ، فيزيل به الأورام ، أو يلحم ما تهتك ، أو يوقف نزيفا .. الخ ، وكل هذا وغيره لم يكن متاحاً فى السنوات الماضية ، فلا أحد يستطيع أن يستخدم المبضع التقليدى لمثل هذه العمليات الدقيقة الحساسة .. وأين؟ .. فى داخل العين حيث يتم كل شيء بحساسية ودقة وكفاءة بالغة .

ان من أهم مميزات أشعة الليزر انها تزيل الانسجة غير المرغوبة عن طريق احراقها ، وهى فى الوقت ذاته لا تسبب نزيفا دمويا كالذى تحدثه الآلات الجراحية التقليدية ، بل تكوى « بنارها » كل شعيرة دموية صغيرة ، وتسد فيها منافذ الدماء فى التو واللحظة – أى كأنما هى بمثابة المبضع الذى يقطع ويزيل ، والخيط الجراحى الذى يحيك ، والضمادة التى تمنع النزيف ، ومن أجل هذا أصبحت اشعة الليزر أمل المستقبل .



ليست ورشة .. بل غرفة لعمليات العيون بأشعة الليزر .. لاحظ كيف تضاء العين من الداخل (فوق الى اليسار) لتظهر تفاصيلها الداخلية ، وتأمل وضع رأس المريضة فى تصميم آلى يمنعها من الحركة أثناء جراحة ترقيع الشبكية ولاحظ أيضا نقة البقعة الضوئية على العين .



ونور الرجاء الذى ينتظره الآلاف ممن يتعرضون لفقد نعمة البصر فى حالات مدروسة ومعروفة .

هناك مثلا حالة طفلة ـ قدمها لنا فرويدمان ـ كانت مهددة بالعمى نتيجة لنمو غشاء شاذ على سطح العين من الأمام ، ولقد حاول بعض جراحى العيون ازالة هذا الغشاء بالطرق الجراحية التقليدية ، وفى كل مرة من المرات الثلاث التى تمت فيها تلك المحاولات ، كانت تصاب بنزيف ، وأصبح من المستحيل ـ والحال كذلك ـ اتمام العملية ، ليس ذلك فحسب ، بل أن الغشاء الشاذ كان يزداد سمكا واتساعا بعد كل محاولة ! .

وفقد الجراحون الأمل ، لكن أشعة الليزر كانت المنى والأمل ، وبها تمت اول محاولة فى عام ٦٨ على عين هذه الطفلة فى كولومبيا الأمريكية ، وكان أول من استخدم الليزر طبيب العيون فرانسيس اسبيرانس ، وانطلقت ومضة ضوئية حارقة من وراء ومضة ، وفى كل ومضة كان الأمل يتجدد ، لأن الومضة كانت تزيل نقطة صغيرة من الغشاء ، وفى الوقت ذاته تكوى الشعيرات الدموية ، وتمنع النزيف ، وتكررت مئات الومضات الحارقة ، وأزيل الغشاء دون مضاعفات ، وبعد عدة أيام ، تحقق الشفاء ، وتم الانقاذ من عمى لا مفر منه ولا مهرب ، ومن يومها بدأ العلماء فى تحسين وتطوير واتقان اجهزة الليزر ، حتى وصلت فى أيامنا الحاضرة الى عشرات الطرازات ، ولكل طراز منها مجال محدد ، وعمل مقنن ، وبهذا اصبحت أشعة الليزر بمثابة الكاسحة للداء ، والجالبة للشفاء

ان ترقيع شبكة العين باشعة الليزر ، أو استئصال الأغشية الغير مرغوب فيها ، أو كي الشعيرات الدموية النازفة ، لا تمثل إلا جانباً صغيرا فى مجال انقاذ العيون من العمى ، خاصة عند المتقدمين فى السن ، فمن الممكن مثلا تسليط شعاع من الليزر على العين ، وفيها يحدث ثقباً ضئيلا غاية الضالة ، وكأنما الشعاع هنا بمثابة مثقاب من نوع خاص ، ومن خلال هذه الثقوب الضئيلة يمكن التخلص من جزءا من سائل العين الذى يضغط على جدارها ، ويصيبها بالتصلب الذى قد يؤدى الى العمى ، وومضة أخرى على موضع الثقب ، فاذ به يلتئم فى التو واللحظة ، وكأنما الليزر يفعل المعجزات فى أيدى أطباء العيون المتمرسين على هذا النوع من الجراحة الليزرية !

انجازات أخرى رائعة

بعد هذه الجولة السريعة فى عالم العيون ، كان لابد أن نقدم شيئاً عن الانجازات الجديدة المضيئة فى مجالات أخرى تستحق التقديم .

ولنأخذ حالة مريض استمر فيه نزيف داخلي فى أمعائه من جراء تهتك وانفجار بعض الشعيرات الدموية التى كانت تهدد حياته ، فبدون عملية فتح بطن وأمعاء ، يمكن علاج هذه الحالة ، وما على المريض إلا أن يبلع أنبوبة من المطاط تحت تأثير مخدر خفيف ، وفى داخل الأنبوبة تمتد حزمة من آلاف الانابيب أو الشعيرات الزجاجية التى يطلق عليها الخيوط الضوئية ، ومن هذه الآلاف تنطلق أشعة الليزر لتضيء داخل الجهاز الهضمى ثم تنقل صورة واضحة ومكبرة ، فيرى داخل المعدة أو الأمعاء « ما لا عين رأت » .. أن هذا التصميم نوع متطور من المناظير التى تشتغل باشعة الليزر ، وكأنما هو بمثابة عين تليفزيونية تشتغل من الداخل ، وتعكس ما رأته الى الخارج ، ليقع على عين الجراح ، أو على شاشة مناسبة ، وكلما تجول الجراح بمنظاره ، ورأى مواقع الشعيرات النازفة ، سلط عليها مبضعه الجراحى ـ أى تلك الشعرة الزجاجية الحاملة لضوء الليزر ، فتحرق وتزيل وتكوى ، أو تؤدى الى تكوين جلطات دقيقة فى الشعيرات الدموية النازفة ، فتمنع بذلك النزيف ، ولا يزال الجراح « الليزرى » ينتقل بمنظاره وشعرته القاطعة الحارقة المضمدة من



الصورة فى ورشة لحام للمعادن بواسطة غاز الاستلين .. لكن الشىء نفسه يحدث الآن فى الأجسام البشرية بواسطة أشعة الليزر .. قارن الصورة بالصورة التى تليها .



مقطع فى خلايا بنائية مكبرة بالميكروسكوب .. لاحظ الحرفين M.B المشار اليهما .. لقد تم حفرهما على الخليتين بأشعة الليزر وكل نقطة تمثل دفقة ضوئية .

أشعة الموت .. تحولت لأشعة أمل وحياة

● ضوء الليزر الذي ينبثق من الشعرة الضوئية الرفيعة يستطيع أن يزيل بعض الأورام الخبيثة ، تاركا وراءه جراحة نظيفة مأمونة العواقب

موقع الى موقع ، حتى تنتهى العملية ، وبها يعود المريض النازف الى حالته الطبيعية .

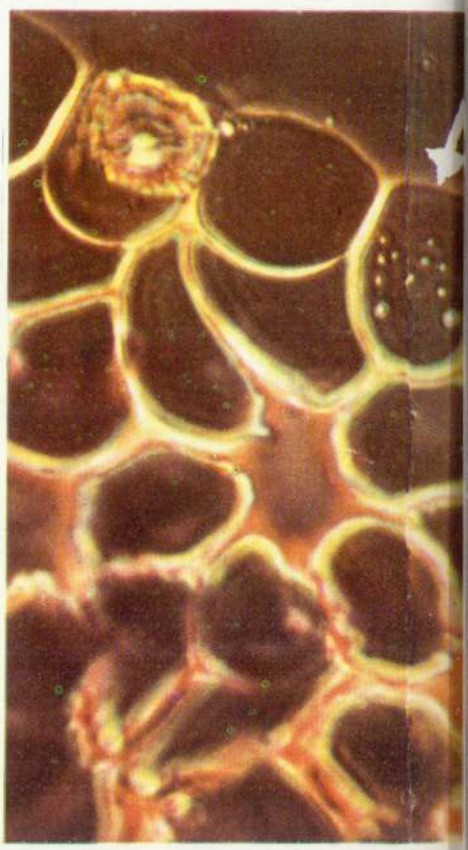
ان مثل هذه العمليات الدقيقة الحساسة لم تكن ممكنة ولا متاحة منذ سنوات قليلة ماضية ، لكنها أصبحت حقيقة واقعة ، وأدت الى نتائج مذهلة ، ودون حدوث مضاعفات خطرة ، وفوق كل هذا تستأصل كل نسيج غير مرغوب فيه ، دون اللجوء الى العمليات الجراحية التى تنزف منها الدماء ، وما يتبع ذلك من فترات نقاهة قد تطول حتى تلتئم الجروح .. كل هذا يحدث وكأنما الجراح يرى كل صغيرة وكبيرة فى الداخل ، رغم انه يعمل من الخارج ، وذلك بفضل التزاوج بين علوم التكنولوجيا الحديثة ، وعلوم الطب ، وما يتمخض عنها من انجازات هائلة .

مبضع دقيق لايجارى

ثم أن معظم العمليات الجراحية التى تجرى الآن لاستئصال الأورام السرطانية انما تتم بواسطة الأدوات الجراحية التقليدية ، وأحيانا ما تكون غير مأمونة العواقب ، لكن ضوء الليزر الذى ينبثق من الشعرة الضوئية الرفيعة كدفقات ضوئية عنيفة ومتقطعة ، يستطيع أن يزيل بعض هذه الأورام الخبيثة ، فبمجرد أن تنطلق الدفقة الضوئية ، وتمس جزءا من الورم ، فان الضوء الليزرى يتحول فى التو واللحظة الى وهج وحرارة عالية ، فتقتل جزءا من الخلايا السرطانية ، وبانطلاق مئات او الاف الدفقات الضوئية واحدة بعد الأخرى ، يتم ازالة الورم شيئا فشيئا ، فلا يخلف وراءه إلا انسجة متفحمة ، وشبه أدخنة قليلة متصاعدة ، وتنتهى العملية دون نزيف أو ضمادات ، لأن الليزر قاطع مانع – أى يزيل الورم ، وفى الوقت ذاته يمنع نزيف الشعيرات الدموية ، وبهذا يترك الليزر وراءه جراحة نظيفة ومأمونة العواقب .

لكن ضوء الليزر قد لا ينفع مع ازالة الأورام الكبيرة ، فهذه تلزمها جراحة تقليدية ، ثم يأتى دور الليزر – بعد ذلك – ليقوم بعملية تنظيف والتئام وازالة اى اثر لخلايا سرطانية قد لا ينفع معها مبضع الجراح !

ثم ان أشعة الليزر تستطيع أن تكشف بدايات الاورام السرطانية فى



الجهاز البولى والتناسلى ، وفى الأمخاخ والعيون والجهاز الهضمى والحنجرة والرئتين .. الخ .. الخ ، لأن بعضها يعطى ضوءا لينير الأنسجة الداخلية ، ويوضح لعين الجراح ما خفى فى الباطن ثم ياتى بعد ذلك طراز آخر من هذا الضوء العنيف ، ليزيل بدايات هذه الأورام .. ولنتصور انسانا مسنا ظهر له فى مثانته بداية ورم سرطانى ، وهو لا يتحمل أجراء عملية جراحية لكبر سنه ، وعندئذ ياتيه الليزر باشعته السحرية ، وحيث تتدفق ومضاته على جدار مثانته ، تبدأ فى ازالة أورامه ، وبعدها يستطيع أن يترك حجرة العمليات الى منزله مباشرة .. فلا جروح ولا نزيف ولأن العملية قد تمت فى الداخل من خلال فتحة مجرى البول ، وبمساعدة منظار ليزرى خاص بالمثانة ، ليضيء لعين الجراح ويوجهه الى حيث يكمن الداء .

او لنتصور انسانا قد اصيب بورم خبيث فى مخه ، وان هذا الورم قد حل بموقع لا يمكن لمبضع الجراح أن يصل اليه ، عندئذ قد يثاب المريض بهذا الضوء الجديد ، إذ يمكن ثقب عظام الجمجمة بدفقات من اشعة الليزر ، ومن خلال الثقب الدقيق يصبح بالامكان ادخال انبوبة جد دقيقة تتدفق منها نبضات متقطعة من الأشعة التى تقوم مقام المبضع ، حتى إذا وصلت الى هدفها بدأت عملها ، وومضة من وراء ومضة ، فيزول الورم ، ويصبح فى خبر كان !

ان هذه الأشعة السحرية تستخدم الآن فى ثقب العظام بدقة بالغة ، وبحيث تعطينا ثقبا يكفى بالكاد لادخال ابرة دقيقة ، وإذا أردنا بالثقب اتساعا ، أدت الأشعة هذا العمل بسهولة تامة . وهو أمر يصعب تحقيقه بالأدوات الجراحية التقليدية ، كما أن هذه الأشعة دخلت ميدان علاج الاسنان من أوسع الأبواب .. فهى تكوى اللثة المتاكلة ، وتضع حدا لتسوس الاسنان ، أو تصلح ما فسد منها .. الخ (شكل٥) .

ومن الممكن استخدام هذه الأشعة فى عمليات التجميل ، خاصة حالات الأمراض الجلدية التى قد تظهر على هيئة تشوهات واضحة (ومنها ما يطلق عليه العامة اسم الوحمة ، وهذه تتخذ أشكالا شتى) .. وفى واحدة من هذه العمليات التى أجريت على وجه مشوه (شكل٦) انطلقت ١٨ ألف ومضة ضوئية على مدى ساعتين ، فازالت من التشوه بعض معالمه ، وأنت تستطيع أن ترى الفرق بنفسك قبل العلاج وبعده .. صحيح أن هناك بعض معالم التشوه ، لكن شيئا أفضل من لا شيء ، ثم أننا لازلنا فى بداية الطريق .

والموضوع بعد ذلك طويل ومتشعب ومثير ، لكن فيما قدمنا الكفاية ، ولنقدم الآن شيئا عن « موديلات » أشعة الليزر

ان أجهزة أشعة الليزر تعتمد اساسا على تصميمات معقدة لا نستطيع أن نتعرض لها هنا ، فليس ذلك مجالها ، لكن يكفى أن نذكر انها تنتج من طاقة كهربائية مختزنة فى جهاز خاص ، وعندما تنطلق ، فانها تخرج كدفقة من ضوء قوى ومدمر ، ولا يستغرق ذلك إلا جزءا واحدا من ألف مليون جزء من الثانية ، ولابد من توجيه هذه الدفقات فى تصميمات خاصة ، حتى يمكن الاستفادة بها ، ثم أن لكل طراز من هذا الضوء تصميماً محدداً ، وبحيث يخرج كضوء منظور او غير منظور للعين البشرية ، واحيانا ما يتخذ ألوانا شتى ، ويتوقف ذلك على اطوال موجاته او شدتها ، فهناك مثلا أشعة الليزر التى تنبثق من خلال غاز ثانى أوكسيد الكربون ، أو غاز الأرجون ، أو العقيق ، أو خلال خليط من المعادن النادرة .. الخ ولهذا تسمى باسم الوسط الذى تمر فيه ، كأن يقال مثلا ليزر الأرجون ، أو ليزر ثانى أوكسيد الكربون .

وطبيعى أن هذا الضوء المركز الذى ينبثق كدفقات قوية (كلما ضغط الجراح على زرار) لا يسرى خلال المعادن الموصلة أو الأسلاك كما يسرى التيار الكهربى مثلا ، وكان لابد من استنباط طريقة لنقله وتوجيهه دون تشتت ، فظهرت فى الأفق « أسلاك » زجاجية رفيعة كشعرة الرأس ، وهى مجوفة ومبطنة من الداخل بعشرات المواد الكيمائية المختلفة التى ترسبت طبقات من فوق طبقات ، وهذه بمقدورها أن تنقل ضوء الليزر وتوجهه ، ومن أجل هذا اطلقنا عليه أسم الألياف الضوئية OPTIC FIBERS وهذا ماتعرضنا له في مقالة سابقة على صفحات هذه المجلة تحت عنوان « عصر المعلومات » .

ثم أن هذه الدقة المتناهية فى سمك الألياف الضوئية ، وفى عنف أشعة الليزر ، وفى التصميمات المختلفة ، قد جعلت منها أداة جبارة فى تطبيقات طبية وعلمية كثيرة ومتشعبة ، ولاشك أنها ستتطور ، وسوف تجذب لكفاءتها العالية انظار الأطباء والجراحين ، لأنها أكفأ من الأدوات الجراحية التقليدية ، وطبيعى أن معظم الجراحين لا يقبلون عليها كاقبالهم على أدواتهم الجراحية التى مارسوها جيلا عن جيل ، ثم أن المتاح أفضل ، ولأن الناس أعداء ما جهلوا ، لذا كان الخوف من الاقدام على دخول هذا المجال المثير والمخيف (الآن على الأقل) .. لكن مما لاشك فيه أن هناك روادا يشار إليهم بالبنان ، ولقد حققوا انتصارات مذهلة فى هذا المجال ، وسوف تجذب هذه الانتصارات اهتمام الأجيال القادمة ، ليدخلوا بكل ثقلهم فى هذا الميدان الذى يبشر بامال عراض .. وبهذا يصبح الليزر نارا ونورا ـ نار على الآلام ونورا لمزيد من الآمال .

دكتور عبد المحسن صالح

● نود أن نشير هنا أن معظم الصور المنشورة مع هذا المقال ماخوذه من مجلة « ساينس دايجست » الامريكية .



متحف حي لفنون السودان في الدوحة

كمال سعد

الرقص الشعبى هو الفن الذى يمثل حركة الأمة الطبيعية العفوية ، وهو أصدق صورة لحقيقة طبائع وعادات وتقاليد الشعوب ، لأنه أحد الفنون التى لم تطمسها مظاهر المدنية وصورها المصطنعة !

ومن الرقص الشعبى أصبحنا اليوم نستطيع التعرف على حياة أى شعب وحفلات أعراسه وأزيائه وزيناته الموروثة من العصور الغابرة !

وإذا نظرنا الى عروض الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية التى قدمت







الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية أثناء تقديم عروضها فى مدينة الدوحة .

برنامجاً كاملا خلال الأسبوع الثقافى السودانى فى مدينة الدوحة ، لوجدنا أن هذه الفرقة تقف فى مقدمة الفرق العربية بما تعطيه للمتفرج من متعة ذهنية ، وبما تعكسه من ألوان حية من التراث فى البيئة السودانية الزاخرة بكل أنواع العطاء المتمثل فى أعراس القبائل السودانية ذات الأصول العربية وايقاعات الرقص الافريقى المرتبطة بالعمل والميلاد والزواج والموت والطقوس وكافة المناسبات الأخرى التى يحس اثناءها الراقصون بقوة الحدث





رقصة السيوف بما فيها من أداء مرتبط بالتقاليد العربية .. ثم رقصة من الجنوب حيث إيقاع الموسيقى الافريقية .. وبقية اللقطات لمعرض الصور الفوتوغرافية .

متحف حي لفنون السودان في الدوحة

فتتم المشاركة الاجتماعية على إيقاع الطبول وحركات الجسم ذات المدلول والمغزى !

وقد بدأت الفرقة القومية للفنون الشعبية السودانية أول عروضها منذ ٢١ عاماً ، وبالتحديد فى عام ١٩٦٠ ، عندما تم جمع كل الفرق الراقصة للقبائل السودانية أثناء احدى الاحتفالات الوطنية ، ووقتها أحس كل من رأى هذه العروض بالرصيد الفنى الضخم المتمثل أمامهم ، فتكونت أول فرقة للفنون أطلقوا عليها اسم «شعلة افريقيا» ، ظلت تقدم ألوانها بصورة تلقائية ، حتى استعانت الدولة فى عام ١٩٦٧ بخبير فى الرقص الشعبى اسمه «رمازين» وزوجته «لارا» فى تدريب الراقصين على أصول وقواعد فنية ، ليتم تأسيس الفرقة القومية للفنون الشعبية ، ولتقدم أولى عروضها ذات المستوى الفنى الرفيع فى المهرجان الافريقى الأول فى الجزائر عام ١٩٦٨ !

وأصبحت الفرقة بعد تلك السنوات تضم رصيدا كبيرا من الرقصات يتجاوز العشرين رقصة ، وهذه الرقصات تمثل القبائل الكبرى فى السودان حسب توزيعها الجغرافى ، كما أنها قدمت عروضها فى عدة دول من بينها الجزائر ومصر وتونس واثيوبيا والكويت وأبو ظبى والدنمارك والمانيا الغربية والاتحاد السوفيتى ورومانيا وليبيا والمغرب وسوريا وأوغندا والصومال وكينيا ويوغسلافيا وفرنسا واسبانيا ونيجيريا وأخيرا قطر ..

وفى لقاء مع أعضاء الفرقة القومية للفنون السودانية أثناء الأسبوع السودانى الثقافى فى الدوحة قالوا ان أول عروض رقص فيها أبناء القبائل فى السودان أمام الجماهير فى مدينة الخرطوم وصل فيها عدد الراقصين الى حوالى ٤٠٠ راقص ، تناقصوا – بالطبع – مع تنظيم أول فرقة فى تاريخ السودان الى ٦٠ راقصا وراقصة ، يحافظون على التراث ويستلهمون منه أهم عروضهم !

وقالوا ان هذه الفرقة تعكس عادات وتقاليد قبائل السودان التى يصل تعدادها الى ٥٧٩ قبيلة تتحدث أكثر من مائة لهجة ، يجمع بينها ذلك الايقاع المميز لأغلب فنون هذه القبائل !









وأشاروا الى أهم المشاكل التى تواجههم باستمرار ، ومن بينها ضرورة رجوعهم الى المصادر ـ حتى لو كانت فى مناطق نائية ـ عند تقديم أية رقصة جديدة ، وهذا يكلفهم الكثير من الجهد المادى والمعنوى .. ورغم أن هذه المشكلة أستطاعوا التغلب عليها بحكم العادة وبحكم تكرارها أمامهم عند تقديم كل عمل جديد .. إلا أن هناك مشكلة لم يستطيعوا حلها حتى الآن ، ففى كل فترة يفاجأوا بمجموعة من الراقصات يتركن الفرقة إما بسبب الزواج أو لأسباب عائلية أخرى ، وهذا يؤدى الى طلب راقصات جدد ، ليبدأ جهد التدريب من جديد ، وقد كانت أخر مفاجأة للفرقة هى خروج سبع راقصات مرة واحدة !

إن السودان بما يضم من لوحات وألوان متعددة فى الرقص الشعبى ، أصبح ملهماً لرقصات العالم كله ، فالسمبا والرومبا والمامبو التى غزت أوربا وانتشرت بين ربوع بلادها ما هى إلا رقصات سودانية .. وكذلك يمكننا أن نجد الروح العالمية فى بقية الرقصات التى يقدمها السودان للجماهير فى كل مكان ، مثل رقصة «المسيرية» القادمة من الغرب والتى تمثل روح الشجاعة والرجولة والقوة ، ورقصة العروس التى تشترك فيها إيقاعات الدفوف والطار والدربكة ، ورقصة الرزيقات القادمة من مديرية دارفور والتى تعتبر من أجمل الرقصات السودانية والتى تعطيها زغاريد الفتيات مزيجاً من المرح والسرور ورقصة الشلك التى يحمل فيها الراقصون الرماح وهم يرتدون جلود النمور ويتحركون أمام الفتيات فى فتوة ورشاقة

وغير ذلك هناك رقصة الدينكا القادمة من مديرية بحر الغزال والتى ترقصها الفتيات وفوق رؤوسهن الرياش ذات الألوان الزاهية ، ورقصة الكمبلا التى اشتهرت بها جبال النوبة ، ورقصة البجة التى تحمل فيها البنات السيوف وهن يرتدين الأزياء ذات الألوان الجذابة !

وكل تلك الرقصات وغيرها تجعلك تدرك ان فى السودان متحفاً حياً لتاريخ شعبه وصناعاته وفنونه وآدابه وكل ألوان حياته الزاهية ذات الجذور الضاربة فى أعماق الأمة وأحاسيسها ومشاعرها الفياضة !

كمال سعد

أنصاف الثائرين

قصة جديدة بقلم
الدكتور يوسف إدريس



في الليل لما خلي إلا منه ، ولم يكن الشاكي ، وليس حتى ذلك الرضا المؤقت عن النفس بعد عمل باهر . تائه . الهدف مهم ، حتى المشاكل حين تقع تصبح هدفاً المهم ماذا بعد . بكلمة انتهى الاشكال . دقائق معدودة حدث فيها كل شيء حين يجيء الليل وأنت لا تعرف لمن وإلى أين تذهب . حين يجيء الليل ويسحب الكائنات كل الى عشه ومستقره ومقامه ، ووحدك تبقى وحدك وحولك لا يوجد سوى الظلام واللاهدف . حينذاك يعود الليل شيئاً آخر . عمى أصاب الشمس أو غولا ابتلع الدنيا والناس ، ولا تتحول أرض النهار كالعادة إلى أرض ليل وقد تغير منها اللون فقط ، تصبح الأرض المستوية بحراً ، ليس مجرد تشبيه ، تتحول حقاً إلى بحر ، الريح أمواجه والظلام آفاته ، الاضاءات البعيدة أو القريبة مراسيه ومنارات .

وفى الليل لما خلي إلا من الشاكي ، صوت عباس يدندن ، يطرد الوحشة ، لكن الدندنة تؤكدها ، يعلو الصوت ، يغني ، يطلب الونس فيتحدث الى الليل المسكون بالظلام الراسخ العميق . فى الليل لما خلي ، الجمال الوحيد فى صوت عباس أنه يجعلك تتذكر عبد الوهاب وهو يغنيها ، وبحنجرته الحلوة يستأنس كون الظلام ، ويضيء على مدى الصوت الصبي أنيق الشموع .

في الليل والعربة تجار ، تصعد ،

تميل ، تتلوى ، صندوقها المغلق الكبير يتارجح فهى تسلك الطريق الوعر الخالي من أكشاك المرور وعساكر المرور . فقد سحبوا الرخصة منه من زمن لضعف بصره ، وفى الليل يزداد ضعفاً ويزداد تارجح اللورى فوق جسور المصافي غير الممهدة وغير المعدة لمرور العربات ، أى عربات .

في الليل والعائلة الغريبة منكمشة بجواره ، الزوجة وضعها الرجل لصق الباب غيرة عليها أن تكون محشورة فى الوسط ، والأولاد فى الدواسة وفوق ركب الأب والأم وفى كل مكان . في الليل وقد مضى النهار المزدحم ، ذلك النهار . قصته الكاملة لو كتبت لاستغرقت كتباً .. بل لا أحد بامكانه أن يحيط بها كلها .

عباس السائق جنبته الأغنية وغرق فى دوامتها . الليل صاحبه القديم ، والليل عمره ، بل أصبح قدره ، ولم يعد سواه ملجأ يحميه من النهار ، نهار الناس العاديين والقانون العادى ، نهار البوليس والتفتيش والرخص ، النهار الذى يضبط فيه كل شيء ولا يفر منه أحد ولم يعد له سوى الليل

ذلك الليل الذى خلا إلا منه و من محتويات (لوريه) من بشر وأشياء وعزال ، يستجير به معيناً حتى لا يتخلى عنه ، إذ حتى لم يعد يرى أمامه أى مرفأ .

قطع عباس اندماجه وسأل : مريوط ؟ مريوط ؟

حجاج الراكب وصاحب الكومة الأسرة فرح ، فالسائق فى العادة ذلك الذى اعتاد الصمت وقصر حواره دوما مع الموتور ، إذا أجاب مضطرا خرجت الاجابة من أنفه ، تكبرا يقولون ، تكبر السائقين الذين يعرفون أنهم فوق الناس لأنهم يعرفون ما لا يعرفه الناس ، تحت إمرتهم سر الصنعة ، والآلة اللغز ، سلسلة فى يدهم ، الآلة لغز فى عالم يحيا بآلات من الحمير والكارو والجاموس والنهيق . الآلة . أصبح الحضارة البعيدة تخترق الفيافي وتظهر هنا ، معجزة ومرعبة ، وسيدها عباس أو أى عباس ، أو حتى لو كان نظره شيش بيش ليجعل تكبره على الآخرين أقل شموخاً ، ولكنه حتماً يملك ذلك الشموخ .

مريوط ، لماذا مريوط ، وهل يعقل ، وفى هذه الساعة أن يطرح حجاج (أفندى) باب أنيس أفندى ولغرض كهذا الغرض . مريوط مريوط مريوط ، وهذا البغل ذو الكرش المحشو جشعاً ونتانة . مريوط يا إبن بائعة الفجل الذى أصبحت صاحب أرض وبفضلي أنا تحولت من (بقجة) القماش تحملها لتبيعها بالمتر والنصف متر فى الأسواق الى صاحب دفتر شيكات ضخم بقلمك المذهب تستطيع أن تضع أى رقم وتوقع ، ولتوقيعك قيمة وسمعة ، أعظم من سمعة



أنصاف الثائرين

محافظ البنك الأهلي ، وورقة دفتر شيكاتك أضمن من الورقة أم مادنه ، والمميزة بالصورة المحورة لأبي الهول . مربوط مربوط ، ياحسن بن وهيبة بائعة الفجل ، يامن سموك يوم ولادتك حسن الكبش ، لفرط شبهك به ، ثم لما تاجرت وأصبحت صاحب عربة خضار سموك المعلم ، وتلاشى الكبش من اسمك ، وذاكرة الناس للأسماء وللألقاب ضعيفة ، خاصة إذا كان أصحابها يكبرون والناس تصغر وحسن بك أصبحت . مائة فدان تملكها رغم أنف قانون الاصلاح الزراعي وقوانينه الصارمة لمنع التحايل ، ومائة أخرى تستأجرها رغم أنف قوانين الايجار الحاسمة . مائتى فدان . الجنايين مائة . والخضار مائة . والسراية اسمها الشاليه . والسور الذى يحيط بالمائتى فدان أسلاكه شائكة ، وفى الليل مكهربة ، وماكينة النور تكفى لاضاءة مدينة ، وحظك نار ، بمائة جنيه لهفتها والأرض فدانها بألف ، وصاحبها الخواجة يبكى ، فالعمر أضاعه ، يصنع من الجنينة جنة ، قنواتها بالأسفلت ، ونقل الفاكهة والخضار يتم بقطار صغير ذى عربات قلابة وأوناش ، وخيم للرش وموتورات ، وببلاش أصبحت (بك) ، ولو كان ممكناً لتخطيت بأرض الخضار ومزرعة الدواجن والبهائم وخلايا النحل وحتى بتقطير زهر الياسمين وحده ، رتبة الباشا .

فلتكن مربوط .

الخواجة كان أحسن . ألف مرة أحسن خواجة على غير الدين والملة ولكنه لا يكذب ولا يغش ولم يذهب ليحج ومعه حقيبة ضخمة فارغة وعاد بملء عربة لورى بضائع للتجارة والاستهلاك .

الخواجة كان أحسن ، وكان فى أيامه وطنى صميم ووفدى قح ، وعباس السائق هذا نفسه كان حين يريد أن يسترضيه يضغط على (سيرينة) العربة النقل لتعزف ذلك الهتاف الموسوق: يحيا .. النحاس .. باشا .

خواجه وأحسن وذمته أنضف ولكنه ذهب لأنه كان يمت الى جنس كبير حرفته السرقة المنظمة المقننة والارهاب بالقتل العسكرى المباح والاحتلال طريقته فى السطو المسلح . خواجه واحد نظيف في عصابة قوامها عشرات الملايين من السفلة . وراح .

والجنينة فى الحقيقة لا كانت جنينة الخواجه ، ولا جنينة حسن بك (الكبش) سابقاً حين لهفها لهفاً . الجنينة جنينة حجاج . جاء ها وبها أربع شجرات (كازورينه) عجاف . جاءها وهي بور . حتى الحشائش لا تقوى على النمو فيها . وبيده . بيده وحده أحياناً ، بحذائه ينغرز في الوحل ، بالليالي يسهرها حتى الفجر . لا يزيد الري جرعة ماء أو ينقص . ولا يزيد السماد ملليجرام أو يتغير . بالبهائم رباها وعاماً وراء عام تحيل بقاياها وعلفها الى طبقة أرض نيتروجنينة جديدة ، تختلط بالقديمة ، وبالطمي ، آلاف الأطنان من الطمي والرمل ، من شيء كان كالرأس الأصلع الخالي تماماً حتى من الزغب ، شعرة شعرة راح يزرع . وحوضاً حوضاً راح



يزحف بالخضرة والخصب ، حتى ، بعد سنوات عشر ، أصبحت تلك المعجزة التى تتحدث بأخبارها ألسنة المارين ركوباً فى أوتوبيس أو سيراً على أقدام بجوار الحمير المثقلة .

أصبحت جنة يستضيف الخواجة (شيميز) أصدقاءه ومعارفه ، وكل من يكاد يعرفه أو يلقاه ، ليريه (إيزابيلا) (فارم) ، كمن أكتشف المعجزة ، كمن حقق أكثر المستحيلات استحالة ، فى شرحه وحماسه ، ووجناته المحمرة يندمج ، وتنطلق دفعات الكلام من فمه صادقة أو كالصدق ، كأنه هو الذى قام بالعمل وحده ، هو الذى غرس ، هو الذى قام على (المشاية) وسهر ، هو حتى ذلك الذى أقام هذه (الفراندة) الأصيلة التى لا مثيل لها ولا لروعتها . فى وسط «إيزابيلا فارم» تماماً تقوم شجرة كازورينا هائلة الضخامة ، هي مع الكازوارينات الثلاث كل ما وجده فى الأرض حين اشتراها . يندمج تماماً حتى ينسى إسماً أو تاريخاً أو حادثة فيتلفت لحجاج أفندى السائر متواضعاً خلف الجميع ، الصامت تماماً دونا عن الجميع ، الذى اعتاد على اغتصاب الخواجه لمجهوده ودوره ، حتى لم يعد يزعجه الأمر ، فليتكلم ما يحلو له الكلام وليصمت حجاج تماماً ، فثمة ألف شيء تتحدث نيابة عنه ، كل شجرة ، كل عرق من شجرة ، كل ثمرة مانجو ، كل عنقود عنب ، كل زهرة ياسمين ، كل نخلة ، كل (قرص) عسل نحل ، كلها دوماً يراها ويسمعها بعين غير عين الجميع ، وأذن غير أذن الجميع ، إذ بأذنه وعينيه وحدهما يسمعها ، تبثه الشكر والحمد ، تغرقه فى اعترافها بالجميل الى درجة أن لو أشار لها بالكف عن النمو لكفت . أن تكف عن انتاج الثمار لكفت . الخواجة له الأرض وله النقود ، وله الشاليه المذهل ، وله ذهول الضيوف ، وآهات انبهارهم ودهشتهم ، ولكنه هو الذى يملك ما هو أعظم من ذلك كله ، يملك أجمل وأروع حديقة حياة أرغمه هذا الفحل الأصلع على أن ينشئها فأنشأها .

وكمن يشير الى برج ايفل ، يشير الخواجة الى شجرة الكازورينة ، لتكون المفاجأة ، اندفع يسرع راكضاً ناحيتها ، والركب والركض يتبعه ، وهناك ، وكأنما يكتشف فى التو معهم ، يتطلع ويتطلعون ، وفى أعلا مكان فى شجرة الكازورنية العالية ، حيث أقيمت ، من نفس الأفرع غير المهذبة (قراندة)



مستديرة مريحة ذات سور تحيط بالشجرة كلها . ومن نفس الأفرع ، وعلى نفس حالتها صنع للفراندة مقاعد ومناضد ، وكالطفل الذى فقد اتزانه ، يبدأ الخواجة شيميز يتسلق السلم المصنوع أيضاً من الكازورينة ، وليبدو وكأنه مجرد فرع شنبت نهاياته قليلا . السلم والدرابزين ، وخرطوم المياه الدقيق ، وأسلاك النور التى طليت بنفس لون الشجرة ، والمصعد ذو البكرات الذى يتحرك حاملا الطعام أو العجزة الذين لا يستطيعون الصعود أو أجهزة الموسيقى أو ما شاءوا من صناديق الشراب ولأن الأسئلة حينذاك تنهال بكثرة وبالفرنسية فى الغالب ، ولأن حجاج أفندى له إلمام بها و (شيميز) يعلم هذا ، ويعلم أيضاً أنه قد ظل أنانياً الى درجة لم تعد تحتمل ، يتحرك الضمير . معترفاً أولا بأن (برج) (الكازورينة) هو فكرة أراد حجاج أن يفاجئه بها حين استضاف وزير الزراعة يوماً ، ثم تتوالى اعترافاته ، وحتى ما لم يعترف به بينه وبين نفسه يبدأ من تلقاء نفسه يشير الى صاحب فكرته وخالقها . وحينذاك ، وحين تبدأ العيون تحاصر حجاجاً، وتبدأ السيدات تضع النظارات تتفحص هذا الصامت العبقرى وتتأمل أنه هو الرجل المقصود ، يصبح ارتباكه أعظم من أن يحتمل ، ولابد أن يعتذر ، إن لم يبد وجيهاً أو مقبولا ، فالأمر لا يهم . يختفى حجاج .

وتختفى الخواجات والطبقة . وفي أسبوع واحد يبدأ شيميز الفرنسى يفكر فى البيع ، ثم البيع ، ثم تهريب الثمن ، والأسبوع التالى يجيء عليه وهو فى مرسيليا وقد عاد الى (الوطن الأم) بينما كان فى الحقيقة ، وفى نفس هذا الوقت يبكى وقد أحس لأول مرة أنه فقد الوطن الأم حقاً ، وقد ينجح شيميز وتكون له حديقة وضيعة ومزرعة ، ولكنه أبداً لن يجد فى ذلك الوطن الجديد .. برج الكازورين ، ولا حجاجاً .

● ●

كما كان يعامل شيميز ظل يعامل حسن بك . لم يكن هناك ما يدعو لاستمساك حسن الكبش بالسيد حجاج هذا . إنه من عائلة قوامها ألف رجل ، كلهم فقراء ، وأولى من حجاج بالعمل والماهية ، ولكن أن يقلد الخواجة شيميز الذى اشترى منه المزرعة بابقاء حجاج (مديراً) للحديقة والمزرعة ، بنفس راتبه ، ومسكنه فى الركز الجنوبى للحديقة ، أبداً ليس هو السبب الذى دفعه للاستمساك به ، فالبند الذى ورد فى العقد خاصاً بهذا الموضوع كان فى حد ذاته نكتة ، بند لا يعنى شيئاً ولا يشترط للفكاك منه جزاء كل ما فى الأمر أنه يدفع للعجب . أن يتمسك المالك السابق بموظف عنده بهذه الطريقة مسألة لابد فيها سر . سر حاول شيميز أن يشرحه له أكثر من مرة بقوله ان حدائق كهذه ليست مجرد عقار أو سلعة ، إنها حيوان ومجتمعات كالبشر ، ورعايتها تستلزم كرعاية أى أسرة ، الحب والرعاية والتفانى والحنان . وحجاج هو ذلك الراعى والأب . وأيضاً ، ورغم التكرار والتكرار محسن بك ظل يؤكد لنفسه أن فى الأمر سرا . وأن الأيام كفيلة باظهاره . الشيء الآخر أنه بدأ يشرح لحجاج طريقته ، وأنه ليس خواجة ، وليس (كروديا) ، وأنه بدأها من عربة اليد ، ويفهمها وهى طايرة ،ويعرف فى الجنائن وأمورها أكثر من صاحب دكتوراه . وهكذا عليه ، إذا أراد أن يستمر (ياكل عيشه) أن يطيع : كذا يعنى كذا .. مفهوم ؟!

يرمقه حجاج بعيون لاترمش ،ولا تريد أن يخفى عليها خافية . نظرة تطول ، وتؤوب الى رأس ينخفض يفكر . من الآن عليه أن يدرك أن كل شيء قد تغير ، ليس صاحب العمل فقط ، ولكن عليه هو أيضاً أن يتغير ، بل ربما على الأرض نفسها والشجر والزرع أن يتغير .

لقد كان شيميز يشعره أن الأرض وإن كانت له ، إلا أن كل ما هو أخضر فيها هو من صنعه ومسئوليته . وهكذا وعمره الآن تسعة وثلاثون عاماً ، اعتصر نفسه وشبابه ، وأحالها فاكهة خضراء وثمراً ، وبينما أعاد للحديقة صباها وشبابها فقد هو كل صباه ، وأصبح من يراه يظنه فى الخمسين .

من الآن ، عليه ، كما فعل شيميز أن يبيع هو الخضرة كما باع الآخر الأرض ، وأن يشترى صحته وحياته كما اشترى الآخر عنقه . ومادام حسن بك الكبش يريد أن يكون الصاحب والآمر والناهى والرأى رأيه والتصرف تصرفه ، فليكن الأمر كما يريد ، وليبدأ ومنذ الآن دوره الجديد ، ومادام (المدير) قد ذهب مع الخواجة الذى ذهب ، فليكن دوره مع الصاحب الجديد الآمر ،دور المأمور المنفذ كذا يعنى كذا . حاضر .

حاضر وهى حاضر . الرى يعرف أن موعده خطأ ، وطريقته خطأ ، ولكن تأتيه الكلمة : ارو . حاضر . يروى .

وبدأت المسائل ترتبك . ويستشير حسن بك الدنيا كلها ، ويعيد ما كان يفعله بأراضيه الأخرى ، ناسياً أن لكل أرض معدنها ، وشخصية العنب الذى ينمو هنا ، غير شخصية بنى جنسه ونوعه الذى ينمو هناك ، ناسياً أن القواعد العامة شيء ،والقواعد الخاصة التى تسنها الخبرة الطويلة شيء آخر . وكثير جداً من الأشياء تبدأ ترتبك .

وكان حريا بحسن بك (الكبش سابقاً) أن يعزو الارتباك ، ليس لما يصدره من أوامر ، إنما يعزوه كالعادة لتنفيذ الحجاج السيء ، ويجعل من هذا سبباً وجيهاً لفصله والتخلص منه .

أنصاف الثائرين

وهو بالضبط ما كان يتوقعه حجاج وظل يتوقعه .

ولكنه الشيء الذى لم يحدث .

والذى ظل الحجاج يضرب أخماساً فى أسداس ، متسائلا عن سبب عدم حدوثه . وأنى لحجاج أن يعرف أن العلة فى القلة .

وأنها شربة ماء كانت ، ولكنها هى نفسها الشربة التى لولاها ما كان قد أصبح هكذا تائه الليل ، فى طريقه الى أنيس أفندى عبر قنوات وطرق غير ممهدة الى مريوط ، والليل قد خلى ، وسجى ، ولا ندم ، وكذلك لا فخر . ما حدث حدث ولابد أن يحدث . بل حتى هناك فى هذه الوقفة ما يستحق الفخر رغم أن فيها وسبقها ما يستحق كل خجل .

الثورة محدودة ، وحين ثار . كعادته حين كان يثور أيام الخواجة ، ويتلقى الخواجة الجانب الموضوعى من ثورته ولا تهمه الطريقة ، بل أحياناً كان يستحسنها ، كانت الثورة تأتى بنتيجة وفى الحال .

هذه المرة ثار فقد أمره حسن بك بتقليم العنب ، والتقليم الآن معناه أن يقتله قتلا . ولكنه الأمر ، وقد تعود أن يرضخ . هذه المرة صمم تماماً أن يقول لا ولكنه لسان حسن بك خرج ولم يعد ، خرج طويلا سافلا يلعن آباءه وأجداده . احتج . نصف احتجاج . فبنصف عقله الآخر كان يحسبها . فاذا استمر في الأمر فالفصل مصيره ، والفصل يعنى أن يبحث ليس فقط عن عمل آخر ، وإنما ، وهذا هو الأدهى والأمر عن سكن آخر ، فالسكن تبع العمل ، ويعنى أن يلف البلاد كلها طولا وعرضاً يبحث عن زملائه من نظار الجنائن ومأميرها ومديريها عن وظيفة ولو وظيفة خولى . بشرط أن يجد المأوى فى حجرة ، ولو فى حجرة . وهنا سكت نصفه الموافق ، وأوقف نصفه الثائر وقلم العنب . ومات العنب .

ومن بركان سفلى بشع خرج غضب حسن بك . يا حمار . هكذا عينى عينك قالها . لماذا قلمت العنب . ولكن هذه أوامرك . ومن قال لك أن تطيع أوامرى ؟ سعادتك الذى قلت : كذا يعنى كذا . ولماذا لم تعارض الى النهاية . لقد كنت أنا أفكر فى التراجع اذا واصلت أنت المعارضة . ولكنك وافقت .

لماذا يعرف الخطأ ولا يقول لا ويظل يقولها حتى لو قامت القيامة ؟!!

والنتيجة : أنت مرفود . ابحث لك عن عمل .

ولكن أولادى . أنا لا بيت لي . لابد أن أذهب أبحث عن بيت وعمل وأنتقل اليهما .

من الغد عفشك بره ، وأنت مرفود ، واذا بقيت لحظة سأسلخ جلدك . وخذ . ورمى اليه بعشرين جنيهاً قيمة (المكافأة) .

ولم يكن هناك مناص فأرخص وسيلة هي عربة النقل التى يملكها عباس الأعمش والتى لا يقودها إلا فى الليل خوفاً من ضبطه بلا رخصة وقد سقط فى امتحان النظر ثلاث مرات ، والى الطرق الفرعية المنحنية والمنحدرة والصاعدة والهابطة ، ينشال اللورى وينحط ، ويميل ويكاد ينهال فى الترعة والمصرف ، والعائلة مكومة فى الكابينة ، وعباس ، يراه بعينه ، كلما نقل عصا الفيتيس ، يلمس ركبة امرأته ، وحتى ابنته ذات الأربعة عشر عاماً ، متعللا بعصيان العصى ، والليل قد خلى إلا من جئير الموتور المنهك ، جعجعة الدبرياج ولمسات الأعمش .

وأنيس أفندى يخرج من منزله فى مريوط مذعوراً فى منتصف الليل يعتذر . لا يعرف عملا . لا يعرف مكاناً للاقامة . زوجته مريضة وإبنه يعانى الحمى وهو مدثر ببطانية . وأنا آسف يا حجاج . أنا آسف . الظروف قوية ، والعمل صعب ، والمزارع والجنائن قلت ، ولماذا لم تبلعها يا أخى ؟

وعباس يقول لنفسه ، ولماذا ، مادام هذا هو المصير كنت لا أخلع الحذاء وأنهال به على الرأس الأصلع للكبش حتى أدميه ، وعلى الأقل أخرج بكرامتى ولكنه لابد مصير انصاف الثوار .

والليل قد خلى مرة اخرى إلا من لورى ذى سائق أعمش وعائلته تبحث عن عمل مأوى أو عن مأوى عمل والموتور يزأر ، وعباس يغنى فى الليل لما خلى إلا من الشاكى ، والروح على النوح .. وينسى بقية الأغنية ليمد يده الى عصا الفيتيس ، والى ما أصبح فوق فوق الركبة ، ثم يتذكر عباس بقية الأغنية ويجأر بصوته : للصابر الشاكى .. والليل يمتد ويستشرى ومن بحر الى محيط يصبح . والعربة بركابها تغرق فيه وتغرق ، ولا حتى من نجمة قطب عند الفجر تشهد .

د. يوسف ادريس



عينان

شعر : فتحي سعيد



عينان
لو كانتا .. لكان
وحشيتان
جميلتان
غريبتان
مجهولة الأبعاد والألوان
لكنها عينان ..

• • •

عينان
لو هانتا .. لهان
بركان
ربما .. لو أنها البركان
بستان
عندما .. تعبق فى البستان
شقائق النعمان
نجمان
كلما .. عانقت ظلمة المكان
يضوآن ظلمة المكان والزمان

• • •

عينان
يمامتان
بريتان
ترفرفان
على روابى السهد .. ،
فى حدائق الأجفان
وتعزفان
للشوق .. أعذب الألحان
وتعشبان
نقش الوهاد الخضر ..،
بحة الكمان
فالكون مهرجان
لكنها عينان .!

• • •

عينان
حوريتان
جنيتان
سفينتان
أقلعتا بلا ربان
أبحرتا لغير ما شطئان
كموجة من بحرها فرت الى ظمآن
مسكية الأهداب والدنان
راحان أم ريحان ؟
زفت الى نشوان
فمال بالميزان .. !
لكنها عينان !

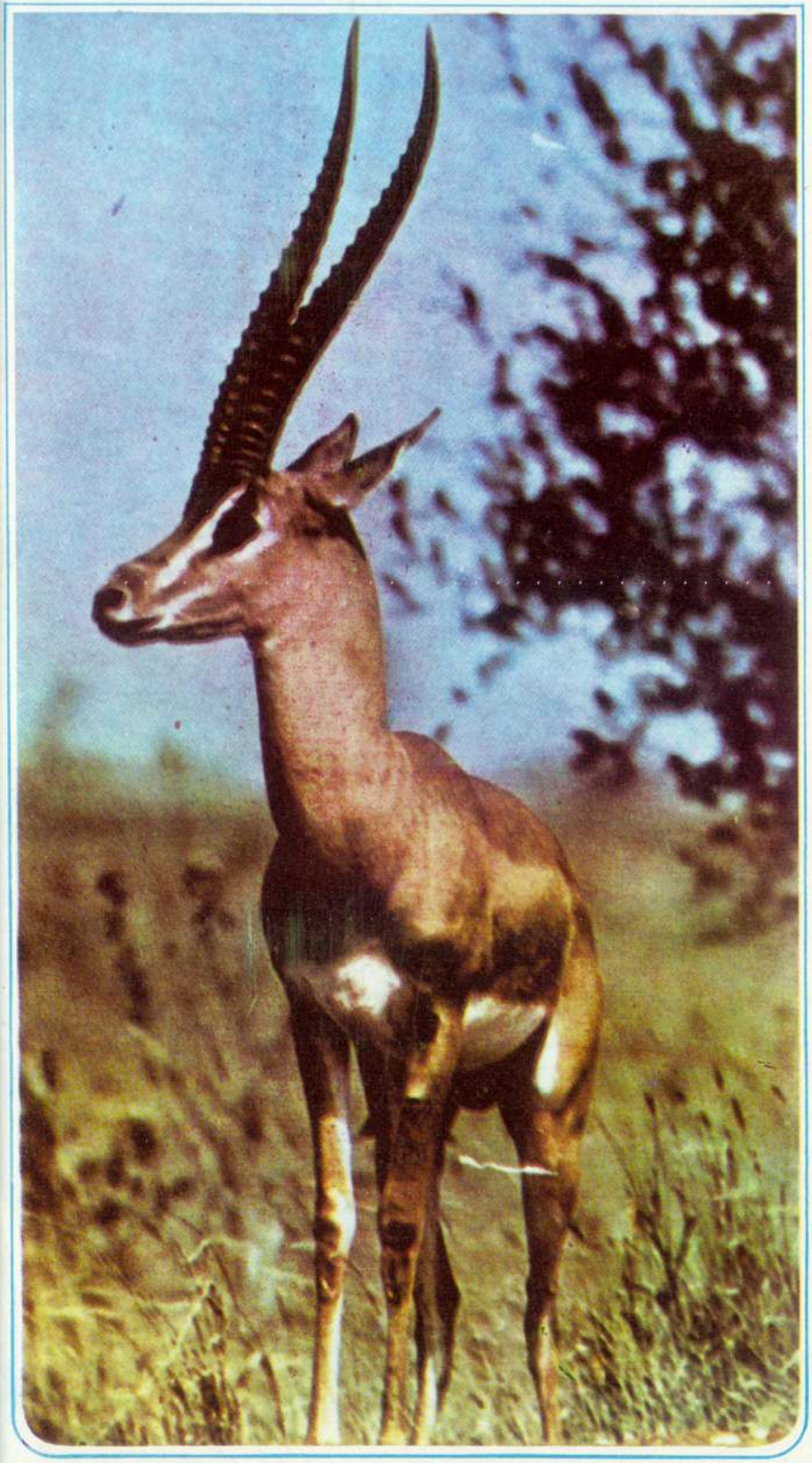
• • •

عينان
يتيمتان
مدهامتان
نضاختان
رفت فماد حولنا الايوان
بلقيس .. والتاجلن
كسرى أنوشروان
ماء السماء المنذر النعمان
وشبت النيران ! .

د. محمد الغباشي ربيع

الغزال

أجمل كائنات المملكة الحيوانية



يعتبر الغزال واحداً من أجمل اعضاء المملكة الحيوانية ، وأكثرها وداعة ورقة ورشاقة . ولهذا السبب تسمت بعض النساء باسم « غزالة » و « ظبية » و « ريم » .

وقد استعار كثير من الشعراء العرب صفات الغزال فشبهوا المحبوبة به . وفى ذلك يقول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خطوط بان
وفاحت عنبراً ورنت غزالا

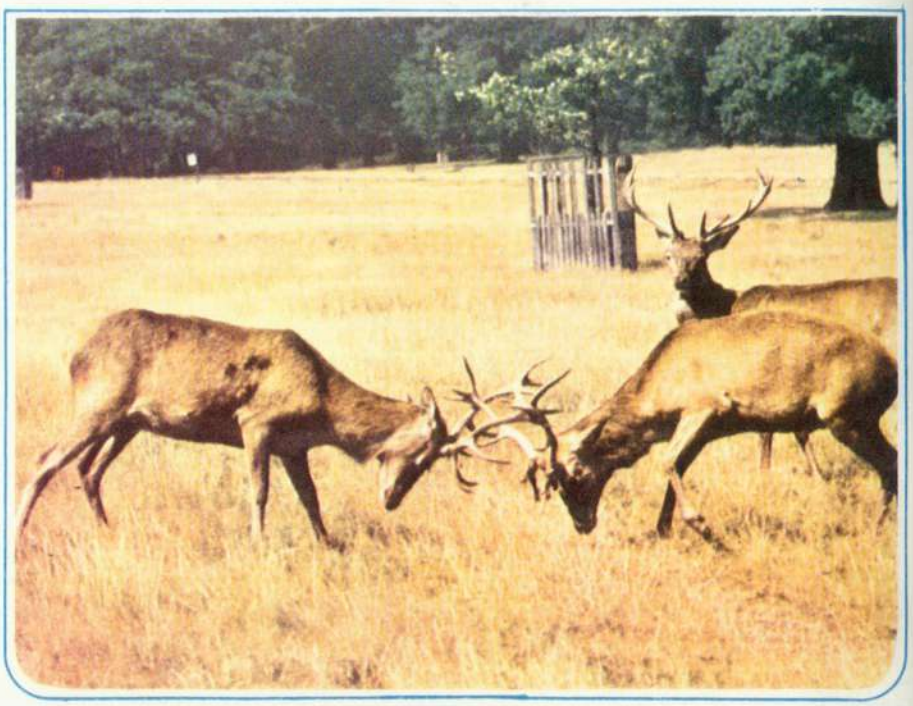
والغزلان أو الظباء حيوانات برية من ذوات الظلف المشقوق والمعدة المركبة وهى من آكلات الأعشاب وتعيش فى الصحراء وبين الغابات بل وعلى قمم الجبال وبين الوديان .

والغزال اسم للصغير من الظباء ذكراً كان أم أنثى ، ثم إذا ظهر قرناه سمي الذكر « ظبي » و الأنثى « ظبية » ـ ويطلق على الذكر الصغير جدي والأنثى عناق .

والغزلان من الحيوانات التى صاحبت الانسان منذ القدم . وتاريخ الغزلان عريق وقديم وخاصة تلك التى كانت ترتبط بالالهة « أرتميس » حامية الحيوانات البرية والتى كانت تقدس كالهة للصيد وتقام لها المهرجانات السنوية في مناسبات معينة .

حياة وسط المخاطر

والظباء أو الغزلان حيوانات مطاردة فى الطبيعة ، ومنذ أن كتبت لها الحياة وسط أفراد المملكة الحيوانية عاشت





مهددة من الحيوانات المفترسة وشكلت فى معظم الأوقات غذاء شهياً لها ،وربما كان ذلك لجودة لحومها الى جانب أنها حيوانات وديعة وخلوقة تجردت من وسائل الدفاع الطبيعية كالمخالب والأنياب القوية والتى تستطيع بها الحيوانات الأخرى أن تدافع عن نفسها أو تعتمد عليها فى الحصول على الغذاء من لحوم الحيوانات الأخرى كما هو الحال عند الأسود والنمور والقطط البرية .

ولكن توجد للغزلان قرون فى الذكور دون الاناث فى بعضها أو فى الأثنين معاً وربما خلت بعضها من القرون ذكوراً وإناثاً ـ وحتى معظم تلك القرون ضعيف لا يمكن الاعتماد عليه إلا فى مواجهة عدو ضعيف .

وتحظى الغزلان بسيقان نحيلة قوية وجسم رشيق ممشوط القوام يساعدها على الهرب بسهولة وربما سقطت فريسة لا حول لها ولا قوة .

وبالرغم من هذا وذاك فانها كافحت وجاهدت طويلا لكي تثبت أنها قادرة على الحفاظ على نوعها من الانقراض وسط عالم يتربص بها .

ويلعب الانسان الى جانب الحيوانات المفترسة دوراً كبيراً فى القضاء عليها ، فلقد امتدت يده اليها طمعاً فى لحومها وجلودها وقرونها .

وفى بعض الدول تقوم حملات الصيد المكثفة باستخدام السيارات والأسلحة الحديثة والشباك فى مطاردة تلك الحيوانات فتصاد بكميات هائلة وذلك للاحتفاظ بها فى الحدائق العامة أو لبيعها لدول أخرى خلت من بعض هذه الأنواع النادرة من الغزلان .

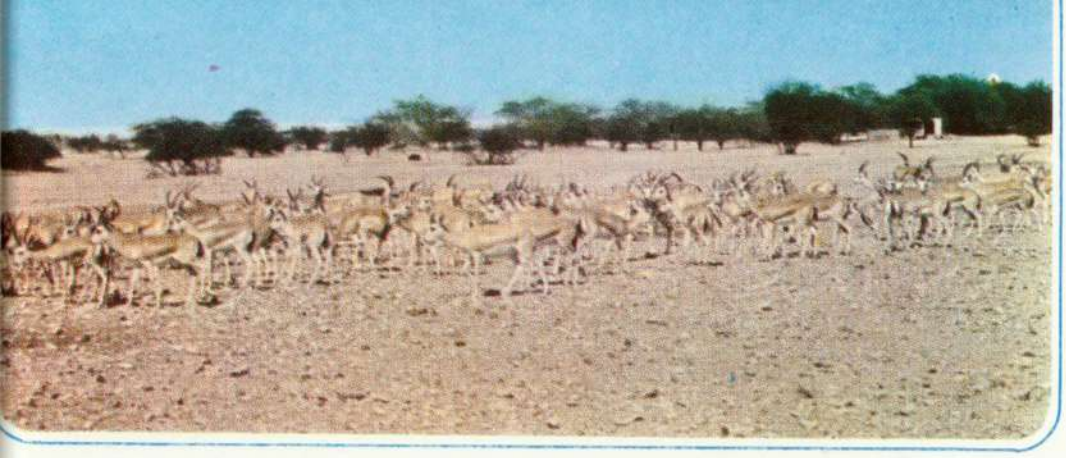
والظباء حيوانات حساسة ورقيقة للغاية فعندما يصرع أحد أفرادها أمام بقية القطيع فان بعضها يموت كمداً وحسرة على موت رفاقه ! .

الرشاقة عنوانها !

ومن الصفات العامة للغزلان رشاقتها وسرعتها التى تصل الى سبعين كيلومترا فى الساعة ، والغزلان تتميز «بغرطوستها» الكثيفة الشعر وأسنان غير عريضة ، أما القرون ففى بعض الأنواع تكون مضغوطة ومتشعبة وهى غالباً قرون غير مستديمة تتساقط سنوياً وتعود لتنبت قبل موسم التزاوج . وفى بداية نموها تكون مغطاة بطبقة ناعمة من الأنسجة التى تشبه المخمل فى ملمسها وأحياناً تكون تلك التشعبات بعدد سنوات عمرها ! .

وفى أنواع أخرى تأخذ القرون شكل القيثارة ، وهذه الأنواع غالباً ما تكون القرون فيها مستديمة وقوية إلى حد ما ، كما وأن هناك أنواعا من الغزلان لا تتواجد القرون فيها إلا فى الذكر ، والبعض الآخر تتواجد القرون فى الجنسين معاً كما هو الحال فى الكاريبو

الغزال





الأمريكى والرنة ، والغزلان العربية وفى أنواع أخرى لا تتواجد القرون بتاتاً ولكن يوجد زوج من الأنياب فى الفك العلوى كما فى غزال المسك .

وتختلف الغزلان اختلافاً كبيراً فى بنيانها فتتدرج من الغزلان الصغيرة التى تكون فى حجم الأرنب الى العلاندات الكبيرة التى تزن مئات الأرطال. إلا أنها جميعاً تتميز بالرشاقة وسرعة العدو والقفز لدرجة أن بعضها يستطيع القفز مسافة ثلاثة أمتار كما هو الحال فى بعض الظباء الأفريقية .

ومعظم الغزلان يغطى جسمها شعر بني اللون وقليل منها منقط أو مرقط ببقع بيضاء اللون قد تغلب على لون الشعر البني .

والغزلان حيوانات اجتماعية بطبعها ترعى فى جماعات وتأخذ لها دليلا ربما كان فى غالب الأمر من الاناث البالغات . فذكر الغزال بالرغم من أنه أقوى من الأنثى إلا أنه أودع منها حيث يترك الأمر لها لتتولى قيادة المجموعة .

والظباء من الحيوانات المغلوبة على أمرها وتعتبر من أشدها نفوراً . وحرصاً على الهرب وإذا شعرت بالخطر فى مكان ما هجرته ولا تحاول الاقتراب منه مرة أخرى حتى ولو كان ظل شجرة فى صحراء قاحلة شديدة الحرارة ، وإذا أرادت الاحتماء فى مكان ما دخلته بظهرها لكي تتأكد من أن أحد لا يتبع خطواتها .

والغزلان التى تعيش فى السهول تتحرك فى جماعات كبيرة ولكنها تقل في الغابات والأحراش بل ان بعض الجماعات لا تزيد عن ذكر وأنثى فقط .



ويوجد من الغزلان فى الطبيعة

أربعون نوعاً تقريباً تختلف في أحجامها فهي تتدرج من غزلان البورو الشيلي والذى يبلغ عرض كتفيه ٣٢,٥ سم الى غزلان الموظ فى أمريكا الشمالية الذى يبلغ طوله ٢١٠ سم ويزن حوالي ألف رطل .

ولقد نقل الرومان غزلان مروج البحر المتوسط إلى أوربا ثم أدخلت بعد ذلك الى أمريكا الشمالية والجنوبية وجنوب افرقيا واستراليا ونيوزيلاندا .

أما الغزال القطبي أو الكيتال والذى كان فى وقت من الأوقات متوافرا فى الهند وسيلان ـ كافقد أصبح الآن نادراً بسبب إزالة الغابات ومنافسة الماشية المستأنسه له فى المراعي .

أما غزال « الأب دافيد » فيكاد أن يقترض ، ولا توجد منه إلا أعداد قليلة فى بعض حدائق الحيوانات .

الغزال فى قطر

وتعتبر الغزلان العربية من أشهر أنوع الغزلان فى العالم نظراً لجمالها ورشاقتها ، وهي تعيش فى معظم الدول العربية . وأشهر أنواعها ذاك الذى يتوجد فى صحراء مصر وشبه الجزيرة العربية ويسمى فى منطقة شبه الجزيرة العربية (الريم) ، وكان هذا النوع منتشراً بأعداد كبيرة ولكنه تقلص نتيجة لتعمير الصحارى .

إلا أن بعض الدول العربية تعمل الآن جاهدة للمحافظة عليها فمنعت صيدها واحتفظت بأعداد كبيرة منها فى مزارع خاصة ووفرت لها العناية والرعاية لتعطيها الفرصة للتكاثر . وتعتبر دولة قطر من الدول الرائدة فى هذا المجال فهي تمتلك أعدادا وفيرة منها ووفرت لها الظروف المعيشية المناسبة ، وتقوم وزارة الصناعة والزراعة بالاشراف الطبى على تلك المزارع لحمايتها من الأمراض وارشاد المواطنين الى الطرق المثالية فى تربيتها والتى تؤدى الى ارتفاع نسبة الاخصاب بينها .

عظمة الخالق

ومن الغزلان ما يسمى بالغزال النباح وسمي كذلك لما يحدثه من صوت مرتفع حاد يشبه النباح ـ وهذا النوع صغير الحجم ويصل وزن الحيوان البالغ الى أربعين رطلا والذكر له قرون متشعبة ، اضافة الى زوج من الأنياب فى فكه العلوى ويعيش هذا النوع فى الغابات الكثيفة على طول الأنهار والجداول ، ومن صفاته الهجرة الى مسافات طويلة . ومن صفاته الجبن والاستسلام أمام أضعف الأعداء لذا تقتله الكلاب البرية وحتى القطط أيضاً تستطيع التمكن منه وهو متكلف فى مشيته ، فهو يمشى ورأسه مائلة الى أسفل .

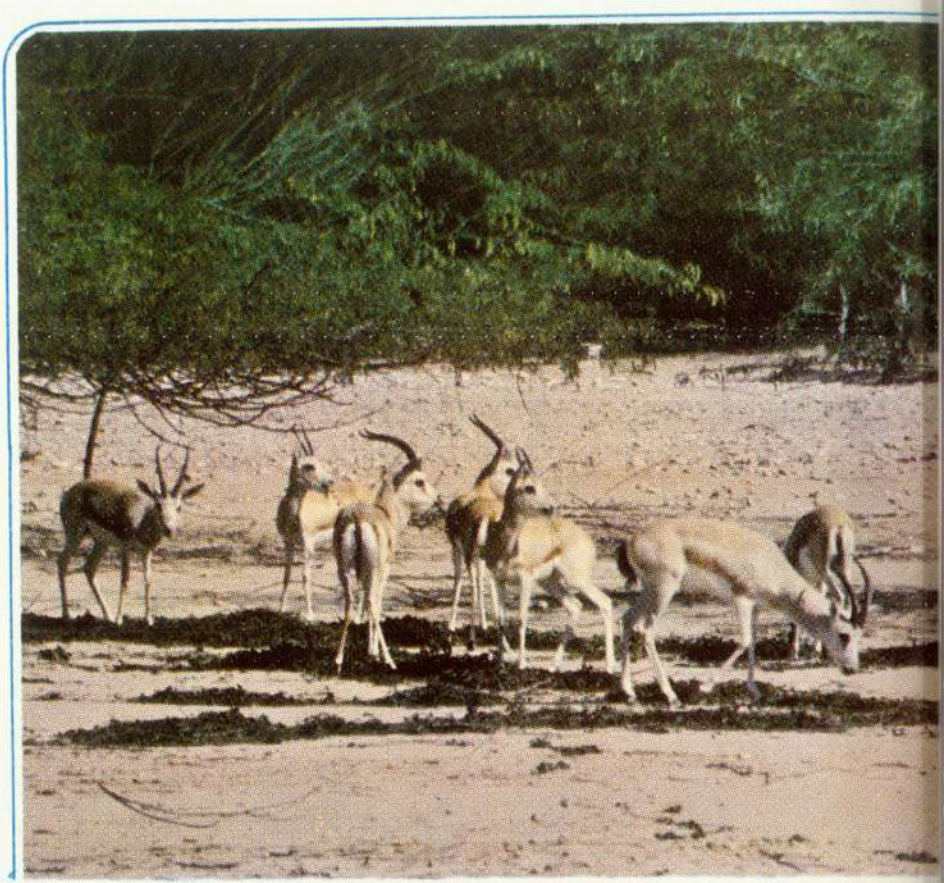
ويعيش غزال « مارش » فى جنوب أمريكا حول المستنقعات وفى الغابات وحول الأنهار وهو أكبر الغزلان حجماً فى تلك المناطق ، فيزن الذكر البالغ مائتين وخمسين رطلا ، وشكله يميل الى اللون الأحمر صيفاً ، وإلى اللون البني الداكن شتاء ، وهو يختفي فى الأراضى الرطبة المبللة ذات المراعي التى تشبه جسمه والتى يختفى بينها مما يصعب على الصيادين والحيوانات المفترسة التمكن من صيده ـ ويعتبر من الغزلان الشجاعة فهو كثيرا ما يرعى قريبا من الأبقار والخيول فى تلك المناطق الى درجة الاقتراب كثيرا من المناطق السكنية وهنا تكمن الخطورة على حياته فيدفعها ثمناً لشجاعته .

الغزال .. والمسك

وعند الحديث عن الغزلان أو الظباء يخطر على بالنا المسك وغزال المسك ، فغزال المسك نوع غير عادى من الغزلان وهى تعيش فى الغابات المرتفعة وسط وشرق آسيا والذكر والأنثى فيها مجرد من القرون ، لكن الذكر له زوج من الأنياب البارزة من فمه والمتدلية الى أسفل تبرز من فكه العلوى ، والواحد منها يشبه الخنجر الصغير وهى فقط وسيلة الدفاع عنده ـ والذكور لها غدد خاصة تنفرد بها عن سائر جنس الغزلان ، وهذه الغدة فى حجم البرتقالة وتقع اسفل البطن وتسمى غدد المسك وتقع تحت الجلد مباشرة ، وبعد فترة من الزمن تنضج محتوياتها فيلجأ الغزال الى الصخور ليحك غدته بها فى محاولة للتخلص من مسكه فيترك المسك عليها فيحضر الباحثون لجمعه ، وهو يستعمل كأساس لأجود وأغلى أنواع العطور العالمية ـ أما إذا صيد الغزال قبل أن ينضج مسكه فى غدته فانه لا يحقق الغرض المطلوب منه .

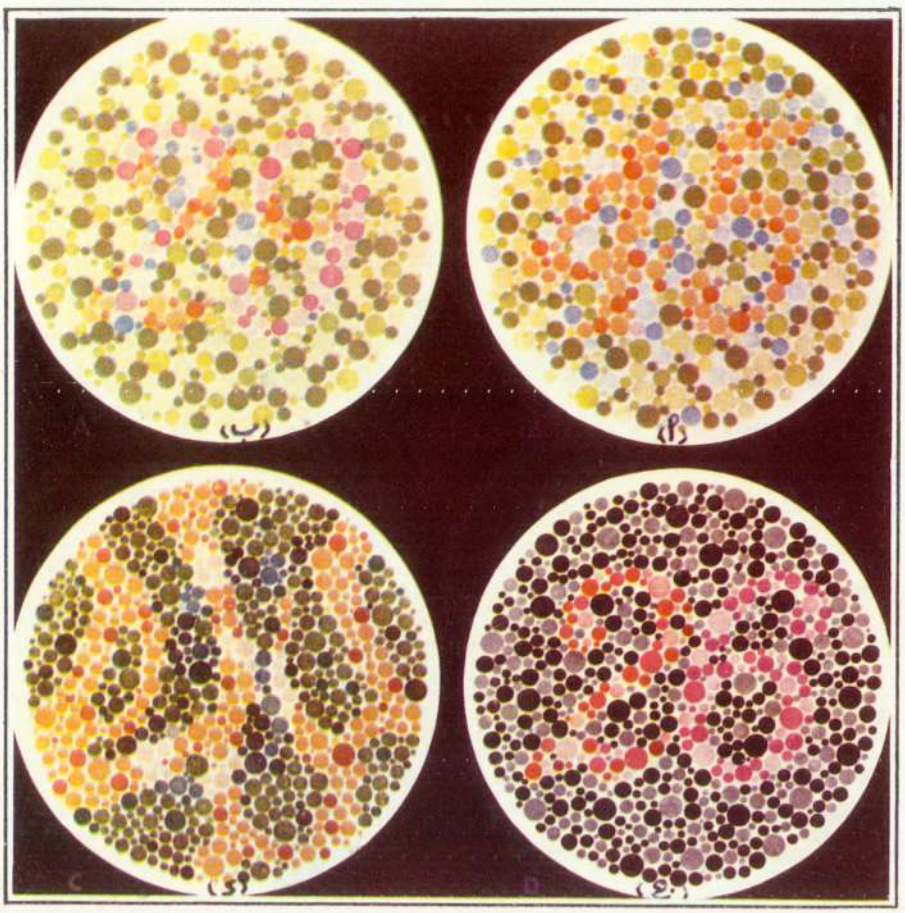
وأخيرا .. فلنراجع أنفسنا ، ولنحترم حياة حيوان وديع يبهرنا بجماله ورشاقته وعطره ، ثم نسعى لقنصه واستئصاله . لنكف كلنا عن هذا العبث ، ولنعفو عن المتهم البرىء لكي لا ينضم الى قافلة الحيوانات المنقرضة .

د. محمد الغباشى ربيع



لقطات من الكون المثير

الكشف هنـــا بالمجان !



تأمل هذه الدوائر الأربع قليلا .. علك تستطيع أن تقرأ ما تحتويها من أرقام .. إن اللوحة التى نقدمها هنا ليست للتسلية أو المزاح ، بل جاءت لتكشف عن عمى الألوان .. وبالمجان !

إذا استطعت أن ترى رقم 45 فى الدائرة (أ) ورقم 29 في الدائرة (ب) ، ورقم 26 فى الدائرة (ج) .. ولا شيء من الأرقام فى الدائرة (د) .. فمبروك لأنك اجتزت بنجاح كشف عمى الألوان..أى أنك سليم من هذه الناحية .

والذين لديهم عمى ألوان فى اللونين الأخضر والأحمر ، فسوف يرون الرقم70 فى الدائرة (ب) ، والرقم 5 فى الدائرة (د) ، ولا يرون شيئا فى الدائرة (أ) ولا الدائرة (ج) .

أما من كانوا مصابين بعمى ألوان كلى ، فانهم لا يستطيعون تمييز الألوان ولا الأرقام فى الدوائر المعروضة .

ان عمى الألوان عموماً ، وعمى اللونين الأخضر والأحمر خصوصاً ، يشكل خطورة فى التعرف على إشارات المرور التى أصبحت جزءاً هاماً من حياتنا العصرية ، فهو لا يعرف إن كانت إشارة المرور للتوقف أو الانطلاق .

أضف إلى ذلك أن عمى الألوان من الأمراض الوراثية التى تنتقل من الآباء إلى الأبناء ، وهى في الذكور أكثر من الاناث . جرب بنفسك .. واعرف نفسك !

وللكيمياء أفراحها وجمالها !

يقولون : إن العلماء ماديون ، لأنهم يتعاملون فى بحوثهم مع كل ما هو مادى ، ويتجنبون البحث فى الروحانيات والغيبيات ، ولهذا تجمدت أحاسيسهم عند حدود لا مفر منها ولا مهرب !

وهذا ظن خاطىء ، لأن العلماء أولا وأخيرا بشر ، ولهم أحاسيس أرق وأنبل ممن يتهمونهم بالجمود والمادية ، فهم يرون ما فى الكون من تناسق وجمال وابداع واتقان ، وهذا ما لا يتاتى لكثير من الناس .. صحيح أن العلم الجاد لا يبحث فى الروحانيات ولا الغيبيات ، لأن البحث فيها تضليل وخداع لا يجوز إلا على أصحاب العقول الضعيفة .

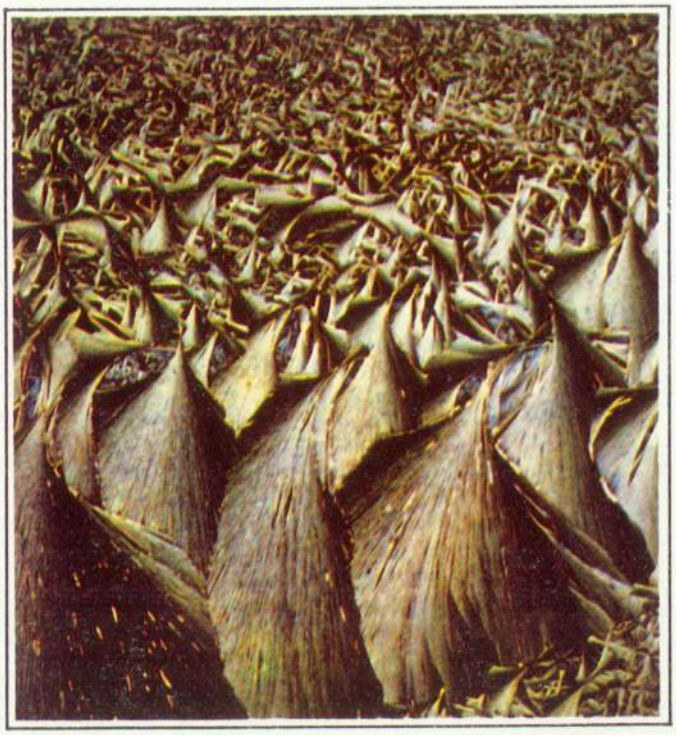
لكن .. مادخل هذا بالصورة المنشورة ؟ .. ثم ماذا تعنى ؟ .

إنها تعنى جانباً من جوانب العلم المضيء الذى ييسر للناس حياتهم ، ويخفف آلامهم ، ويقدم لهم أيضاً ما يسعدهم ويفرحهم .. فالصورة التى نراها هنا تنطوى على فرحة بالمناسبات السعيدة فى حياة الدول .. فهذه النافورات الضوئية ، ذات الأشكال المتباينة ، والألوان الزاهية ، قد نتجت من مركبات كيميائية تنطلق فى صواريخ الى الهواء عندما يحل الظلام .. انها ألعاب نارية نورانية تجذب انتباه كل إنسان ، وتدخل على نفسه الفرحة والغبطة فى عالم مشحون بالقلق والتوتر ! .

حتى الكيمياء تحولت الى أداة فيها اسعاد للبشرية ، ومشاركة فى الأعياد الوطنية .. والخير فى أن تسعد الناس ، ولا تشقيهم ، حتى لو كان ذلك على مستوى مركبات كيميائية .. فمن المادة تنبثق الفرحة والسعادة ، رغم أن السعادة لا تقوم بمعايير المادة .



بصمات .. فى عالم البللورات !

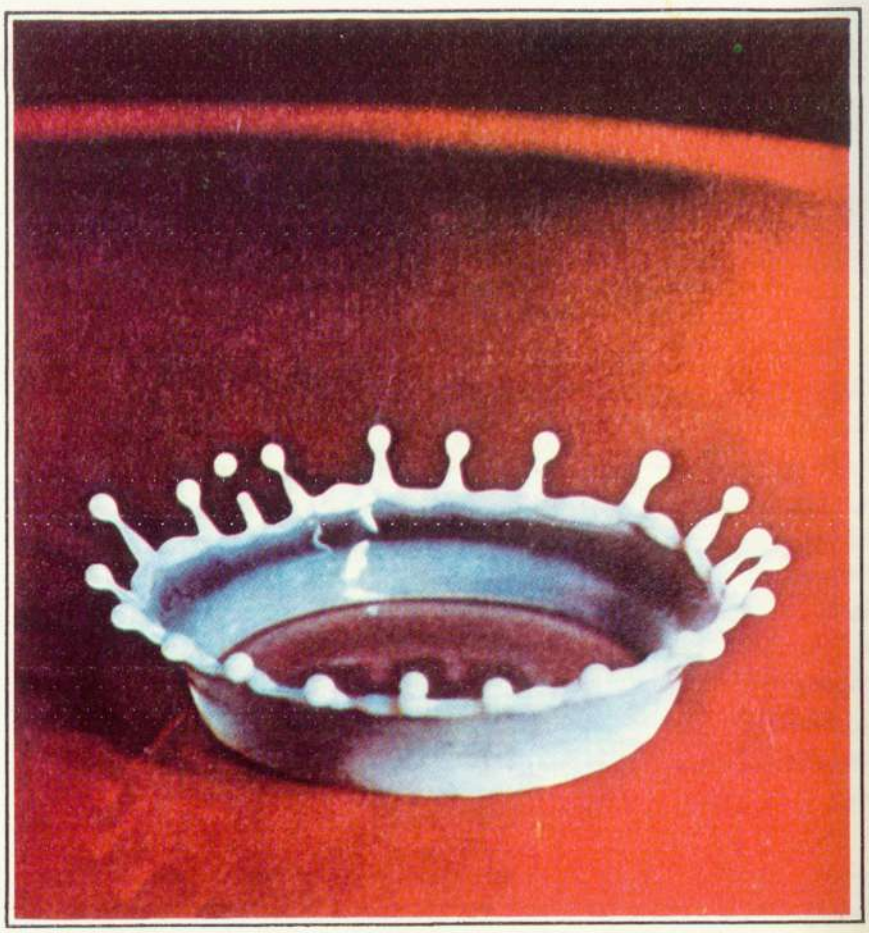


من أول وهلة ، قد نحسبها مزرعة .. او ربما أكداساً من أوراق نباتية متساقطة ، لكن تساقط الاوراق لا يمكن أن يتم على الأرض بمثل هذا النظام .. ومع أن اللون لون أزرق ، والشكل شكلها ، والتعرق تعرقها ، إلا أنها غير ذلك تماماً !

إن الصورة ماخوذة من تحت العدسات التى كبرتها لنا عدة مرات ، وبها نستطيع أن نرى نظاماً غريباً فى عالم البللورات ، وهى لنوع من الأملاح التى كانت ذائبة فى الماء ، وعندما تبخر الماء وتركز الملح ، بدأت جزيئاته تتجمع وتتجمع ، وتكبر وتكبر ، وتسير على مبدأ موحد ، انعكس على هيئة نظام كأنما خطته يد فنان .. لكن الفن الحقيقى ينبع من الطبيعة ذاتها ، لأن التناسق رائدها ، والنظم هدفها ، والقانون الطبيعى شريعتها ، رغم أن البشر غافلون عن كثير من الشرائع الطبيعية ، والسنن الكونية ـ إلا العلماء الذين يسيرون على هديها ، فحققوا بذلك انجازات لا نكاد نحصيها عدّاً .. فهم يرون التناسق والدقة والفن والجمال فى كل ما يخطر ومالا يخطر لنا على بال .. حتى ولو كان ذلك جزئيى فى بلورة تشير الينا من طرف خفى أم « الله جميل يحب الجمال » .

بقى أن تعرف أن البللورة لملح مركب باسم سيانيد الاسترنثيوم والبلاتين النشادرى .. ولكل ملح تكوين بللورى يختلف عن أى ملح آخر ، وكأنما هى بصمته التى تحدد لنا شخصيته أو هويته !

نراها دوماً ..
ولا نعرفها يوماً !



كل ما يخطر ببالك .. فالصورة غير ذلك !

فمن خلال لقطة بكاميرا فائقة السرعة ، تأتينا هذه الصورة الفنية التى اتخذت شكلا هندسياً قد نحسبه طبقاً أو سلة أو وعاء أو تاجاً أو أى شىء آخر ، إلا أن يكون لقطرة لبن سقطت على سطح مستو من ارتفاع مناسب ، فاحدثت الصدمة توزيعاً مثيراً للقطرة ـ وهو الذى تراه فى الصورة التى كبرناها عدة مرات ـ اننا نرى القطرات تتساقط دوماً ، لكن قوة جاذبية الأرض تسبق عيوننا ، وسرعان ماينهار هذا الشكل المثير ، ويفقد تناسقه ، لكن «عين» الكاميرا كانت أسرع ، فحفظت لنا صورة فنية ما كنا لنراها يوماً ، لأنها تتم فى لحظة خاطفة ، ولأن عيوننا ـ الى حد ما ـ قاصرة .. ولهذا يغيب عنها الكثير جدا من اسرار كثيرة ومثيرة .. وما أكثر ما يغيب عن السمع والحس والبصر والفؤاد .

ع . ص



أنقذوا الثقافة العربية في أريتريا

يواجه الجهاز التعليمى الأرتيرى مشاكل عديدة ، معظمها يرجع فى المقام الأول إلى التمويل . إن التعليم فى إرتيريا لا يستند إلى مقومات مادية ثابتة من أية جهة . إنه يعتمد على المساعدات التى تقدم له من تنظيم قوات التحرير الشعبية ، ومن تبرعات الاريتريين العاملين فى الخارج وبعض تبرعات من أفراد فى العالم العربي والاسلامي .

ولهذا فان الدول العربية ، والمنظمات ، والأفراد المقتدرين فى العالم العربي مدعوون للاسهام فى الدفاع عن الثقافة العربية الاسلامية التى تتعرض لهجمات شرسة من مختلف القوى المعادية للعروبة والاسلام .

بقلم : عثمان صالح سبي



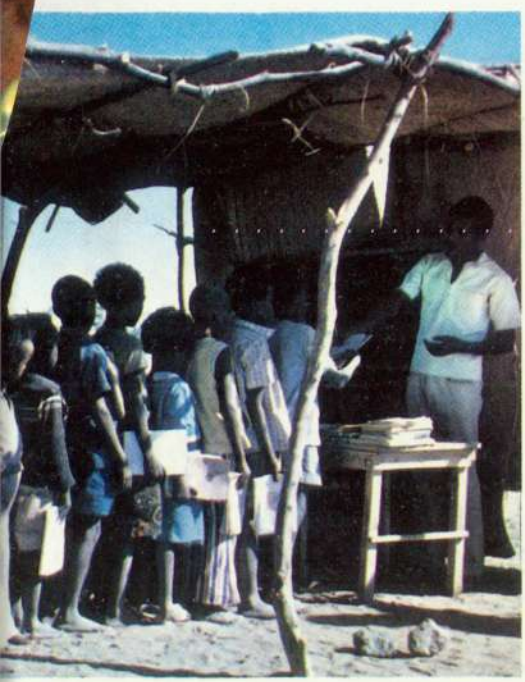
الحالة التعليمية الراهنة فى أرتيريا تعكس حالة الصراع الحضارى والثقافى على مدى التاريخ بين الاسلام وخصومه فى هذه المنطقة . فمنذ أن دخل الاسلام فى القرن الأول الهجرى عن طريق الجاليات العربية النازحة من الجزيرة العربية ، وشكل فى حوالي القرن الثالث الهجرى سبع سلطنات اسلامية عرفت فى التاريخ العربى ببلاد الطراز الاسلامى ، منذ ذلك التاريخ والصراع بين الحضارتين والثقافتين ـ الاسلامية العربية من جهة والحبشية من جهة أخرى ـ لم ينقطع ..

وهذا الصراع الراهن حالياً بين أرتيريا وأثيوبيا هو امتداد لذاك الصراع القديم ، فقد توطدت الحضارة العربية الاسلامية فى أرتيريا حتى غدا هذا الشعب جزءاً لا يتجز من الأمة العربية الاسلامية ، وحتى صارت اللغة العربية لغته الاساسية ، ولهذا فان قرار البرلمان الارترى فى عهد الاتحاد الفيدرالي عام ١٩٥٢م باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للبلاد بموجب المادة ٣٨ من الدستور الأرترى ، كان إنسجاماً مع واقع الشعب الأرترى الثقافى ، على الرغم من المعارضة الشديدة التى اظهرتها الحبشة ضد هذا القرار ، ولكن ما إن تمكنت الحبشة من الغاء القرار الفيدرالى وسيطرت على ارتريا عسكرياً حتى بادرت الى منع استعمال اللغة العربية فى الدواوين الرسمية وفى المدارس ، مما أدى الى ثورة شعبية عارمة فى عام ١٩٥٨م ، وصلت فى النهاية الى إعلان الكفاح المسلح تحت راية جبهة التحرير الأرترية فى عام ١٩٦١م ، وتركز اهتمام الجبهة على مقاومة الغزو الثقافى الحبشى فانشأت المدارس الابتدائية فى الريف المحرر لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى ، كما أرسلت البعثات التعليمية الى الدول العربية ، وبالأخص الى مصر ، حيث بلغ هذا العدد خلال العشرين عاماً الماضية أكثر من عشرة آلاف طالب أرترى بعضهم تخرج من المعاهد والجامعات والبعض الآخر مازال يدرس فى مختلف الأقطار العربية ..

مشاكل التعليم

وفى عام ١٩٧٦ أنشأت قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الأرترية جهازا

أنقذوا الثقافة العربية في أريتريا





للتعليم أطلقت عليه جهاز التعليم الأرترى ، ليقوم بدور وزارة التربية والتعليم ، وعلى الرغم من الصعوبات المادية والمعنوية التى واجهت هذا الجهاز فانه استطاع أن يفتح مدارس ابتدائية ومعاهد دينية وخلاوى قرآنية فى الريف الأرترى ، وكذلك فى معسكرات اللاجئين فى السودان ، حتى زاد عدد الدارسين فيها أكثر من خمسين ألف طفل من بينهم ١٥ ألف طفل فى مدارس اللاجئين بالسودان ..

وأعد هذا الجهاز منهجاً خاصاً للتعليم باشراف اساتذة متخصصين من السودان ، وسيطبع هذا المنهج على نفقة جامعة الملك عبد العزيز بالرياض خلال العام الدراسى الحالى لتوفير الكتب المدرسية المناسبة للطلاب ..

وفى الوقت الحاضر فان هذا الجهاز يعتمد على الكتب الدراسية التى حصل عليها من بعض الدول العربية ، وبالأخص المملكة العربية السعودية التى تبرعت بنحو ربع مليون كتاب دراسى خلال هذا العام ..

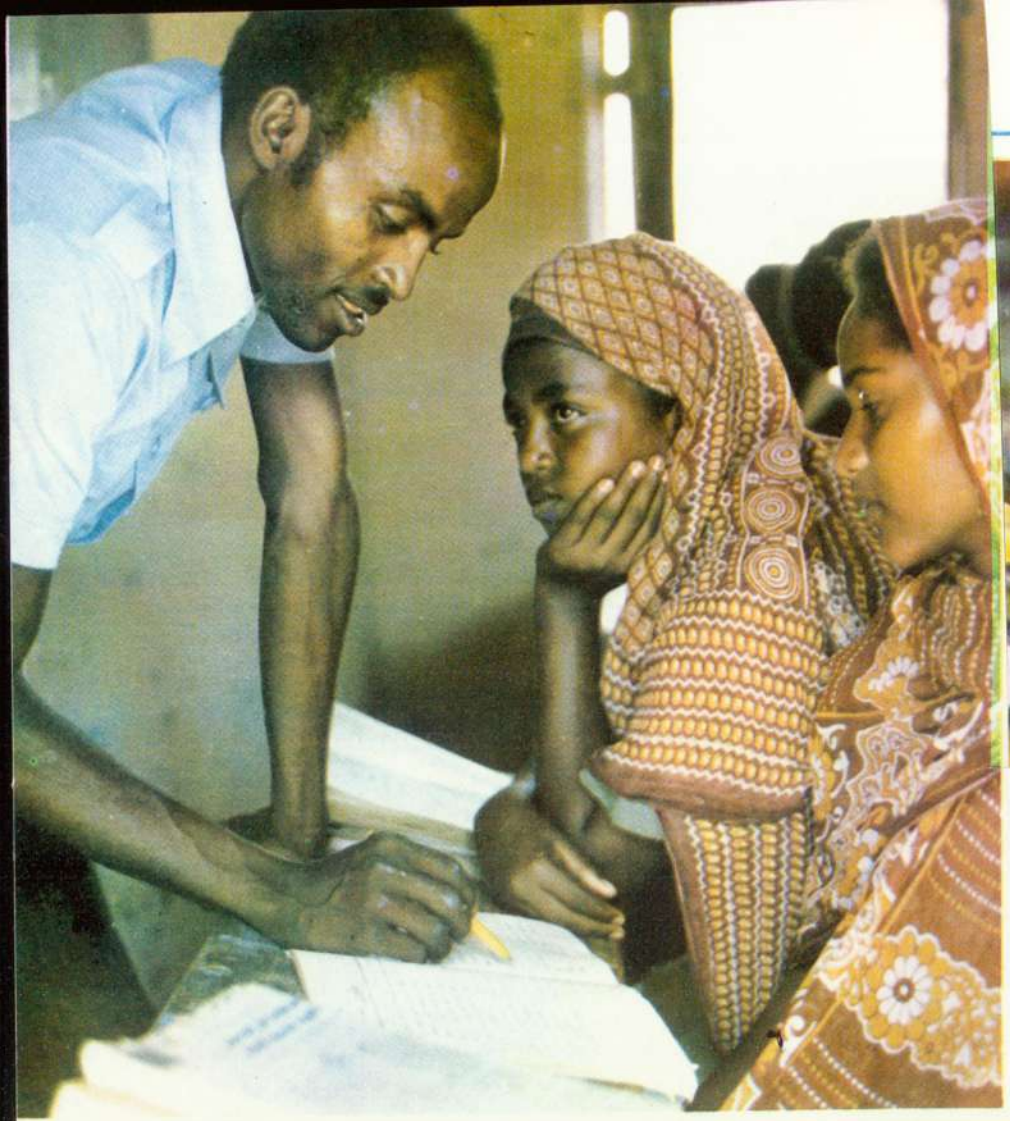
المقومات الثابتة

ويواجه الجهاز التعليمى الأرترى مشاكل عديدة ، معظمها يرجع فى المقام الأول الى التمويل ، فالواقع يدل على أن التعليم فى أرتريا لا يستند الى مقومات مادية ثابتة من أية جهة ولكنه يعتمد على المساعدات التى تقدم له من تنظيم قوات التحرير الشعبية ومن تبرعات الأرتريين العاملين فى الخارج ، وبعض تبرعات من أفراد فى العالم العربى والاسلامى ..

ولهذا فان الدول العربية والمنظمات والأفراد المقتدرين فى العالم العربى مدعوون للاسهام فى الدفاع عن الثقافة العربية الاسلامية فى هذا القطر المجاهد خاصة وأننا نواجه منافسة من المنظمات التبشيرية والمؤسسات التعليمية الأوربية التى تحاول جذب أبناء اللاجئين بصورة خاصة الى مؤسساتها التعليمية لابعادهم عن ثقافتهم العربية الاسلامية ، وتبذل فى سبيل ذلك شتى أنواع المغريات كتقديم بعض الوجبات الغذائية والملابس مجاناً ، وبناء مدارس مزودة بالوسائل العصرية ، فى حين تقوم مدارسنا بتعليم الأطفال داخل أكواخ طينية وخشبية قابلة للتلف بفعل الأمطار سنوياً ، وبعض هذه المدارس لا توجد به مقاعد للطلبة فيضطرون لتلقى التعليم وهم جالسون على الأرض ، وتراهم مقبلين على اللغة العربية بملابسهم القديمة المرتقة وبطونهم الخاوية ، حتى يضطر الطفل وقت فترة الراحة بين الدروس الى ترك المدرسة والبحث عن الطعام بشتى الطرق فى المدينة أو القرية التى يعيش فيها ، لدرجة أنك تجد أحياناً أن الفصل الدراسى الذى يضم سبعين طفلا ينخفض الى عشرين طفلا فى منتصف اليوم الدراسى ، مما يولد الاضطراب فى نظام التدريس ويحرم عدداً من هؤلاء الطلبة من متابعة الدروس !.

مشكلة المعلم

هذا الحال المؤلم للتعليم فى أرتريا ، يدفعنا الى أن نناشد ذوى الضمائر الحية من أبناء العروبة والاسلام وأصحاب المروءة والنخوة أن يمدوا يد العون والمساعدة لهذا الجهاز التعليمى





«معهد النهضة الاسلامية للاجئين الاريتريين» .. ومجموعة من طلابه يتدارسون العلوم الاسلامية في «ساحة» المعهد ، وفي الصورة الأخرى احد المعلمين الاريتريين يقوم بالتدريس لبعض الفتيات .

حتى يقوم بدوره الانسانى والثقافى فى الحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية التى تتعرض لهجمات شرسة من مختلف القوى المعادية للعروبة والاسلام .

إن مشكلة التعليم فى أرتريا أصبحت اليوم معقدة غاية التعقيد ، فضعف الامكانيات المادية أدى الى هبوط أجر المعلم ، وهذا بالتالي أدى الى هجرة أغلب المعلمين الى خارج البلاد ، ومع ذلك فأولئك الصامدون منهم يعيشون وسط حياة كلها معاناة حقيقية بمرتب شهرى لا يتجاوز خمسين دولارا فى الشهر ، ومع غلاء الحياة المعيشية فى كل أنحاء الدنيا فان هذا الأجر أصبح لا يكفى لايجار البيت ، إلا أن هؤلاء المعلمين المتطوعين يتحملون شظف العيش جهادا فى سبيل لغتهم ودينهم ..

شاهدة على المأساة

وغير ذلك ، هناك مشكلة الأطفال الأرتريين اللاجئين من الأيتام الذين لا عائل لهم فى السودان ، وهؤلاء نجد أن جهاز التعليم يجد نفسه مطالباً بمساعدتهم شهريا بما يحافظ على حياتهم بمبلغ لا يتجاوز ستة دولارات لكل فرد فى الشهر ..

وقد شاهدت محسنة كويتية هى السيدة الفاضلة غنيمة المرزوق صاحبة مجلة اسرتى هذه المأساة أمام عينيها ، وكانت معها السيدة الفاضلة لولوة القطانى ، فتحركت فى قلبيهما الشفقة على الطفل الشريد الجائع الضائع ، فقررتا إقامة مدرسة تضم ألف طفل من أبناء اللاجئين على نفقتهما الخاصة وبالتعاون مع المحسنين من ابناء الكويت ، وأطلق على هذا المشروع بيت الطفل الأرترى ، وهو تحت التشييد ..

وأملنا أن يحذو أبناء الأمة العربية والاسلامية حذو السيدتين الكويتيتين باقامة مشاريع مماثلة لأبناء اللاجئين ، وبالتنسيق والتعاون مع جهاز التعليم الأرترى الذى يقوم ـ بالاضافة الى تعليم أبناء اللاجئين ـ بمجهودات كبيرة للحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية فى الريف الأرترى المحرر ، وبمساعدة المدارس العربية والاسلامية القائمة أصلا فى بعض المدن الأرترية ..

ان صراعنا الثقافى لا يقل أهمية عن صراعنا المسلح من أجل الحرية والاستقلال ، فحالة الحرب المستمرة منذ أكثر من عشرين عاما أدت الى اغلاق معظم المدارس الحكومية والأهلية ، كما أن قلة الامكانيات منعت الغالبية من السفر الى الأقطار العربية لاكمال تعليمهم ، يضاف الى ذلك أن الصراع الأرترى الأثيوبى يعكس فى جوهره صراعاً حضارياً ثقافياً يتمثل فى الرفض العنيد من قبل الأنظمة الأثيوبية المتعاقبة للثقافة العربية الاسلامية ، يقابله تمسك عنيد من قبل الأرتريين بلغتهم العربية وثقافتهم الاسلامية .. وهذه الدوافع هى التى جعلت المناضلين يهتمون بالتعليم بدرجة لا تقل عن اهتمامهم بالقتال من أجل التحرير الوطنى ، ومن هنا فان الامة العربية مدعوة للاسهام فى الحفاظ على ثقافتها ودينها ولغتها فى هذا الجزء من وطنها العزيز ، بصورة عملية وليس بالكلمات أو العواطف أو الوعـود ..

عثمان صالح سبى



بماذا يستطيع أن يحلم؟

"..إلى بدر شاكر السياب"

شعر: محمد علي شمس الدين

(١)

لم يكن نائماً
كان مثل الحصى فى سرير المياه
هادئاً
وعميقاً
قلت قبل الدخول إلى بابه المشرقى
أخوض إليه الوحول القديمة
وقد أزهـرت
أضم الى شفتي زهرة غامضة
وأطرحها عند أقدامه ..



(٢)

هيه ... بدر المغنين
ماذا أسميك ؟
أناديك جوهرة الموت
وأحبس فيك الجبال
وأحبس فيك عروق الذهب
وأعلم أنك حر كطفل
أو النار
بدر المغنين
ما لأحلامنا كالمصابيح يطفئها الحارس البلدى

ويترك ما يترك البحر من وشل الموج
فوق الرمال

علفاً للكلاب الشريدة ؟

(٣)

قلت قبل الدخول الى بابه المشرقى
سأعرف سر الذى قال :
« ... عريت جرحي ... »
وفاجأته :
لم يكن نائماً
كان مستلقياً تحت رمانة
جذعها فى الخليج
وأغصانها فى دمي
لم يكن نائماً
كان مستلقياً تحت أغلاله
ولا يعرف العابرون
سوى أنه
رجل ناحل
فى مهب الجنون .



بقلم الدكتور طه وادي

قال الراوى :

ياسادة ياكرام ، صلوا على طه خير الأنام . الليلة أروى لكم حكاية ، لو كتبت بالابر على أوراق الزهر لكانت عبرة لمن يعتبر .

بينما الراوى مشغول بقص حكاية سعد اليتيم ، كان الخفير عبد الجابر تائهاً وسط الكتل البشرية التى احتشدت فى فرح كارم مدرس الابتدائى . القرية ليس فيها أية وسيلة للترفيه لذلك حين يوجد فرح أو ماتم تجد الكل موجودين .. الليل طويل .. ليل الغلابة . كان كل واحد من الحاضرين فى عالم خاص . أصدقاء العريس يهنئونه وهو يلبس جلباباً أبيض ، صبغ يده اليسرى بالحناء .. فالليلة لية الدخلة . الولد «يمانى » الحلاق يجلس على يساره ، أمامه صينية من النحاس مليئة بالنقود ... بالنقطة ... ، فكل واحد عليه اليوم أن يرد له ما سبق أن أخذ منه .

ـ شوبش ياحبايب العريس .. شوبش .

عبد الجبار فى دنيا أخرى . لا هو مع العريس وأصدقائه الذين يقدمون له بين حين وآخر سيجارة محشوة .. ولا مع الراوى الكفيف الذى تعلق الجمهور بين فمه ورباطته .. الجمهور يتابع القص فى جوع شديد . عبد الجبار توسط له الشيخ عمران إمام المسجد عند العمدة حتى أدخله سلك الخفر . رجل فقير وعنده عشرة من الأولاد . أحس أنه بالوظيفة الميرى ـ أربعة جنيهات فى الشهر ـ ويعمل الأولاد ، سيدبر حاله ويطعم عياله . يتمنى أن يعلم ولداً فى المدارس ، يلبس بدلة ونظارة مثل أولاد الذوات . ياسلام ياعبد الجبار لو يكن لك ولد طبيب أو مهندس .. أو حتى مدرس ابتدائى .. المهم أن يكون موظفاً فى الحكومة .. على رأى المثل إن فاتك الميرى تمرغ فى ترابه .

ـ اسمع يا عبد الجابر أنت تعمل باليومية نهاراً وفى الليل تسهر فى دارك .

ـ نعم .. ياشيخ الخفر .

ـ عندى لك شغلة عظيمة .

ـ ربنا يعمر بيتك ويخليك لينا .

ـ تحرس حديقة برتقال العمدة .

حين استلم عمله فى الحديقة كار
يحس بالزهو ، وهو يسير وحده فيها
بدأ يتابع نمو البرتقال فى صمت وصبر
زهر البرتقال جميل الرائحة يملأ الدنيا
عطراً . تحولت الزهرة البيضاء الى ثمر
خضراء مثل الليمونة .. أخذت تكبر .
تكبر و لكنها تظل خضراء . يتحول اللو
الأخضر تدريجيا الى صفرة خفيفة
ثم ماتلبث أن تصبح صفراء فاقعة . مر
العش شرق الحديقة يتأمل البرتقال ينم
فى بطء ، والعالم يتحرك فى هدوء . صا
لا يذهب الى القرية إلا نادرا . امرأت
تحضر له العشاء كل ليلة ، تثرثر مع
حول أخبار الأولاد وأحاديث القرية ..

ـ ياسلام ياعبد الجبار لو تكون هذ
الحديقة ملكاً لنا .. !!

ـ أخرسي ياوليه .. لا تفكرى فيما ليس
لك .. تتعبين .

ـ لكن ياعبد الجبار ..

ـ ماذا . ؟

ـ اللى يبيع السم لابد أن يذوقه

ـ قولي بصراحة ماتريدين ؟

ـ جوال من البرتقال ، نبيعه فى السر



ولا من شاف .. ولا من دري .

ـ لن يأكل أولادى من حرام .

ـأليس حراماً أيضاً أن يجوع أطفالك والخير يطفح من جيب العمدة ؟

ـ حد الله بينى وبين الحرام .

حواء أخرجت آدم من الجنة حين طلبت منه تفاحة . اليوم صبرية تطلب من زوجها برتقالة . زجر زوجته بخشونة حين صرحت له بالفكرة . لكن الوسواس الخناس ركبه . ظل يفكر فى الأمر من شمال ويمين .. ومن فوق وتحت . ماذا يحدث .. هل سينهد الكون ؟ إنه مجرد جوال من البرتقال يجمعه فى الليل ويعطيه لأم الخير بائعة الفاكهة ويأخذ .. يأخذ منها جنيها كاملا .. أخضر ، عليه صورة فرعون . الجنيه لن يضلع العمدة ولن يدرى ماحدث .. فهو يبيت كل ليلة فى المنصورة . لكن الجنيه جلباب لصبرية .. رطلان من اللحم للأولاد .. علبة سجائر ماكينة ، سيخرج السيجارة من العلبة فى فرحة وكبرياء ، يشعلها بعود الكبريت ويلعن الجوزة التى قطعت أنفاسه .

أفاق على صوت الراوى يشد أوتار الربابة استعداداً للغناء . أخذ صوته يهدأ .. يهدأ .. وهو يقول :

هذا ماحدث لسعد اليتيم من المصائب والأخطار، والحوادث والأسفار ، وما تحمل فيها من أنواع العذاب وآلام الاغتراب ... وهنا ياسادة ياكرام لابد أن تعلموا أنه لا ينفع حذر من قدر ، وأن المكتوب على الجبين لابد أن تراه العين فلا مفر من القضاء للمحاذير ، وما أحسن قول الشاعر :

مالا يكون فلا يكون بحيلة
أبداً وماهو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته
وآخر الجهالة دائماً مغبون

عاد عبد الجبار الى بحر الآلام داخله . يحس أنه يحمل جبلا من الهم . الأوهام الزرقاء تملأ دماغه . لعنك الله ياصبرية .. أنت السبب . فتش عن المرأة .. المرأة وراء كل مصيبة .. مسكين ياآدم .

ـ هكذا ياعبد الجبار يكون حاميها حراميها .

ـ استر علي ياعم مصطفى الله يستر على ولاياك .

نظر اليه فى غيظ وهو يهز كتفه :

ـ ماذا أقول للعمدة .. أقول له ان الرجل الذى اخترته أنا بنفسى لك .. لص .. حرامى .

ـ غلطة لن تتكرر ـ أراد أن يقبل يده ـ توبه والنبى توبة .

ـ قل هذا غداً للعمدة . من اليوم اترك الجنينة وسلم البندقية فى التليفون . وان شاء الله مرفوت .. مرفوت .. ياكلب .

ـ أنا صاحب عيال . استر علي من أجلهم ..

ـ ولم لم تفكر فيهم وانت تفعل فعلتك السودة . ؟

كيف يجلس فى دار الفرح من كان قلبه مليئاً بالهم . أحس أنه غريب . الكل فرحان إلا أنت ياغلبان . خرج دون أن يشعر به أحد . طفل أمام الدار ينفخ فى بالونة زرقاء . كلما نفخ فيها ازدادت امتلاء .. البالونة تكبر وهو لا يكف عن النفخ .

البالونة



ـ ياولد لا تنفخ البالونة كثيرا حتى لا تفرقع .

أدرك أنه لأول مرة يسير ليلا دون أن يحمل البندقية على كتفه . سار وحيدا على شط الترعة . الأشجار أشباح راقصة تريد أن تخنقه . ضاعت الوظيفة الميرى ياعبد الجبار . ياحيرتك يامسكين . لعنة الله عليك ياصبرية . أنت السبب . لكن أنا .. أنا الذى استمعت الى كلامها . ياويلك من العمدة .. ومن شيخ البلد .. شيخ الخفر .. والخفراء . إذا وقعت البهيمة كثرت السكاكين . لا أحد اليوم يقول كلمة طيبة فى حق أى مخلوق ياناس ياشر كفاية قر ، أخذتم تقرون حتى حدثت المصيبة . ترى ماذا سيفعل العمدة ؟ الرفت من الخدمة . لكن هل هذا يشفى غليل العمدة ؟ مستحيل .. ولم يكون مستحيلا وقد رأيته يفعله بعينى هاتين اللتين سوف يأكلهما الدود ؟ العمدة سيعطينى علقة ساخنة بعصاه الخيرزان . كيف تمشى فى القرية بعد ذلك ياعبد الجبار ؟ ماذا سيقول أطفال القرية لأولادك .. ياأبناء الحرامى لا تمشوا معنا فى الطريق ؟ تخيل جنيات تخرج من الترعة الأشجار تعلو .. صارت شياطين لها ألسنة من نار حمراء .. صار يسمع أصواتاً لا يعرف لها لغة ولا يدرى من أين تأتى ؟ الأصوات تمتد والأوهام تكبر . الأشباح تصبح .. تسد الدنيا . صار أسير الوهم . الوهم حين يسيطر على الانسان ياعبد الجبار يسد عليه كل طاقة نور ، نحن أسرى ما نعتقد . خرب الله بيتك ياعم مصطفى كما خربت بيتى عاد الى البيت خائفاً يترقب . الجميع نائمون حتى زوجته .. سامحك الله ياصبرية ، عملت العملة وخرجت كالشعره من العجين . ترك الترعة هارباً من أشباح الوهم ، وهاهى الآن أمامه فى حجرة الفرن رغم أن الباب مغلق بالترباس . كانت صحته جيده ، لكنه يرتعد خوفاً . كل خلية فيه انفصلت عن الأخرى ، أحست به زوجته قرب الفجر يتقلب مثل الفولة على النار .

ـ مالك ياضنايا ؟

ـ .....

كان جبينه يتفصد عرقاً ، انهارت شجرة الجميز . فى يوم وليلة صار شيئاً آخر . تغير كل مافيه . ترى ماذا يصنع الهم فى البشر .

ـ ولاد الحرام حسدوك . لابد أن أبخرك وأرقيك .

رائحة البخور تملأ حجرة الفرن . لكن الأشباح مازالت تتحرك أمام عيني الرجل

ـ اغلقى الباب بالترباس ياامرأة . لا أريد أن يدخل أحد .

كان ضائعاً فى عالم آخر . بدا رأسه المليء بالأوهام والاشباح مثل البالونة . أخذت صبرية ترقيه وهى تلف يدها اليمنى حول رأسه وقد أمسكت كسرة خبز ، سوف ترميها لأحد الكلاب بعد أن تنتهى من الرقية .. أخذت تحرك يدها حول جسده قائلة :

ـ الأوله بسم الله .. والثانية باسم الله .. والثالثة رقوة محمد بن عبد الله ، رقيتك من عين الراجل أحد من البناجل . رقيتك من عين المرة أحد من الشرشرة رقيتك من عين اللى شافوك وحسدوك ولا صلوا على النبى . لا صلى الله عليهم ولا على والديهم وينقلب حسدهم فى عينيهم . روحى ياعين يابصاصه لأرميك فى مية غطاسة وأضرب عليك ميت رصاصة لا تتعبى لى ولد ، ولا تحرقى لى كبد ، ولا تنزلي لى بلد . أعوذ برب الفلق .. أعوذ برب الفلق من شر حاسد إذا حسد ، ومن شر النفاثات فى العقد .

توقف مسار الكون . فقد عبد الجبار القدرة على النوم والحركة . الزمن يمضى .. بط .. بئاً .. بطيئاً . مستحيل أن يكون الزمن متعادلا . هناك أيام تمر كأنها لحظة ، ولحظة تمضي كأنها سنة كاملة . نظرت اليه صبرية فى صمت . لعنت نفسها . تمنت أن يحرق الله البرتقال من الدنيا كلها . يوم واحد يحدث لك فيه كل هذا ياجملي ، يصبح الجبل العالي كومة من الرمال المبعثرة .

حين دخل عبد الجبار المضيفة التى طالما دخلها حاملا البندقية على كتفه ووقف أمام العمدة فى كبرياء . اليوم اهتزت الدنيا فى عينيه . عزيز قوم ذل . العزة ليست فى المال . العزة عزة النفس . شيخ الخفر ينظر اليه متشفياً .

خليل جاء يرجو العمدة ـ أن يسامحه . الشيخ عمران يريد أن يدفع ثمن جوال البرتقال . حتى اسماعيل العامل الزراعي كان واقفاً فى حسرة أمام المضيفة . قال له وان لم يسمع ما يقول :

ـ شد حيلك ياأخى .. شدة وتزول .. ربك كبير .

العمدة ملأ الناس رأسه بالنميمة . أصر على الانتقام . كيف يجرؤ كلب أن يسرق سيده .

دخل وقد ضاع من قدميه الطريق .. لا يرى أحداً .. لا يسمع شيئاً . كانت رأسه تنتفخ ... تنتفخ . أسودت الدنيا فى عينيه . قبل أن يقول له أى واحد كلمة .. أو يقول هو كلمة واحدة .. سقط . سقط عبد الجبار .

عصفورة صغيرة كانت تقف على الشباك طارت بسرعة قبل أن يحس بها أحد .

دكتور طه وادى



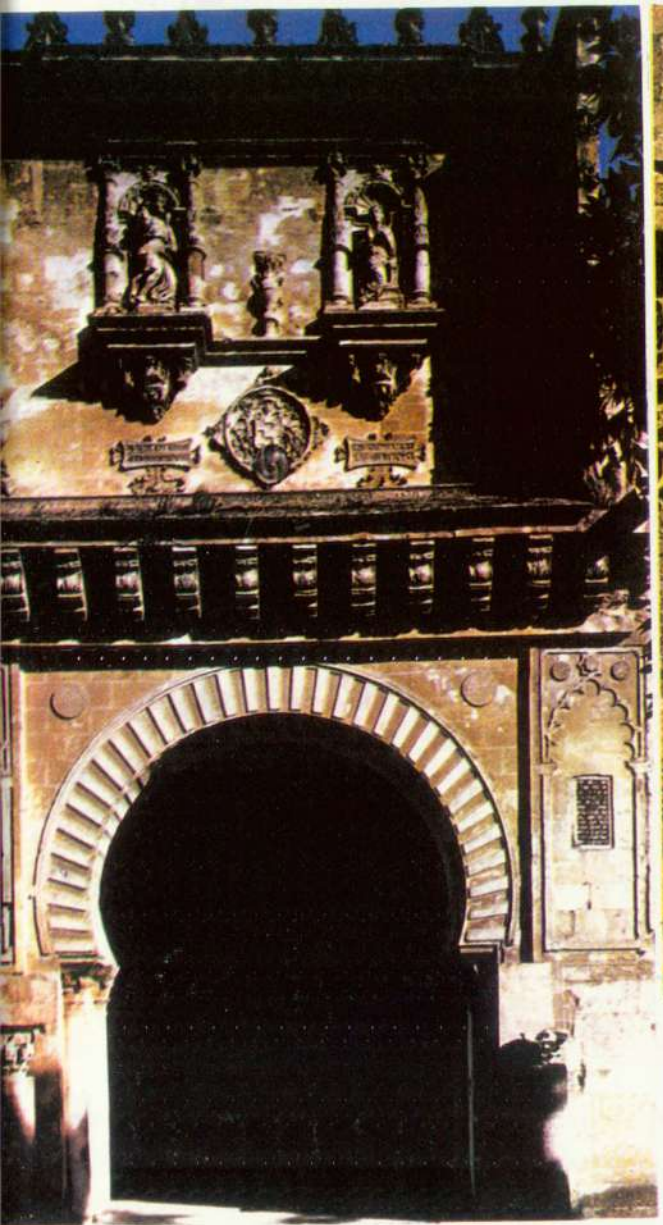
شاعر ألماني أمام مسجد قرطبة

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

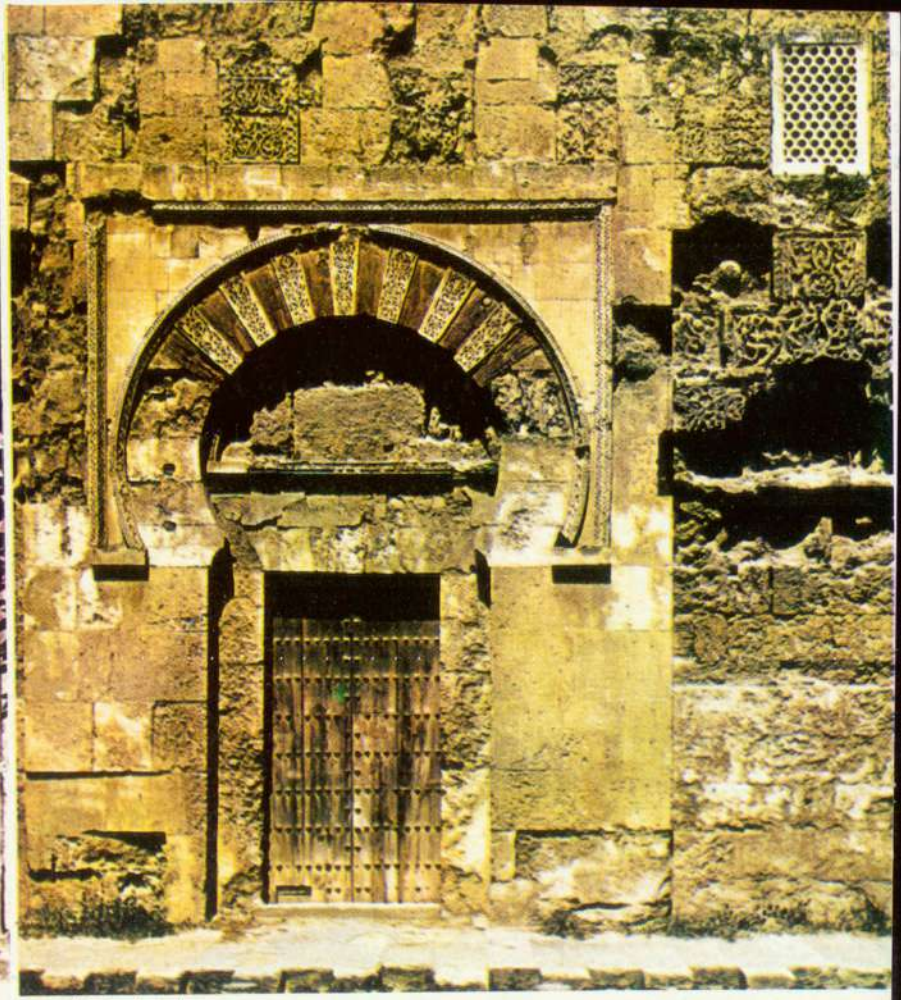
مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادى ولدت الرومانسية ، أو الابتداعية إذا شئت ، فى أوربا ، حركة أدبية ذات ملامح متميزة ، وجاءت تعبيراً عن أزمة الكلاسية ، أو الاتباعية ، ورد فعل قوى ضد الموجة العسكرية التى حاولت توحيد أوربا عن طريق القوة ، وانتهت بهزيمة نابليون .

وليس هنا مجال الوقوف عند مظاهرها المختلفة ، وإنما أود ان أشير الى ظاهرة الهروب التى اتسم بها شعراؤها ، يهربون من واقعهم الى الشعور بالغربة والعزلة ، واتخذ هذا الشعور أشكالا متعددة ، أوضحها الارتداد الى الماضى ، أو الاحتماء بفكرة المجتمع المثالى ، والاستغراق فى الحكايات الخرافية ، والخيال والغموض والطبيعة والطفولة ، والأحلام والجنون ، والهجرة زماناً أو مكاناً ، فرحلوا الى العصور الوسطى ، وعبروا حدود أوربا الى الشرق ، رحالة يرون حياته بأعينهم ، أو قراء يجوسون دياره من خلال ما كتبه الآخرون عنه ، وانعكس ذلك فى أدبهم واضحاً جلياً ، فكانت كتاباتهم عن العرب ، وأشعارهم التى تتغنى بسحر الشرق ، والهيام بما اكتشف فى مصر من آثار قديمة ، وكان حظ الأندلس من هذه العبادة وفيراً .

كان الأندلس فى هذه اللحظة مهيأ لاستقبال أولئك الذين يبحثون عن الفروسية العربية ولا يودون أن يغادروا أوربا نفسها ، فقد خفت حدة العداء القاسى لكل ما هو عربى ومسلم ، وألغيت محاكم التفتيش ، وبدأ عامة الناس وسط الشقاء الفادح يطوقهم من كل جانب ، يرون فى الأمس العربى تاريخاً جديراً بالاعجاب والتقدير ، ويرون فى العربى نفسه نموذجاً أعلى للفارس النبيل حين يقاتل ويحارب ، أو حين يسالم ويصادق ، فهو يحترم عدوه ، ويفى بوعده ، يمجد المرأة ويترفع عن الغدر . وبدأ القصص الشعبى الذى صور هؤلاء الأبطال فى أمجادهم ونزواتهم ، فى ثباتهم خلال المعارك ، وفى تذللهم العاطفى حين يرتدون ثياب العاشق ، يأخذ طريقه الى أوربا ، وقرأه الناس ، وتمثله الأدباء والكتاب والشعراء ، وانعكس فى إبداعهم مسرحاً أو روايات أو ملاحم ، أو قصائد ، فأبدع «جيته» «ديوانه الشرقى» ، وكتب شاتو بريان قصته «آخر بنى سراج» ، وحرر فولتير مسرحيته «محمد» ، وبها سبق توفيق الحكيم فى مسرحيته التى تحمل هذا الاسم بأكثر من قرن ونصف من الزمان ، وكتب فيكتور هوجو «قصائد شرقية» ، ومدام لافييت رواية «زايدة» ، ووشنجتون أرفنج «حكايات



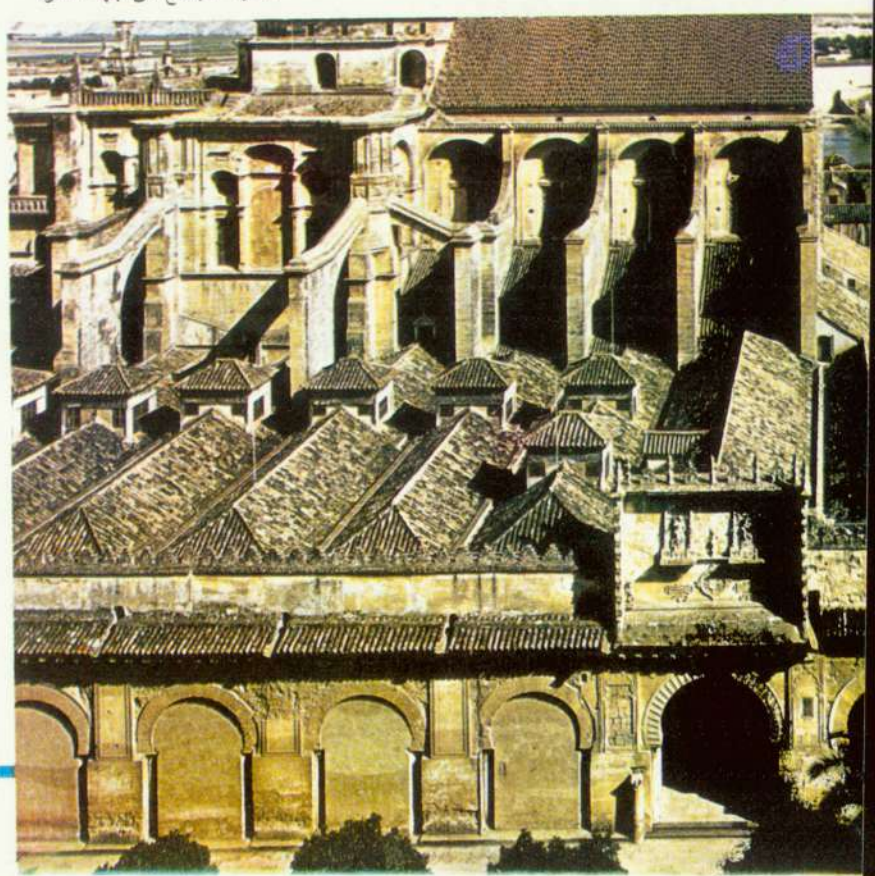
باب النخيل ، المدخل الرئيسي للصلاة



باب سان شيفانو

شاعر ألماني
أمام مسجد قرطبة

مشهد للجامع من جهة المنارة



الحمراء» ، وآخرون كثيرون لا يحصيهم العد .

وكانت وجهة الرحالة المشرق نفسه ، أو البحث عنه فى حياة جارتهم اسبانيا ، وهى على مرمى البصر ، ويشدهم اليها أشياء كثيرة ، أبسطها أن الحكاية فيها لم تكن قد تطورت كثيراً عما كانت عليه أيام العرب ، وإن كانت فى جوانب كثيرة أصابها الخراب والدمار ، فأجدبت الأرض ، وخربت الحدائق ، وسكن «الغجر» قصور الحمراء ، ولكن خيال الفنان قادر دائماً على أن يتجاوز المتغير والطارىء ، وأن يقع على الثابت والأصيل .

اتجهت أغلبية الرحالة من الشعراء والحالمين الى غرناطة وهى شاهد حى على ما تستطيع العبقرية العربية أن تصنعه ، فقد أقامت صرحاً شامخاً من جمال رائع فريد ، بمواد أولية بسيطة لا تتجاوز الخضرة ، والماء ، والمصيص ، ولكن قلة منهم لم تنشد الفتنة والجمال فحسب ، وإنما اتجهت حيث الجلال والعظمة ، وخير ما يمثلهما مسجد قرطبة الجامع ، وبقى شامخاً عملاقاً حتى يومنا هذا ، وكل حجر فيه ينادى بأعلى صوته : أنا هنا رغم الزمن !

كان ممن جاءوا الى قرطبة ، وفتن بمسجدها الجامع الشاعر والكاتب الألمانى يوهان فشتنراته (١٨٣٧ ـ ١٩٠٨) ، وقال فيه قصيدة رائعة ، من بين أجمل ما قرأت من شعر قيل

فى هذا المسجد العظيم ، وقبل أن أقدمها مترجمة الى القارىء، أو أن أقف معه على المعالم البارزة لهذا المسجد العظيم ، وقد مضى على انشائه أكثر من ألف ومئتى عام .

مسجد قرطبة الجامع

بدأ المسلمون فى انشاء مسجد قرطبة لحظة الفتح الاسلامى للمدينة ، على يد مغيث الرومي ، عام ٩١هـ (٧١١م) وبداهة جاء فى صورته الأولى بسيطاً كبقية مباني المساجد الأولى فى الاسلام ، فلما بلغ عبد الرحمن الداخل الأندلس هارباً ، واختاره أهلها أميراً ، واستقل بها دولة ، أراد أن يجعل من قرطبة صورة لدمشق ، وندا لبغداد ، فأخذ فى توسعة المسجد ، وضم إليه ما كان باقياً فى أيدى المسيحيين من كنيسة قديمة ، ودفع لهم كل ما طلبوه من ثمن وتعويض ، وبدأ البناء عام ١٦٨هـ (٧٨٥م) .

وتقول الرواية ان عبد الرحمن الداخل بعد أن وحد الدولة ، وأحكم أمورها ، وأشاع فيها الأمن والطمانينة ، فجمل مدائن بلاده ، وبنى قنطرة يحمل عليها الماء العذب الى عا صمته ، وبدأ يشيد حولها سوراً يحميها ، أقام لنفسه منية الرصافة فى ضواحيها ، واتخذها سكناً له ، وبينما هو نائم فيها ذات يوم سمع هاتفاً يناديه : يا أمير المؤمنين ، أشكر الله على ما وهبك، فقد أنجاك من بنى العباس ، وعوضك ملكاً ، وآتاك خيراً كثيراً ، أشكره بعمل باق خالص له .

واستيقظ عبد الرحمن الداخل وقرر أن يقيم فى العاصمة مسجداً يكون له ما بعده ، ويبقى ما فيها ما بقيت الدنيا ومن عليها .

قد تكون هذه الرواية صحيحة ، وعلم النفس الحديث يتسع لمثلها ، وقد يكون الأمر تبريراً وتفسيراً لرغبة عبد الرحمن الداخل فى أن يتم بناء المسجد فى أقصر وقت مستطاع ، ويذكر المؤلفون انه أدى فيه الصلاة قبل أن يستكمله ، وأنه فارق الحياة قبل أن يراه تاماً . وقد يكون الأمر نتيجة طبيعية لاستقرار الدولة الجديدة ، وتدفق أعداد كبيرة من المسلمين على العاصمة ، وإقبال سكانها الأصليين على الدين الجديد ، وضيق المسجد القديم بهم ، وهو تفسير يدعمه أن الزيادة والتوسعة فى المسجد لم تتوقف أبداً ، إلا مع سقوط الخلافة ، وانتقال العاصمة من قرطبة ، وانحدار دولة الاسلام نحو المغيب هناك .

والى أبناء عبد الرحمن الداخل ، وأحفاده من بعدهم ، الزيادة فى المسجد ، واستمر ذلك قرابة قرن ونصف من الزمان، حتى صار يضرب به المثل فى الفخامة والروعة والسعة ، واهتم المؤرخون من أندلسيين ومشارقة ، والرحالة الذين وفدوا على الأندلس ، بتقييد تفاصيل بنائه ، ودقائق العمل فيه ، على نحو ما لم يعرف عن مسجد آخر ، وبلغت جملة الأبواب فيه واحداً وعشرين باباً ، وعدد أعمدته ١٤٠٠ عمود تنهض عليها عقود حدوية أو مزدوجة ويضم منبراً فخيماً آية فى الروعة والاتقان ، بما يحوى من صناعة فنية دقيقة ، وبالخشب النادر الذى صنع منه ، وفيه ٢٨٠ ثريا ، تضم سبعة آلاف قنديل ، وتحمل كبراها ألفاً كاملة ، وكان عدد من يخدم الجامع بعد أن كمل بناؤه ، ويتصرف فيه ، من أئمة ومقرئين ، وأمناء ومؤذنين ، وسدنة وموقدين وغيرهم ، ثلاثمئة عامل .

ولم تكن رسالة المسجد الجامع مقصورة على الصلاة فحسب وإنما ، كأى مسجد آخر ، يجتمع فيه المسلمون للتشاور فى الأمور السياسية ، والقضايا المحلية ذات الأهمية، وتعلن قرارات الدولة ، وتقرأ الرسائل من جبهات القتال فى حالة الحرب ، وهو مكان مفتوح للخدمات العامة ، وأخيراً ، هو موضع الدراسة المفضل ، فى جانب منه يتجمع الأطفال ليحفظوا القرآن الكريم ، وفى الصدارة تقوم حلقات الدرس من العلماء الأجلاء للطلاب المتخصصين .

كان أهل قرطبة مفتونين بجامعهم هذا ، حريصين أشد الحرص على نظافته وروائه ، وبينهم من نذر حياته لخدمته ، ينظفون أرضه ، ويلمعون نحاسه ، ويزودون مصابيحه ، وحين استولى فرناندو الثالث ، أو القديس كما أطلقوا عليه تمجيداً له ، على قرطبة عام ١٢٣٦ م ، عامل المسلمين القرطبيين بكل قسوة ، فلم يعترف لهم بأية حقوق ، ولم يسمح لهم بالبقاء فى المدينة ، ولو أن بعضاً منهم ، لسبب أو لآخر ، لم يخرج من المدينة ، وبقى فيها لأمد طويل .

وفى اللحظة التى دخل فيها الملك الغازى المدينة اتجه الى المسجد الجامع ، وفى صحبته الأساقفة والمطارنة ، وسلم المسجد لهم ، وكانت العادة أن تذهب المساجد فى البلاد التى يستولى عليها المسيحيون ، وما يلحق بها من مال وعقار وأوقاف الى رجال الدين ، فحولوه الى كتدرائية منذ هذه اللحظة ، دون أن يغيروا معالمه الأصلية فى البدء ، إلا ما كان من اقامة الأجراس فى منارته ، ورفع الصليب فى أعلاها .

وفيما بعد ، حاول أسقف المدينة أن يأتى على الجامع هدفاً ليقيم على أنقاضه كنيسة جامعة ، على نحو ما صنعوا فى طليطلة ، واشبيلية ، وبلنسية ، وسرقسطة ، وغيرها من مدن الأندلس ، ولكن القرطبيين ، نصارى أو تنصروا قاوموا هذا الاتجاه بشدة ، وأصدر عمدة المدينة قراراً باعدام كل من يشارك فى عملية الهدم هذه ، فلم يجد الأسقف اليد العاملة التى تعينه على مشروعه ، وفيما بعد ، وفى عام ١٥٢٣ م على التحديد ، انتهز أسقف قرطبة فرصة أن الامبراطور كارلوس الخامس كان متعصباً للكاثوليكية ، ويجهل اسبانيا تماماً ، فهو لم يولد بها ، ولم يكن يقيم فيها ، ولا يعرف شيئاً عن روعة المسجد وجماله ، فطلب منه الاذن باقامة مبنى للموسيقا الكنسية وسط الجامع ، فأذن له بذلك ، فاقيم البناء فعلاً ، وجاء رديئاً ، مقحماً على المعمار العربى ، وشوه جمال المبنى بطريقة مؤسفة ، حتى أن الامبراطور حينما زار قرطبة فيما بعد ، لأول مرة ، وشاهد ما أصاب المبنى من تشويه ، أسف لما حدث ، وعلى أنه أذن به ، وقال للأسقف : لقد شوهت أثراً وحيداً فى العالم ، ببناء كان يمكن أن يقام فى أى مكان آخر من المدينة . ولكن هذه التشويهات وإن أصابت المبنى فى بعض جوانبه ، لم تذهب إلا بالقليل من جماله ، وكانت ، ولاتزال ، موضع سخط وغضب كل الذين يترددون عليه ، مهما كان حظهم من الثقافة ، وعلى أى دين كانوا يعبدون الله ، وقد يستحق أن نشير أيضاً أن القرطبيين المعاصرين ، مثقفين وادارة ، يعملون جاهدين ، بقدر ما تواتيهم الوسائل المادية ، لكى يعودوا بالمسجد العظيم الى مسيرته الأولى ، بداهة رغم معارضة الكنيسة فى الخفاء .

أمام روعة هذا المسجد ، وقف الشاعر الألمانى فشتنراته ماخوذاً ، ومن وحيه قال فيه قصيدته :

شاعر ألماني : أمام مسجد قرطبة

عبد الرحمن الداخل والملائك

فى منية الرصافة ،
عتبة الجنة على الأرض ،
كان ينام عبد الرحمن العظيم ،
ابن مروان بن معاوية ،
صقر قريش الأبيض ،
هارباً من بنى العباس ،
يبحث عن ملاذ وماوى ،
وبعيداً عن دمشق وجد مملكة وعرشا .

● ●

أونة يمد سلطانه ،
عبر اسبانيا كلها ،
الموتى يرحلون شهداء ،
والأحياء يعيشون مرابطين .
وأونة يتأمل نخلاته ،
وحيداً مفكراً ،
وتثير النخلة فى أعماقه
ذكريات غالية وحلوة .

● ●

ومن خلال بريق صاف غريب ،
ظهر له كائن غريب ،
يرتدى الضوء والمجد ،
إنه الملاك إبليس ،
رفض أن يسجد لآدم أب الأنبياء ،
شامخ لم يحن راسه أبداً ،
ولهذا طرد من السماء ،
عقاباً له على تكبره .

● ●

عناية الله يا سيدى تتجه اليك ،
والأعين مثبتة فيك ،
سيفك البتار
قلدك إياه النبى ،
الأرض الأندلسية لك ،
يحتضنها البحر واليواقيت
والمرجان الذى تحبه الشمس ،
وهو أسير جمالها .

● ●

وصنعت فى هذه الأرض الجميلة
ملكاً قوياً وعملاقاً ،
وأقمت مسجداً عظيماً ،
يرضى الله وجدير بك .

وفى داخل محرابه الجميل
يطمئن آمنا مصحف عثمان .
وفيه آلاف الحجاج
يعبدون الله طائعين ،
فى قرطبة وليس فى مكة .
يهديهم نجمك الساطع ،
يجيئون من مصر وفارس ،
تظللهم أشجار الليمون الوارفة ،
وينعمون بمياه النهر والنوافير .

● ●

وفى هدى الرسول الأعظم ،
رمز النصر والانتصار ،
شيدت مسجدك الجامع ،
فوق كنيسة المسيح ،
ثم تراجعت الهيبة الايطالية ،
وتقهقرت أعمدة الخشب ،
والتيجان الكورنثية .

● ●

ويدخل المؤمنون من احد عشر باباً ،
تنفتح على احد عشر طريقاً ،
تقودهم الى احدى عشر بلاطة ،
ليؤدوا صلواتهم تقاة خاشعين .
وزادت هذه البلاطات فاصبحت .
ثلاثا وثلاثين . وفى متاهة من
الف عمود او يزيد ،
يضل الفكر ويذهل العقل .

● ●

وتبرق الالف سارية ،
مثل الغوارب الصلبة ،
لالف من الرماح القوية ،
يحملها «الزناتيون» من جندك .
وحدوة البراق ،
الذى حمل الرسول والامبراطورية ،
تربط بين الأعمدة ،
وتمسك البناء وتشد من أزره .

● ●

العقود الهيفاء تشبه
حركة الموج المجعدة ،
حين تدفعها الرياح ،
أو تهز راياتك التى لا تقهر .
وعقد يتصل بآخر ،
تشع منها الالوان الزاهية
والزخارف الثرية ،
كقوس قزح حين تبدعه الشمس ،
وتصنع منه أقواساً عديدة .

لتحذير المؤمنين من هجوم مباغت ،
فان الأسوار ، والشرفات التى عليها ،
تحيط بالمسجد الجامع ،
وتجعل منه حصنا .
وعليها أن تدعو الذين حولك والجنيات ،
كي يساعدنك ، ويقطفن الزهور
من جنانك الالهية ،
التى أعارت القيشاني
والزخارف العربية المتشابكة
والمحراب والقبة الرشيقة
بهاءها ورونقها وبريقها .

● ●

نوافير الصحن الصافية ،
وأشجار البرتقال الزاهرة ،
تنادى الطيور المغردة ،
كي تترنم باغاريدها العذبة ،
وتملأ بفيض من الروعة والبهاء
داخل المسجد الناضح بالأسرار ،
وتملأجوه الطرى
باريجها الشذى ، وتضفي عليه تناسقا .

● ●

انت ، إذن ، ياعبد الرحمن الشريف
تحقق الروعة المعجزة ،
تسترد قوتك القديمة ،
وتزدهي بحماستك الفتية .
وما توجك الجامع من مجد ،
يبقى خالداً عبر الزمن ،
وثوابك عليه الحوريات العين ،
خالدات : حياة وإشراقا ،

● ●

هكذا قال . وبلا تردد
انجز عبد الرحمن ما طلب ،
وامتلأت قرطبة كلها
بالنشاط والحركة والضجيج والبهجة
والمهندسون والعمال ،
تجمعوا فى أعداد حافلة ،
وارتفع المسجد عالياً ،
وشق عنان السماء مجيدا خالداً .

● ●

وعندما أتى الموت المحتوم ،
وأنهى خيط الحياة فى أعماقه ،
كان المسجد الجامع الرائع
يوشك أن يبلغ من البنيان غايته ،
ومعذرة لابليس ،
وجاء يبحث عن الأمير ،
ومضيا معاً ،
كلاهما عبر عتبة الجنة على الأرض .

د. الطاهر أحمد مكي

درويش مصطفى الفار

العروبة..والفوسفات

لم يتوصل أحد من مؤرخي الاكتشافات العلمية ، بعد ، إلى معرفة الأسباب والدوافع التى حدت بالكيماوى الألماني (هينيج براند) ١٦٦٩م ، الى تقطير الافرازات الآدمية ، من سائل وصلب ، بعد خلطها بمواد ، لا يزال سرها فى طي الكتمان ، والسهر الدءوب المتصل ليالى وأياماً طوالا ، حتى حصل فى النهاية على عنصر شمعي القوام مشوب بصفرة ، يتقد فى الهواء ولو لم تمسسه نار ، ويضيء فى الظلام الدامس كبعض الحشرات أو الحيوانات البحرية ، مما دفعه الى تسميته باسم « الفوسفور » أو حامل الضوء . كذلك لم يتوصل أحد بعد ، إلى إثبات أو نفي ما إذا كان أبو موسى جابر بن حيان الأزدى ، الذى أخرج علم الكيمياء من ظلامات الأوهام والخرافات ، قد قام بمثل تلك المحاولة وحصل على عنصر الفوسفور قبل « براند » باكثر من ثمانية قرون إذ أن « جابر » كما نعلم غاص فى بحث أسرار إفرازات النبات والحيوان والانسان ، وصخور قشرة الأرض ولولا أعماله ، لكانت الكيمياء لتصبح علماً يقوم على التجربة ، بعيداً عن الحدس والتخمين والوهم ... كما أن أحداً لا يعلم علم اليقين سلسلة التجارب التى توصل العلماء بها إلى اثبات أن النبات ، لكي يؤتي أكله لابد وأن تتوفر له عناصر غذائية معلومة ، أهمها البوتاسيوم والنتروجين والفوسفور ، وأن الفوسفور على وجه الخصوص فى محاصيل وثمار بعينها هو بيت القصيد ، مما دفع العلماء إلى استقصاء مصادره فى قشرة الأرض وصخورها ، حتى توصلوا إلى اكتشاف طبقات من الصخور والأحجار ، تتميز عن غيرها بوفرة عنصر الفوسفور ذاك ، فاتخذوها مصدراً للأسمدة والمخصبات التى تضاف الى الأرض الزراعية لتوفر الفوسفور للزرع والضرع وصارت صخور الفوسفات شأن غيرها من الخامات المعدنية ، مصادر للأفكار الخفية والمعلنة فى مضمار السياسة الدولية ...

والذى يعنينا فى مقامنا هذا ، بعيداً عن متاهات الأرقام والمعادلات الحسابية المعقدة ، أن يعرف كل انسان عربي يعي حاضر أمته ، أن الوطن العربي فى أفريقيا وحدها (مراكش ، وتونس ، والجزائر ، ومصر ، والصحراء القصوى على شاطىء المحيط) يحتفظ فى طيات صخوره (بنصف) الاحتياطى العالمي من خام الفوسفات ناهيك عما فى الأردن والسعودية وسوريا ولبنان والعراق وما يستخرجه بنو قينقاع من الأرض المقدسة ، فلسطين ... وما يحتمل وجوده فى أقصى المشرق العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية ، من ذلك الخام الذى لا غنى للانسان عنه اطلاقاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها .. فهل نستطيع اليوم باعتبارنا (أمة واحدة) نظرياً ، أن نحقق هذه الوحدة التى يتغنى بها الشعراء والخطباء ومؤلفو القصص والروايات بطريقة جديدة قد تبدو غريبة عجيبة ..وذلك بانشاء اتحاد عربي (لسياسة تجارة الفوسفات العربي) واستخدامه مصدراً (للقوة المؤثرة) فى غابة السياسة العالمية بما يلي :

● تقوم الدول العربية البترولية الغنية ، بشراء كل الفوسفات العربي ، وتحتكر تجارته ، وتدفع ثمناً مجزياً للأقطار المنتجة له ...

● تعرضه للبيع فى السوق العالمية ، بطريقة ما ، تجعل الفوسفات الذى يستخرجه اليهود من أرض فلسطين غير ذى سوق وفى هذا ما فيه من الانتصار على الغزاة .

● تتخذ من السبل العلمية والتكنولوجية ما يكفل تصنيع اكبر قدر من الفوسفات العربي قبل تصديره ، بحيث لا يصدر منه خاماً إلا أقل القليل ... ومن ذلك توفير المناخ الصحيح للعلماء العرب لتحويل الخام الفقير الى خام غني في التسميد والتخصيب بمعالجته (على سبيل المثال) بحامض النيتريك ، لنحصل فى مخصب واحد على الفوسفور والنتروجين معاً ؟؟

وقبل أن يتم هذا (الأمل) اعتقد اننا فى حاجة الى الاتفاق على تسمية عربية واحدة لخام الفوسفات ، فبيننا والحمد لله الذى لا يحمد على كريهة سواه ، من الاختلاف حتى فى التسمية ما يحتاج الى توحيد . فمنا من يكتب مثلي (فوسفات) ومنا من يكتبه هناك (فوسفاط) ، ومنا من ينعته بكلمة (فصفاط) ، وأعتقد أننا كعرب فى حاجة الى الاتفاق على أى من هذه الرسوم الثلاثة ، قبل أن يكون الفوسفات سلاحاً فى أيدينا ضد الأعداء ...

في ذكراه الـ ٣١ :

الشيخ محمد رفعت

أعظم صوت رتّل القرآن الكريم في العصر الحديث

بقلم : حسين عثمان

● عندما ذهب الشيخ رفعت الى هيئة كبار العلماء يستفتى أعضاءها عما إذا كانت إذاعة القرآن عن طريق الميكروفون حلالا أم حراما ؟

● كان الشيخ رفعت يخشى أن يقرأ القرآن من الاذاعة .. فيستمع إليه الناس فى الحانات والمقاهي ونوادى القمار

● الضابط الطيار الكندى استمع إلى صوت الشيخ رفعت فجاء إلى القاهرة .. ليراه .. وليعلن إسلامه .

إنه أحلى الأصوات العربية التى سمعناها طوال حياتنا وهو يتلو آيات الذكر الحكيم .. فهو صاحب الحنجرة العربية المتميزة التى تملك مقدرة فائقة على إيصال أعذب الأصوات وأنقاها إلى الناس .. وقد كانت أحب الأنغام إلى قلبه هى موسيقى بتهوفن وموزارت وفاجنر .. وكان يطرب للأوبريتات والسيمفونيات .. إلا أنه رفض فى بداية حياته تسجيل القرآن الكريم على اسطوانات .. وظل يحكى لكل أصدقائه قصة المرأة التى فقد بسببها نعمة الابصار أثناء طفولته !

عندما مات الشيخ محمد رفعت فى عام ١٩٥٠ ، خرجت الصحف والاذاعات العربية تنعاه للعالم العربى والاسلامى بكلمات مؤثرة ، فقد نعاه المذيع عبد الوهاب يوسف ـ يرحمه الله ـ إلى المستمعين بقوله : « أيها المسلمون ، فقدنا اليوم علماً من أعلام الاسلام » .. ولم يتمالك نفسه ، ولم يستطع الاستمرار في الكلمات فانهار باكياً ، وأسرع زميله أنور المشرى ليقف بدلا منه أمام الميكرفون لينقل تفاصيل الخبر إلى الناس وصوته ملىء بالشجن !

وفى دمشق وقف مفتى سوريا أمام ميكرفون الاذاعة ليقول : لقد مات المقرىء الذى وهب صوته للاسلام ..

وفى كل بلد عربى واسلامى كانت الحسرة تملأ القلوب ، فالكل أحب الصوت الذى يتلو آيات الكتاب الحكيم

بتهوفن



موزار

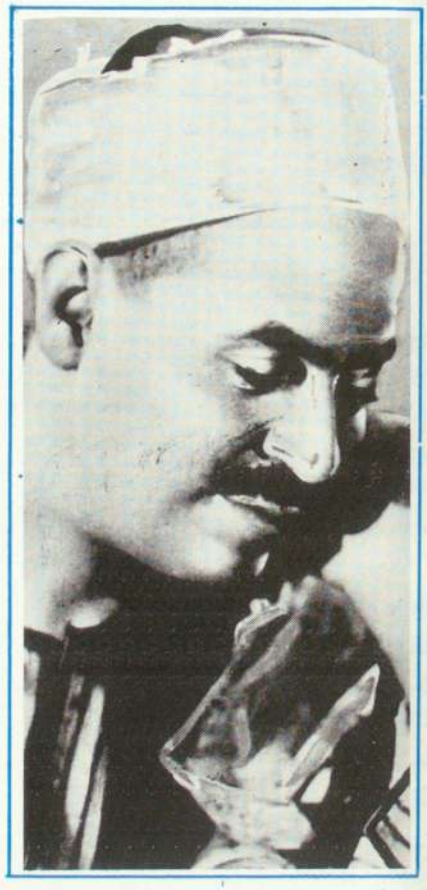


باستيعاب لمعانى القرآن وحنجرة بارعة فيها أدق الأنغام والأوتار الصوتية المتعددة !

العين التى أصابته

وهكذا نرى مدى ما أصاب الناس عند سماعهم خبر هذا المقرىء الجليل الذى ولد فى القاهرة فى منتصف شهر ابريل عام ١٨٨١ ، وكان جميل الوجه ، يسكن واحدا من أقدم أحياء القاهرة الشعبية وهو حى المغربلين ، وكان والده من ضباط البوليس تدرج فى عمله حتى وصل إلى رتبة ضابط ، وكان الترقى إلى هذه المرتبة من الأمور السهلة ما دام الجندى استطاع أن يحسن القراءة والكتابة !

المهم ما إن يصل والده إلى هذه المرتبة ، حتى يرى ضرورة الانتقال إلى السكن فى منزل آخر فى درب «الأغوات» بشارع محمد على ، وكان الناس ينادون على والده باسمه مشفوعاً بلقب «بك» وكان والده (محمود بك) يحبه إلى درجة



عالية ، حتى أنه كان لا يتركه يمشى على قدميه ، بل يحمله على كتفيه ، وفى أحد الأيام قابلته امرأة من درب الأغوات وسألته : من هذا الطفل الجميل يا محمود بك ؟ .. ورد الأب وهو يبتسم : إنه ابنى !

وصاحت المرأة : ابنك .. مستحيل .. هذا ابن ملوك .. عيناه تقولان ذلك !

وفى اليوم التالى استيقظ الطفل من النوم ليصرخ من الألم وهو يحس بالجحيم فى عينيه !

لقد أصابته عين المرأة !

وظل الشيخ محمد رفعت يروى هذه الحكاية لأصدقائه ومعارفه طوال حياته عندما يحكى لهم كيف فقد نعمة البصر !

إذاعة القرآن الكريم

ومرت الأيام والطفل محمد رفعت لا يرى الا الظلام ، ولا يسمع غير صوت والده وهو يعلمه القرآن الكريم ، الذى أتم حفظه وهو فى الخامسة من عمره ، والحقه والده ليجود القرآن الكريم في مكتب فاضل باشا بحى درب الجماميز ، وأصبح يرتل القرآن الكريم كل يوم خميس في المسجد المواجه للمكتب ، وكانت المواصلات تتعطل فى ذلك اليوم ، ويضيق المسجد بالمصلين ، فيفرشون الحصر خارج المسجد ليستمعوا إلى آيات القرآن الكريم ..

وظل الشيخ محمد رفعت يرتل القرآن فى مسجد فاضل باشا أكثر من ثلاثين عاماً وفاء منه ، وحاولت المحطات الأهلية ـ قبل افتتاح محطة الاذاعة الرسمية فى القاهرة ـ اغراء الشيخ رفعت ، بأن تذيع له بعض آيات القرآن الكريم فرفض وكان يقول لأصحاب هذه المحطات : (إن وقار القرآن لا يتمشى مع الأغانى الخليعة التى تذيعها اذاعتكم) .. !!

وعندما ألغيت المحطات الأهلية ، وانشئت الاذاعة الرسمية أصر الشيخ رفعت على موقفه من عدم اذاعة القرآن عن طريق الميكرفون وكانت فى القاهرة وقتئذ هيئة يطلق عليها اسم (هيئة كبار العلماء) وكان جميع اعضائها من رجال الأزهر ، وقد ذهب الشيخ محمد رفعت إلى هذه الهيئة يستفتى أعضاءها ، وكلهم من علماء الدين ، عما اذا كانت اذاعة القرآن حلالا أم حراماً ، وجاءت فتواهم بأنها حلال ..

فقال الشيخ محمد رفعت أنه يخشى أن يقرأ القرآن الكريم ، ويستمع إليه الناس فى الحانات والمقاهى ونوادى القمار .. ولكن أعضاء الهيئة وعلى رأسهم شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، ما زالوا به حتى أقنعوه بأن لا ضير من تلاوة القرآن فى الاذاعة ، واطمأن ضمير الشيخ رفعت واذاع القرآن بصوته الذى خفقت له الملايين العطشى لحلاوة هذا الصوت ..

ولمع اسم الشيخ رفعت وفى أحد الأيام، وكان قد انتهى من ترتيل بعض الآيات فى محطة الاذاعة ، وبينما هو يتأهب للعودة الى منزله فى حى البغالة بالسيدة زينب ، قابله الأستاذ على خليل المذيع بالاذاعة وقتئذ ، وسمعه يقول : الشيخ رفعت .. ثم سمع الشيخ رفعت صوتاً يتكلم باللغة الانجليزية ، ثم بيد تضغط على يده ، ثم يسمع الأستاذ على خليل يقول : يا شيخ رفعت إن هذا الضابط الطيار سمع صوتك فى كاندا ، فجاء الى القاهرة ليراك ..!

وكانت مفاجأة .. وتهدج صوت الشيخ رفعت وهو يقول : ولكن كيف سمعنى .. ؟

فأجاب على خليل ـ لقد سمع صوتك فى برنامج الاذاعة الخاص الذى سجلته محطة لندن ..

وعرف بعد ذلك أن هذا الضابط الطيار ، أقام فى مصر فترة من الوقت ، ثم غادرها بعد أن أشهر إسلامه ، وبعد أن تفهم معانى الآيات التى كان يسمعها بصوت الشيخ رفعت ..

اعتذار عن السفر

ولم يكن الشيخ رفعت يعبأ بالمادة ، ولا يسعى وراء الثراء ، وبلغ من احتقاره للمال ، أنه تلقى عرضا عام ١٩٣٥ من (نظام حيدر أباد) للاحتفال بمولده ، ولكن الشيخ رفعت اعتذر ، ولجأ المهراجا نظام حيدر أباد إلى وزارة الخارجية المصرية ، لتتوسط لدى الشيخ رفعت ليسافر الى الهند ، فأصر على الأعتذار وقال أنه مريض لا يتحمل متاعب السفر ، واعتقد مندوب حيدر أباد أن الشيخ رفعت يعتذر بسبب ضآلة الأجر المعروض عليه وهو (١٥ ألف جنيه مصرى) فرفع هذا الأجر الى ضعفيه ، ولكن الشيخ رفعت أصر على الاعتذار ، فرفع المندوب الأجر الى ثلاثة أضعاف ، فاذا بالشيخ رفعت يصيح غاضباً : أنا لا أبحث عن المال أبداً ، فان الدنيا كلها عرض زائل .. ورفض أن يسافر إلى الهند لأنه كان يكره أن يجيئه الثراء عن طريق تلاوة القرآن الكريم .

وكان الشيخ رفعت شديد الحساسية تهزه المواقف الانسانية ، ويبكى لأحزان الآخرين ، وقد حدث أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه فوجده مريضاً فى النزع الأخير وعند إنصرافه ، التفت اليه صديقه وقال له وهو يمسك بيده فيضعها على كتفى ابنته الطفلة الصغيرة : ترى من سيتولى تربية هذه الصغيرة التى ستصبح غداً يتيمة ؟

ولم يتكلم الشيخ رفعت لأن قلبه كان يبكى .. وفى اليوم التالى ، كان يتلو فى أحد السرادقات سورة (الضحى) وعندما وصل الى الآية الكريمة التى

الشيخ محمد رفعت

أعظم صوت رتّل القرآن الكريم في العصر الحديث

تقول (فأما اليتيم فلا تقهر) توقف عن التلاوة بعد أن ارتفع صوته بالبكاء والنحيب .. ثم كان الشيخ رفعت يجرى على هذه الطفلة مبلغاً من المال كل شهر ، حتى كبرت وتزوجت !

أزمة الصوت الذهبى

وكانت أسعد لحظات الشيخ رفعت عندما يستمع الى تسجيلاته وهو يتلو القرآن ، وكان له صديق اسمه (محمد خميس) وكان على شيء من الثراء ، وقد بلغ عدد الأسطوانات التى سجل عليها بعض آيات القرآن الكريم بصوت الشيخ رفعت (٢٣ أسطوانة) ، وعندما مات محمد خميس كانت هذه الأسطوانات موضع نزاع بين ورثته ، فاصدرت المحكمة حكما بالتحفظ على هذه الأسطوانات الى أن يتم الفصل فى تركة مورثهم محمد خميس ، ولما مات الشيخ رفعت بعد ذلك لم يجدوا بين هذه الأسطوانات غير خمس اسطوانات فقط صالحة للاذاعة ..

وقست الأقدار على الشيخ رفعت ، فاصيب بعدة أمراض كانت تلاحقه ، وترغمه على ملازمة الفراش ، ولكنه كان يستأنف نشاطه بعد الشفاء فى تلاوة القرآن الكريم ، الى أن اصيب بمرض (الزغطة) الذى منعه من تلاوة القرآن الكريم، ثم منعه من الكلام ، ثم منعه من الحركة بعد أن عجز عن الوقوف والجلوس والمشى . !

لقد ظل الرجل محتفظاً بمجده كصاحب أجمل صوت بين قراء العالم الاسلامى ، الى ان داهمته أمراض غريبة وبدأت صحته تعتل والأطباء فى حيرة .. والذى حدث أنه ذهب الى مبنى الاذاعة كعادته وجلس أمام الميكرفون ليرتل القرآن ، ولكن الشيخ رفعت فى تلك المرة لم يستطع القراءة ، فقد احتبس صوته الذهبى ، على أثر اصابته بتلك الزغطة اللعينة التى كانت تلازمه حتى آخر يوم فى حياته ، وجعلته يفقد حلاوة هذا الصوت الذى طالما سحر به الناس جميعاً .

ومنذ ذلك التاريخ احتجب الشيخ محمد رفعت عن الميكرفون ، وحرم الناس من الاستمتاع الى جمال صوته الفياض بالايمان والخشوع فيما عدا ثلاثة اشرطة ، كانت الاذاعة المصرية قد سجلتها له قبل اشتداد المرض عليه ، وقضى الشيخ رفعت سبع سنوات وهو طريح الفراش ، وقام بفحصه جميع أطباء مصر ، ولكنهم لم يجدوا له الدواء .

وقد زار القاهرة طبيب ايطالى مشهور فى أمراض الحنجرة ، ولما فحص الشيخ رفعت فحصاً دقيقاً قال فى نهاية فحصه أن لا مرض فى الحنجرة تسبب فى هذه الزغطة ، ولكن الشيخ رفعت أصيب بعد ذلك بضغط الدم الذى شفى منه بعد عناء شديد ، وفى فترة النقاهة أصيب بالتهاب رئوى حاد ، فما كاد يشفى منه حتى أصيب به مرة أخرى ، وبينما كان

الشيخ رفعت يتوسط اثنين من أصدقائه الفلسطينيين ووقف خلفه أولاده .





مجموعة اسطوانات لأشهر الأوبرات والسيمفونيات العالمية كان الشيخ رفعت يستمع اليها يومياً .

يقترب من الشفاء ، اشتد عليه مرض « الزغطة » حتى أن أزماتها كانت تستمر بضع ساعات ، وقد ظل يعانى من هذه الأزمات الحادة حتى توفاه الله ..

مع أعلام الموسيقى

والجدير بالذكر أن أصدقاءه ومحبيه وعشاق صوته حاولوا أن يمدوه بالمال ، ويقدموا له المساعدة التى تعينه على مواجهة تكاليف العلاج لكنه كان يرفض أية مساعدة ، وقد باع البيت الذى كان يسكن فيه فى حى البغالة بالسيدة زينب وكذلك قطعة أرض فضاء فى حى المنيرة القريب من حى السيدة زينب ، وانفق على مرضه من حصيلة هذا البيع .. ولو أراد أن يكون من الأغنياء لما تكلف فى سبيل الغنى عناء ، ولكنه ـ كما ذكرنا ـ كان يكره المال ، ويعتبره مذلة للنفس !

وقد حدث قبل أن يصاب بالمرض ويلازم الفراش ، أن عرض عليه المطرب محمد عبد الوهاب ، أن تسجل شركة الاسطوانات التى كان يملكها مع آخرين ، المصحف كاملا على اسطوانات ، مقابل أى أجر يطلبه ، ولكنه اعتذر عن قبول هذا العرض لأنه ـ كما قال لصديقه عبد الوهاب ـ انه يخشى ان يمسك الاسطوانة سكران او جنب .

والجدير بالذكر أن الشيخ رفعت كانت تربطه صداقة قوية بالمطرب محمد عبد الوهاب الذى كان يحرص على قضاء اغلب سهراته فى بيت الشيخ رفعت بالسيدة زينب ، وكثيراً ما كانت هذه السهرات تضم أعلام الموسيقى وعشاق الأغانى القديمة ، وكان الشيخ رفعت يغنى لهؤلاء الأصدقاء قصائد كثيرة ومنها قصيدة ـ (أراك عصى الدمع) و (بحقك انت المنى والطلب) وكان عبد الوهاب يجلس على الأرض تحت قدمى الشيخ رفعت وهو يستمع اليه فى خشوع والدموع تنهمر من عينيه . !!

مخلفات الشيخ رفعت

ولما مات الشيخ رفعت وجدوا بين مخلفاته مجموعة كبيرة من الأسطوانات المسجل عليها الاوبرات والسيمفونيات العالمية . وكان يستمع الى هذه الأسطوانات فى « فونوغراف » قديم اشتراه فى أوائل الثلاثينات قبل انتشار الاذاعة ، وكان يطيب للشيخ أن يسمع بتهوفن وموزارت وشوبرت وفاجنر ، وكانت تدور بينه وبين عبد الوهاب مناقشات كثيرة حول أسرار هؤلاء الاعلام كذلك كان يقتنى مجموعات من اسطوانات الموسيقى التركية واغانى أم كلثوم وسيرة المهديه وخدك صديقه عبد الوهاب !

كان الشيخ رفعت لا يقنع بالصوت الموهوب ولا بعلوم التفسير والتجويد والقراءات بل كانت أذنه لا تمل الطواف فى أنحاء العالم ، ولا يشق عليها أن تضرب فى اعماق التاريخ لتسمع وتطرب وتفهم وتعرف ..!!

ومن مخلفاته أيضاً (عصا) كان يستعملها المرحوم يحيى ابراهيم باشا أحد رؤساء الوزارة فى مصر فى اوائل العشرينات ، وكان الشيخ رفعت يقدر هذا الرجل ويحترمه للغاية ، فلما مات ذهب الى قصره ، وسهر طول الليل يقرأ على جثمانه قبل أن تشيع جنازته ، وقد اهدت السيدة حرم يحيى ابراهيم باشا « عصاه » الى الشيخ رفعت تقديراً لوفائه وكانت رأس هذه العصا مصنوعة من الذهب الخالص !

أم كلثوم تبكى

وعندما اشتد المرض على الشيخ رفعت لجأ اولاده الى كل الوسائل ، لعلهم يجدون العلاج الذى عجز عنه الأطباء .. وقد أنفق أولاده على الوصفات الشعبية أكثر مما انفقوا على الأطباء ولكن بغير جدوى .. فقد مات الشيخ رفعت ليترك فراغاً كبيراً ، بين قراء القرآن الكريم ، ويوم مات فوجئت أسرته بوجود ام كلثوم بينهم ، تصرخ من أعماقها وهى تودع جثمانه مع سيدات الأسرة ، وكان معروفاً أن ام كلثوم قد غضبت على الشيخ رفعت وقاطعته رغم انها كانت تزوره فى مناسبات كثيرة ، كما كانت تقضى سهرات متعددة فى بيت أمين المهدى الذى كان يعقد ندوات فنية يحضرها الشيخ رفعت وام كلثوم ايضاً ، ويرجع سبب غضب ام كلثوم على الشيخ رفعت الى وشاية من احد موظفى الاذاعة ، فقد اختلف الشيخ رفعت مع الاذاعة وانقطع عن التلاوة أمام الميكروفون ولما سألت ام كلثوم عن سر انقطاعه قال لها هذا الموظف ان الشيخ يطالب بأجر يساوى ثلاثة اضعاف أجرها ، وأنه يحتج على أنها تتقاضى هذا الأجر الكبير ، وصدقت أم كلثوم هذه الوشاية ، وقطعت صلتها بالشيخ رفعت ولكنها عرفت الحقيقة بعد ذلك ، فقررت أن تزوره فى بيته ، وقبل أن تحدد موعد الزيارة ، جاءها خبر وفاته ، فبكته من أعماقها ، وزارت مقبرته أكثر من مرة لتترحم عليه ..

حسين عثمان

كتاب وقضية

الفخ الذي وقع فيه
علي عبدالرازق و خالد محمد خالد
لماذا يعدل المفكرون العرب عن آرائهم القديمة ؟

بقلم : صلاح عيسى

الذين لهم إلمام ـ ولو بسيط ـ بتاريخ الفكر العربي الحديث منذ بداية النهضة إلى الآن .. يلحظون أن المفكرين العرب يدخلون فى منحنيات فكرية شديدة التناقض . فمسيرتهم مليئة بالأقدام والتراجع . وعلى عكس ما قد توحي به لهجتهم العنيفة فى المناظرات الفكرية ، فان الجسور بين المحافظين منهم والمجددين مفتوحة ، بينما الطريق بينهما مزدوجة الاتجاه . لذلك لا يصاب أحد بالدهشة لأن مفكراً قد عدل عن فكرة أقامت الدنيا وأقعدتها . بل إن الأمر لا يلفت اهتمام المهتمين بالظواهر الفكرية والمتابعين لها !! .

بعد ثلاثين عاماً من الضجة التى أحدثها كتابه الأول «من هنا نبدأ» (١٩٥٠) اعترف المفكر الاسلامى المعروف «خالد محمد خالد» فى كتابه الثامن والعشرين «الدولة فى الاسلام» (١٩٨١) بانه كان مخطئاً ومتجنياً ومجافياً لكل صواب حيث ذهب الى القول بان الاسلاميين لادولة ، وانه بلاغ لا قيادة ، واعلن اقتناعه بانه «دين ودولة وحق وقوة وثقافة وحضارة .. وعبادة وسياسة» ..

وبنفس الجسارة التى ساق بها «خالد محمد خالد» أفكاره القديمة ، يقدم للحديث عن آرائه بنقد للذات ، مطالباً الكتاب والمفكرين بان «يعيشوا بفكر مفتوح بعيداً عن ظلام التعصب وغواشى الغناء ، آنذاك يهتدون للصواب ويقتربون من الحقيقة» وهو يلح عليهم «أن يفكروا دائماً وان يراجعوا أفكارهم وينكروا ذواتهم ويتخلوا عن كبريائهم أمام الحقائق الوافدة» !

والهوامش التى تحيط بمتن خبر عدول «خالد محمد خالد» عن رأيه الأول لاتقل أهمية عن الواقعة ذاتها . فالرجل ظاهرة تستحق التأمل ، فهو كاتب اسلامى يتميز بمجموعة من الرؤى المتسقة والمتكاملة ، يصنفه بسببها معظم النقاد فى خانة «المجددين» ، وهو صاحب مواقف وكتابات مشهودة ـ او شاهدة ـ على اخلاصه فيما يدعوله ، وهو مفكر ذو نفوذ عند الكثرة القارئة ، اكتسبه بجدارة لاهتمامه بتناول مشكلات العصر برؤى تجديدية ، وباسلوب لايستعصى على فهم عامة القراء ، والرأى الذى عدل عنه ، جلب عليه متاعب وحمله أكداراً ، لكنه يقدم للقارىء اعتذاره ويقدم له مبررات عدوله عن رأيه !



خالد محمد خالد

وليس من بين هذه المبررات أن عدول الكتاب العرب عن آرائهم القديمة يكاد يكون ظاهرة من ظواهر فكرنا العربى ، وهى ظاهرة تنشد تفسيراً فى ذاتها بصرف النظر عن مدى الخطأ والصواب فيما يتنقلون بينه من مدارس وأفكار واتجاهات ..

سيقول البعض إنها مظهر حيوية عقل لا يتكلس عند مواقف ولا يتشرنق فى أفكار ، وهى دليل أننا تطوريون لا جامدون ، ومستقبليون لا محافظون ، وسيعضدهم آخرون لأسباب ليست أسبابهم ـ بأن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو على كل شىء قدير ..

على أن آخرين ممن لا ينكرون قول هؤلاء ولا تعضيد أولئك ، يسألون :

● ألا يدل ذلك ـ بين ما يدل ـ على أننا نحن العرب ، لا نؤصل أفكارنا ، لذلك ننتقل من النقيض الى النقيض وتلك ملامح مراهقة فكرية وعنوان عدم نضج ! ..

● وكيف نطمئن الى آراء التجديديين اذا كانت تصاغ فى عجلة وتلقى فى استهانة ولا تصمد لمطارق الزمن ؟

تاريخ حياة ظاهرة

ما يدعو للدهشة حقاً أن أحداً لا يشغل نفسه بالسؤال عن السوابق التى أباحت لنا اصدار حكم بأن عدول المفكرين العرب عن آرائهم قد أصبح ظاهرة ، فكل من له إلمام بسيط بتاريخ الفكر العربى الحديث منذ بداية النهضة الى الآن ، يلحظ أن المفكرين العرب يدخلون ـ فى العادة ـ منحنيات فكرية شديدة التناقض .. فمسيرتهم مليئة بالاقدام والتراجع ، وعلى عكس ما قد توحى به لهجتهم العنيفة فى المناظرات الفكرية ، فان الجسور بين المحافظين منهم والمجددين مفتوحة والطريق بينهما مزدوجة الاتجاه .. لذلك لا يدهش أحد لأن مفكراً قد عدل عن فكرة أقامت الدنيا وأقعدتها .. بل إن الأمر لا يلفت اهتمام المهتمين بالظواهر الفكرية والمتابعين لها ؟

سوابق من هذا النوع تجدها عند الكثيرين لم يكن أولهم «علي مبارك» ، ولن يكون آخرهم «خالد محمد خالد» . وفى القائمة أسماء : طه حسين وهيكل والعقاد وعلي عبد الرازق .

واقعة الأخير منهم تشبه أكثر من غيرها واقعة

«خالد محمد خالد» : فالبطل فى كل منهما رجل دين جهر برأى خالف به السائد من أفكار جيله ، وأثار ضجة وضجيجاً ، ثم عاد بعد سنوات تطول أو تقصر ليعدل عن ذلك الذى أثار به ما أثار ! والفصل المعنون «قومية الحكم» فى كتاب «خالد محمد خالد» الأول «من هنا نبدأ» يتناول العلاقة بين «الدين والدولة» وهو ما تناوله كتاب علي عبد الرازق « الاسلام وأصول الحكم » . ومع خلاف فى المقدمات فان الاثنين انتهيا الى نفس النتيجة وهى أن الاسلام دين لا دولة ، وبلاغ لا قيادة . أعلن الأول منهما رأيه فى عام ١٩٢٥ وعدل عنه بعد ٢٢ عاماً ، حين قبل العفو الصادر بحقه وعين وزيراً للأوقاف فى عام ١٩٤٧ . وبعدها بسنوات ثلاث تبنى «خالد محمد خالد» الرأى الذى عدل عنه «علي عبد الرازق» ليثير بتبنيه له ضجة وضجيجاً ثم يعود ليعدل عنه بعد ثلاثين عاماً فى كتابه «الدولة فى الاسلام» (١٩٨١)

ثم إن كلا الرجلين قد حصل على درجة العالمية من الأزهر الشريف . حصل الأول عليها عام ١٩١١ وعمل بعدها قاضياً شرعياً ، وحصل عليها «خالد محمد خالد» عام ١٩٤٧ ليعمل بعدها مدرساً فى نفس المعهد الذى تخرج منه . وكان علي عبد الرازق سليل أسرة من أكبر أسر المنيا بصعيد مصر ، تمتلك عشرات الآلاف من الأفدنة ونفوذاً سياسياً واسعاً منذ أوائل القرن ، فهى ركن من أركان «حزب الأمة» قبل الحرب العظمى الكونية ، وبعض أعمدة حزب «الأحرار الدستوريين» بعدها . تمول هذا الحزب كما كانت تتفضل على سلفه . والده «حسن باشا عبد الرازق» : ثانى اثنين عرضت عليهما سلطة الاحتلال الإنجليزى تولى عرش مصر عقب خلع الخديو عباس حلمى الثانى عام ١٩١٤ . لكن عميد آل عبد الرازق رفض أن يجلس على العرش لأن السلطة التى قدمت له العرض غير شرعية وليس من حقها أن تقدم عرضاً كهذا .

ويكاد تاريخ عائلة «خالد محمد خالد» يخلو من أية وقائع دراماتيكية من هذا النوع الذى يرويه مؤرخو آل عبد الرازق . وقد ولد عام ١٩٢٠ ليكون أول من تذكره حروف المطبعة من عائلته . وهو يعتز كثيراً بأبيه الذى كان مزارعاً فى احدى قرى محافظة الشرقية . ولابد أنه ينتمى لتلك القبائل العربية التى سكنت صحراء مصر الشرقية منذ الفتح الاسلامى ، ثم اجتذبهم الشاطىء الشرقى لدلتا النيل فاغراهم بالاستقرار .

ويدين «خالد محمد خالد» لشخصية أبيه بطاقة التحدى التى دفعته لمصادمة الكثير من الآراء المستقرة ، كما يدين له بذلك الاحترام لحرية الانسان وكرامته وحقه فى التعبير عن رأيه والاجتهاد فى شئون وطنه ودينه . ومع أن أحداً لم يعرض العرش على الرجل إلا أن هناك من الشواهد مايدل على أنه كان سيرفضه ربما لذات المبررات . إذ كان يمارس الاحساس بكرامته بدرجة فيها كثير من الاعتزاز بالذات .

ويقول «خالد محمد خالد» :

نشأت فى بلاد كانت تسمى «الشفالك» أى الدوائر الزراعية الكبيرة التى يملك كل منها مالك واحد . كانت قريتنا وثلاث من القرى المحيطة بها تتبع تفتيشاً للأمير «محمد عبد الحليم» . وكان هذا التفتيش يكاد يعبد من دون الله . وكان له رهبوت فظيع فى نفوس الفلاحين وكان مفتش التفتيش يكاد يقول للناس : اعبدونى . كان الفلاح يؤجر فى اليوم بخمس قروش ، وحماره يؤجر بعشرة ، كان الحمار المصرى اغلى من الانسان المصرى . فاذا جنى الفلاح محصولا حمله خفراء التفتيش إلى مخازن التفتيش ، ويتركونك تضرب الأرض بكفيك فلا تنال شيئاً إلا إذا دفعت الايجار .. أما أبى فقد شببت لأراه الرجل الوحيد الذى يتحدى التفتيش فى شخص مفتشه ، وأنا أعتقد أننى رضعت هذه المعارضة .. إننى فى الواقع أقرب الى مقولة مكسيم جوركى : «جئت العالم لأعترض» .

«وأنا طفل ـ والحديث لخالد محمد خالد ـ رأيت المحضر يدخل بيتنا أكثر من مرة ويحجز على الماشية ويحرمنى أنا وأخوتى من اللبن ، لا لأننا كنا نماطل الدوائر والتفاتيش ولكن لأن أبى كان يقاوم هذه الدوائر وهذه التفاتيش . رأيتها تنتزع أبى فى منتصف الليل وهو بملابس النوم لأنه اتهم بتحريض الفلاحين على اشعال النار فى أقطان التفتيش ...»

المؤكد أن فلاح الشرقية المشاغب قد لعب دوراً هاماً فى تكوين ابنه . فهو لم يضرب أمامه فحسب أمثلة للاستقلال فى الرأى وللشجاعة فى ابدائه ، والصمود فى مواجهة نتائجه ، ولكنه أتاح له أن يعيش قضية العدل الاجتماعى ويعانيها عن قرب ، فتميز بين المفكرين الاسلاميين بنظرته العطوف على فقراء المسلمين ، وبأنه من المبشرين باسلام العدالة الاجتماعية ..

طائر واحد يستطيع التحليق

ولم يكن علي عبد الرازق مهموماً بقضية العدل الاجتماعى ، فهو مفكر من ذوى الأيدى الناعمة ، وهو لم يعش على خبز الجراية كما كان يعيش طلاب الأزهر ، بل من المرفهين من أبناء الأسر الذين حدثنا عنهم طه حسين فى «الأيام» ، لكنه مع هذا التقى ـ فى الأزهر ـ بالامام «محمد عبده» ، فتأثر بآرائه . والأرجح أنه تناول الغذاء مرات عديدة فى مطاعم جامعة اكسفورد حيث قضى خمس سنوات يدرس الاجتماع والتاريخ والسياسة ، قبل أن تقطع الحرب الكونية الأولى دراسته فيعود ليعمل بالقضاء الشرعى . ولولا دراسته فى اكسفورد ما أتيح له أن يقرأ ما كتبه أرثر كينون وتوماس أرنولد والمفكر الهندى محمد برجت الله فى الفلسفة الاسلامية وقضية الخلافة .

ولأنه مفكر من ذوى الأيدى الناعمة فقد كانت قضيته فى جوهرها صراعاً مع الجالس على عرش مصر : نفس العرش الذى رفض عميد آل عبد الرازق أن يجلس عليه عام ١٩١٤ فجلس عليه السلطان حسين كامل ، وبعد عامين غادره الى دار البقاء ليخلفه عليه السلطان ـ الملك فيما بعد ـ أحمد فؤاد الأول ..

ولم يكن آل عبد الرازق يملكون نفوذ الجاه والمناصب والمال فحسب ، بل كانوا على صلة ود بالسلطة الفعلية فى مصر آنذاك وهى دار المندوب السامى البريطانى . ولأن ظهورهم تستند الى القوة الحقيقية فى السياسة المصرية فقد تعاملوا مع الملك أحمد فؤاد تعامل الأنداد . حتى أنهم رفضوا أن يبيعوه بيتهم الذى يقع خلف سراى عابدين ليوسع به اصطبلات خيوله . وكان هذا بداية احتكاك بين الأسرتين ، تصاعد حين رد عليه الملك فؤاد بتخطى رجال «آل عبد الرازق» فى التعيينات للمناصب الادارية الكبرى فى الدولة .

ولا أحد يدرى على وجه الدقة العوامل التى دفعت «الشيخ علي عبد الرازق» قاضى محكمة المنصورة الشرعية لكى يمسك ورقة فيخط عليها السطر الأول فى كتاب «الاسلام وأصول الحكم» . ومعرفة هذه العوامل ضرورية لفهم العملية العقلية والنفسية التى تتكون خلالها فكرة ستواد بعد ٢٢ عاماً أو بعد ٣٠ عاماً . أهى منذ البداية فكرة غير مكتملة النمو ، غير ناضجة لا تستحق تسطيراً على قرطاس ، لولا اندفاع الشباب وفورته ؟ وحين أدركها نضج الشيخوخة بدت فجة وطائشة وطالبت بالاعتذار عنها ؟



الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق وخالد محمد خالد

لكن «علي عبد الرازق» كان على مشارف الكهولة حين أصدر ـ عام ١٩٢٥ ـ كتابه، إذ كان في السابعة والثلاثين ، درس في الأزهر واكسفورد وعمل بالقضاء وليس من طبيعة الأمور أن يكون القضاة شباناً طائشين يلقون بالكلام على عواهنه . وكان «خالد محمد خالد» حين أصدر كتابه ـ ١٩٥١ ـ في الثلاثين من عمره ، وهي سن استواء ونضوج وليست عمر طيش واندفاع ..

وصحيح أن كلا الرجلين قد عدل عن رأيه القديم الى رأي جديد وهو في الستين من عمره ، إلا أن نظرية شيخوخة الأفكار ليست من الطيور التي تصلح للتحليق ، فهناك مفكرون كبار وفنانون عظام وأصحاب رسالات كبرى غيرت التاريخ بدأوا اقتحام العالم وهم في الأربعين وأحياناً وهم في الستين .

الجانب الوحيد الصحيح في هذه النظرية الخاطئة هو أن المجتمعات تعيش شباباً دائماً : صرح علي عبد الرازق برأيه عام ١٩٢٥ وعدل عنه عام ١٩٤٧ ، لكن الرأي وجد شاباً آخر تقدم لتبنيه والدفاع عنه عام ١٩٥٠. وفي عام ١٩٨١ عدل خالد محمد خالد عن رأيه .. وربما اليوم أو غداً سيخرج شاب ثالث يهاجمهما معاً ويكرر حماقة شبابهما ، فالتطور هو قانون المجتمعات ، ولولا دفع الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض والأفكار !

متصوف سني .. وعلماني

وإذا كان الرجلان قد اختلفا في المنشأ الاجتماعي ، فقد تعرضا لمناخ فكري متقارب . ولعل هذا ما يجمع بينهما . انهما في الحقيقة أب وابن ينتميان للحلقة التاريخية نفسها : قبل الحربين الكونيتين وبينهما . أيامها كان العرب يتمردون ويتخبطون كالطائر الدائخ بين شباك الأوروبيين وشباك العثمانيين . عنوان الطموح : الاستقلال عن هؤلاء واولئك . والأسلوب نزوع لتأكيد الذات . لم تكن المشاعر تجاه العثمانيين ودية ، فما أكثر المظالم التي يحفل بها سجلهم القديم والجديد وحين طرحت قضية الشعوب غير التركية في الامبراطورية العثمانية نفسها على الاتحاديين ، كشفوا عن تعصب لطورانيتهم أكد للعرب المبشرين بامبراطورية اسلامية متعددة القوميات ، انه لا امل هناك . وأن الاتراك عثمانيين وطورانيين يستخدمون الرابطة الدينية لاخفاء تعاليهم على الأجناس الاسلامية غير التركية وقهرهم لها . وهكذا تضاءلت الفرص أمام الجامعة العثمانية كتيار فكري .. خاصة والنموذج العثماني لا يغري بالتكرار .

تجاه الأوروبيين ، كانت المشاعر أكثر تعقيداً ، لاجدال في أن العداوة كانت جزءاً من تلك المشاعر . لكن المؤكد أن العرب قد انبهروا بالأوروبيين بقدر ما غضبوا منهم ونقموا عليهم . ومن دلائل هذا الانبهار أن يعود بعض الشبان الذين تعلموا في أوروبا ليصدموا مجتمعهم فيما يعتقد أو يرى . فتثور الزوابع وترعد الرعود وتقوم الدنيا وتقعد ، لكن علينا الا ندهش اذا ما عدل هذا الشاب عن رأيه بعد سنوات ، إذ الواقع اننا أمام مفكر جاء ليقول لنا انه كان في أوروبا ، ولذلك فهو حر التفكير قادر على التصريح بما يرتعد الآخرون من مجرد سماعه ، ولكنه ليس واثقاً تماماً من صحة ما انتهى اليه !

وحين يتوقع الانسان أن يكون «علي عبد الرازق» و «خالد محمد خالد» في صف الخلافة ، فانه يستقرىء واقع الرجلين بشكل صحيح تماماً ، فذاك هو المعسكر الطبيعي لطلاب الأزهر ومشايخه وكل من تلقى ثقافة دينية جادة ، أو هذا هو الفهم السائد للموضوع أيامها . لكن النوافذ فتحت على أوروبا فلم يعد شرطاً أن يذهب خالد محمد خالد الى أوروبا كي يتأثر بها كما كان الحال أيام علي عبد الرازق . لم يتسكع الرجل في أبهاء اكسفورد ، ولم يقرأ آرثر كينون ، ولا توماس أرنولد بل انه حتى لم يقرأ كتاب «الاسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق .

جمال الدين الأفغاني



محمد حسين هيكل



على أن ذلك كله لم يكن شرطاً لكي يجابه قومه برأي شبيه بما فعل علي عبد الرازق قبله بربع قرن . واقع الأمر أنه كان قد عاش ضمن الأبنية الأوروبية التي جاءت تصوغ الوطن بعد ١٩١٩ : البرلمان والانتخابات وحرية الصحافة والمواطنة والدستور .. وتعرض لنفس التأثيرات .

وهو يقول :

«غادرت قريتي الى القاهرة وكنت طالباً في المرحلة الابتدائية . كان لدي حنين الى السياسة ، وكان أول كتاب غير مدرسي اشتريته للتثقيف العام كان «مذكرات لورد جراي» ـ وزير الخارجية البريطاني إبان الحرب العالمية الأولى ـ وكنت أيامها في الرابعة الابتدائية ، وإني الى الآن أعجب لماذا اخترت هذا الكتاب من بين ما كانت المكتبة تزدحم به» .

«ظللت مع الوفد بعواطفي ، اتتبع خطب مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وعندما انفصل النقراشي وأحمد ماهر عن الوفد وقفت معهما ، وتركت الوفد لأصبح من شباب الهيئة السعدية ، وبدأت آنذاك أمارس الخطابة السياسية . وكنت احتفظ بمحطة استقبال جيدة تحتفظ بالأحداث وتعمل على تحليلها والربط بينها والاستنتاج منها كانت المرحلة مرحلة نضال ديمقراطي مجيد ، وكنت أشهد النحاس وهو رئيس وزراء يترك المظاهرات تهتف بسقوطه ، والصحف تتهمه في نزاهته دون أن يضار هؤلاء . شهدنا حرية الصحافة ، وحرية معارضة برلمانية» .

● .....؟

ـ ... بدأت أقرأ لويلز في معالم تاريخ الانسانية .. ولبيوري في حرية الفكر ، ولول ديورانت في «قصة الحضارة» ، بدأت أقرأ كتباً كثيرة عن التاريخ الأوروبي فكراً وسياسة ، فقرأت عن بسمارك ، وفولتير ، قراءات متنوعة ، وكنت في هذه الأثناء أحس أن عبارة الديمقراطية تصب في ضميري .. وفي قلبي صبا .. الى أن جاءت سنة ١٩٤٩ فكتبت كتاب «من هنا نبدأ» .

قبل هذا الكتاب لم يكن «خالد محمد خالد» قد نشر شيئاً سوى مقال سياسي واحد أرسله للاهرام ، لكنه كان قد شغل بالتصوف فترة طويلة من حياته ، وكتب أثناءها مقالات دينية كثيرة .

كان مركز الجذب الديني لأفكاره سلفياً نقياً ، والسبب كما يذكره :

ـ انتميت في فترة مبكرة من عمري للجمعية الشرعية ، وقد انشأها من عهد بعيد شيخ من كبار أولياء الله وعلماء الاسلام هو الشيخ «محمود خطاب السبكي» ثم قادها بعده ابنه الشيخ أمين السبكي رحمهما الله .. وهي جمعية نشاطها ديني بحت ، وتتبع سنة الرسول وتقتدي به في كل شيء ..»

نحن اذن أمام طبعة نادرة لمفكر ديني يجمع بين التصوف والسنية المتشددة وأفكار عصرية تستشهد بويلز ، وفولتير ، وأفلاطون .

كما استشهد علي عبد الرازق باقوال توماس أرنولد ، وآرثر كينون . فاذا عرفنا أن رائد مدرسة التجديد الديني الامام محمد عبده بدأ حياته صوفياً ، وحين أصبح مفكراً متمرداً وسياسياً

متمرداً تعلم من إمامه «الأفغاني» قوله :

ـ لا أفهم معنى قولهم ـ الصوفية ـ الفناء في الله .. إنما الفناء يكون في خلق الله بتعليمهم وتثقيفهم والحدب عليهم .

ومنذ اختار الامام محمد عبده الفاعلية في العالم اعتزل التصوف ، وهذا هو المنطقي مع شخصية رجل يشتغل بالمسائل العامة ، معرفتنا لما سبق تؤكد لنا مدى الندرة في شخصية «خالد محمد خالد» . فهو متصوف مشغول بالفناء في ذكر الله والتوق الى طلعة الذات الالهية . وسنى مهموم بتتبع الصراط المستقيم الذي هدى الله اليه سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وهي سنة لا تعرف بدعة ، ولا تقر بضلال . وهو مع هذا عصري علماني يكتب بكل جسارة كتابه الأول ليكون من بين دعاواه أن الاسلام دين لا دولة وبلاغ لا حكومة !

الفخ الذي وقعنا فيه

في تلك السنوات ، كان العقل العربي مايزال يبحث عن إجابة لعلاقة الاستفهام المطروحة منذ عهد الصحوة الحديثة ، كيف نبني نموذجنا القومي؟ . أنعود للماضي أم نطرحه ظهرانا وننهل من الرؤى الأوروبية التي تفوقت علينا وحكمتنا واذلتنا ؟! .

وكان «علي عبد الرازق» قد تقدم عام ١٩٢٥ ليجيب على السؤال فجاءت اجابته ماكرة ، فقد صارع الماضي بالماضي ، وتحدى المتحمسين لعودة الخلافة الاسلامية أن يأتوه بنص من القرآن أو السنة يدل على أن الخلافة من أصول الاعتقاد الاسلامي ، مؤكداً «أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة ، وانه لم يقم بتاسيس مملكة وما كان إلا رسولا . وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة ولا داعياً الى ملك» فنحن لم نسمع «أن النبي عليه الصلاة والسلام عزل والياً ولا عين قاضياً ولا نظم في الأمم عسساً ، ولا وضع قواعد لتجاراتهم أو لزراعاتهم ولا لصناعاتهم» .

خلاصة القول عند «علي عبد الرازق» أن «وظائف الحكم ومراكز الدولة ، كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهي عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الأمم والقواعد السياسية »

وكان محتماً أن يقع «علي عبد الرازق» في الفخ السياسي ، لانه ـ منذ البداية ـ تقدم كمصارع سياسي لا كمجتهد ديني ، لذلك جاءت وجهة نظره مليئة بالثغرات ، واكتشف النقاد الاقدمون والمحدثون انه انطلق من فكرة يريد أن يثبتها ولو طوع النصوص أو اقتطعها أو أساء تفسيرها . كان في الواقع يقف في مكتبة اكسفورد ، يعظ أمته التي تعيش في الخيام فيطالبها أن تدير ظهرها لماض لم ير فيه سوى خلافة السلطان عبد الحميد الثاني وتنهل من الرؤى الأوروبية ..

والفخ الذي وقع فيه ، وقعنا جميعاً فيه . فعلاقة الاسلام باصول الحكم لم تكن الموضوع الذي شغل علي عبد الرازق . ولكنه طموح الملك فؤاد أن يلي الخلافة ، وأثر ذلك على النظام الدستوري البرلماني

● خالد محمد خالد يعدل عن رأيه في الدولة الإسلامية بعد ثلاثين عاماً

● قضية الدولة الإسلامية طرحت نفسها على الفكر العربي مراراً .. لكن أحداً لم يجتهد فيها بعد

العلماني الذي كانت مصر واقطار عربية أخرى قد بدأت تنقله من اوربا بعد الحرب الأولى .

ورد الملك فؤاد على مشاغبة علي عبد الرازق بمثلها ، فاذا بهيئة كبار العلماء تستدعيه للمحاكمة وتوجه اليه سبع تهم تدور كلها حول إنكاره أن هناك صلة بين الدين والدولة وبين الشريعة والسياسة ، وتنتهي بعد استعراض الأسباب الى الحكم «باخراج الشيخ علي عبد الرازق احد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب «الاسلام واصول الحكم» من زمرة العلماء» ..

ولم ينتبه أحد ممن اصدروا الحكم لأن النظام السياسي الذي يعملون في إطاره ويقبلون ضغوطاً منه لاخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء هو نظام دنيوي محض ينكر أي صلة بين الدين والدولة وبين الشريعة والحكومة .. وانه أقرب ـ من حيث الواقع ـ الى آراء علي عبد الرازق لا الى آرائهم ، وتحمل علي عبد الرازق الحكم كعقوبة سياسية لا كعقوبة نزلت بمجتهد ان اخطأ فله اجر وان اصاب فاجران . ذلك انه في الواقع لم يجتهد ولكنه شاغب سياسياً فحسب ..

وحين جاء الظرف السياسي الذي يفرض اصلاح الموقف ، تمت تسويته على أسس سياسية محضة ، فقد كان الأحرار الدستوريون عام ١٩٤٧ شركاء في حكم ائتلافي مع السعديين ، ومات الشيخ مصطفى عبد الرازق ، شيخ الأزهر وشقيق علي عبد الرازق ، واصر د. محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار على تعيين شقيقه علي وزيراً للأوقاف ، فوقف حكم هيئة كبار العلماء بطرده من زمرة العلماء دون ذلك ، وكان الملك فؤاد قد مات وخلفه ابنه فاروق ، وهكذا تغير الظرف السياسي ، وسقط مع تغيره الحكم باخراج علي عبد الرازق من زمرة العلماء ، أسقطه نفس الذين أصدروه ، باتفاق غير مكتوب بنده الأول الا يكرر علي عبد الرازق شغبه ، والا يظل حكم تجريده قائماً أما القضية الأصلية فقد تاهت في الزحام ووادت مناقشة هامة وضرورية تتعلق بهمنا الرئيسي : كيف نبني نموذجنا القومي؟

حين فلتت القضية

لذلك لم يكن غريباً أن انتهت الحرب الكونية الثانية ونحن مازلنا حيث كنا في نهاية الحرب الكونية الأولى ، ضميرنا القومي حائر بين ما ورثنا وما تثبت وقائع العصر انه الأقوى والأنفع . ولما كانت الخلافة العثمانية قد أصبحت قراً تاريخياً ، فلتتقدم الصيغة الجديدة : الدعوة لتطبيق الشريعة الاسلامية وانشاء دولة دينية . وسرعان ما تصبح مدرسة لها أفكار ودعاة ..

ولابد أنك ستلاحظ أن خالد محمد خالد كان بعيداً عن هذه الحركة ، برغم انغماسه في الجمعية الشرعية واهتمامه بالشئون العامة ، وتساله كما سالته :

● الم تكن ترى في ذلك الوقت أن هناك ضرورة لحركة اسلامية أصلاً ؟!

سيقول لك :

ـ نعم ، كنت أميل أن يظل الاسلام ديناً يتعبد الناس به ربهم ، والا يقحم في السياسة ، وناديت بما أسميته يومئذ قومية الحكم ، وناقشت ذلك في الفصل الثالث من كتابي «من هنا نبدأ» ؟

في ذلك الفصل ـ بتلخيص المؤلف نفسه ـ ذهب يقرر أن الاسلام دين لا دولة ، وانه ليس في حاجة إلى أن يكون دولة .. وأن الدين علامات تضيء لنا الطريق الى الله ، وليس قوة سياسية تتحكم في الناس وتأخذهم بالقوة الى سواء السبيل ، ما على الدين إلا البلاغ وليس من حقه أن يقود بالعصا من يريد لهم الهدى وحسن الثواب .

فالدين حين يتحول الى حكومة ـ كما قال خالد محمد خالد ـ فان هذه الحكومة الدينية تتحول الى عبء لا يطاق ، وذهب يعدد يومئذ ما اسماه «غرائز الحكومة الدينية» باعتبارها من المؤسسات التاريخية التي استنفدت أغراضها ولم يعد لها في التاريخ الحديث دور تؤديه ، فكان من بين تلك الغرائز الغموض المطلق والغرور ووحدانية السلطة والجمود والقسوة !

وكان منطقياً مع الأعراف العربية المقننة أن يحاكم خالد محمد خالد على أفكار كتلك ، وصادرت النيابة الكتاب بناء على تحليل للجنة الفتوى يتحصل في أن الكتاب يسلب الدين أخص وظائفه وهي الهيمنة على شئون الحياة وتدبيرها واقامة امور الناس فيها على أسس العدل والاستقامة ، وسياستهم بكل ما فيه اصلاح حالهم في الدنيا وتوفير أسباب سعادتهم في الآخرة ، تارة بالنصح والارشاد والوعظ والهداية واخرى بالقضاء العادل والحكم الرشيد وتامين الناس على انفسهم واموالهم وسائر حقوقهم وانصاف المظلومين والضرب على أيدي المعتدين الظالمين ، وإن كتاب الله وسنة نبيه كلاهما مليء بالتصريح الفقهي الواضح البين في الحكم والقضاء وما اليهما من مظاهر الهيمنة الفعلية على جميع نواحي الحياة الاجتماعية مالية وجنائية فردية واجتماعية ودولية» ..

وفي رأي لجنة الفتوى محاولة لاجتناب التناقض الذي وقع فيه اتهام هيئة كبار العلماء لعلي عبد الرازق . لذلك لم تجابه المؤلف صراحة بأن

الاسلام دين ودولة ، وأن اقامة الامامة جزء من الاعتقاد ، رداً على ممارساته فى ذلك ، إذ كانت تدرك ـ ولا جدال ـ أن حكماً كهذا بحق خالد محمد خالد سيبدو غير منسجم مع تتويجه باسم ملك يحكم بدستور مستلهم من أب بلجيكى ..

وهكذا ،للمرة الثانية ،وربما الثالثة أو الرابعة ، تفلت القضية من بين أيدينا ،ونحرم من فهمها على وجهها الصحيح ، لأننا لا نجتهد ، بل نصارع سياسياً ، وهذا ما يعترف به خالد محمد خالد :

ـ .. كنت أخشى على الاسلام من الحركات الاسلامية التى انتشرت فى بلاده وخاصة بعد أن اتجهت أقسام منهم الى الاغتيال السياسى ، وكنت أيضاً قد قرأت كثيراً عن الحكومة الدينية المسيحية فعكست هذا الوضع على الاسلام وتصورت أن الحكومة الدينية الاسلامية يمكن أن تقع فى ذات الخطأ . من هنا كان رفضى لقيام حكومة اسلامية ..

فى كلا الخطأين ـ كما يقول خالد محمد خالد ـ كان هناك خطأ فى المنهج ذاته فقد جعلت ما تأثرت به من قراءاتى عن الحكومة الدينية فى المسيحية وما تأثرت به من تحول بعض الشباب المسلم من نسك الى قتله .. جعلت هذا وذاك «مصدر» تفكيرى لا «موضع» تفكيرى !! تجعله موضع تفكيرك . عندما يكون مصدر تفكيرك فانه يقودك فى طريقه هو لا فى طريق الحقيقة . أما حين يكون الشيء موضع تفكيرك فانه يمد تفكيرك المحايد والمستقل بكل اعتبارات القضية المدروسة دون أن يلزمك بحكم مسبق ليتحرك الفكر داخل اطاره الحديدى الصارم» !

وذلك هو الفخ نفسه الذى وقع فيه علـــى عبد الرازق ..

الجديد الذى نسخ القديم

حول الكتاب الجديد الذى نسخ القديم كان حوارنا . سألته :

● ترى ، هل كانت الدعوة للعودة للأصالة وراء نسخك لرأيك القديم .. وماذا ترى فى حركة التجديد الاسلامى اليوم ؟

تجاهل الشطر الأول من السؤال .. مباشرة قال :

ـ أعتقد أننا نعيش عصر بعث للاسلام كدين وكدولة ومجتمع . أما تجديد الفكر الدينى ، فتلك مسألة رهينة بظروفها ، فالتجديد بهذا المعنى يعتمد على علماء مبرزين أحرار يستطيعون أن يتبوأوا مكانة الاجتهاد فى الاسلام .. ويستطيعون بشجاعة أن يعيدوا فتح باب الاجتهاد !

● ألا ترى أننا نسير نعرج ، إذ كيف تتقدم حركة بعث الاسلام كدولة ،حركة التجديد الدينى ، أليس المنطق أن تسبقها تمهد لها أو تواكبها لتشد الناس اليها بما تطرح من رؤى اسلامية لمشكلات العصر ؟!

ـ أنا معك فى هذا لأن الفكر دائماً يسبق العمل .. وهناك محاولات لتجديد الفكر الاسلامى ،ولكن هذه المحاولات ليست بالطاقة أو بالشمول الذى تسير به حركة بعث الاسلام كدين وكمجتمع .

● البعض يقارنون بين أولى حلقات التجديد الاسلامى عند الأفغانى وآخر حلقاته فى عصرنا فينزعجون ، إذ يبدو لهم أننا نتراجع عن نقطة البدء فالمجددون المعاصرون أكثر تشدد أو محافظة مما كان عليه الأفغانى ومن تتلمذوا عليه وخلفوه ؟ فما رأيك ؟!

الفخ الذي وقع فيه على عبد الرازق وخالد محمد خالد

ـ الواقع أن جمال الدين الأفغانى كان زعيماً أو ملهماً سياسياً أكثر منه مفكراً دينياً ، وهو لم يترك لنا ثروة فكرية يمكن أن نشير اليها ونقول هذا تجديد فكرى . الأفغانى جعل شغله الشاغل تحرير الأمم الاسلامية سياسياً وكان محرضاً على التمرد . والشيخ محمد عبده كان الى حد غير بعيد يحمل بذور أفكار دينية جديدة .. لكن السياسة شغلته هو الآخر عن اتمام دوره كما ينبغى . أما حسن البنا فقد ركز على بعث روح اسلامى كما كان يصنع الأفغانى ، ولم يشغل نفسه بمشاكل فكرية أو فقهيـــة فى الاسلام .

● عند من من المجددين الاسلاميين تقف ؟

ـ أنا أقف عند اقبال ، ومولاى محمد علي ، وأبو الكلام آزاد ، وهم هنود هم الثلاثة ، وأنا أقف عند روح التجديد ، إذ كان ثلاثتهم مستعدين لتحمل الهتاف بآراء جديدة فى تفسير بعض النصوص الاسلامية . فالامام عمر بن الخطاب مثلا ألغى حق المؤلفة قلوبهم فى الزكاة ، مع أن هذا الحق ثابت لهم بنص القرآن ، وقال ان الله قد أعز الاسلام ، فهو ليس فى حاجة الى تأليف قلوب أحد وكان يجتهد فى أحكام شرعية كثيرة ، ويعطى رأياً شجاعاً يخالف النص ، فالاسلام بطبيعته لا يتأبى ولا يرفض محاولات التجديد فيه .. نحن الآن أمام قضايا معاصرة مجيدة الى ودائع البنوك ، وهى قضايا لا معاصرة مجيدة وصغيرة ولكنها تشغل المسلم بدءاً من شهادات الاستثمار الى ودائع البنوك ، وهى قضايا لا تجد فيها رأياً شجاعاً أو اجتهاداً خلاقاً . فالبنك يعطيك ربحاً على ودائعك ولا يعود عليك بخسارة ، وهذه صورة من صور الربا ، لكن منطق البنك يؤكد أنه لا يخسر وأن أنواعه لا تخسر إلا اذا سرق صاحب البنك ودائعه ، ومنطق البنك يتطلب اجتهاداً .

بعد لحظة تأمل أضاف :

ـ هناك قضايا معاصرة كثيرة جداً لا تزال معلقة بين الصواب والخطأ وبين الحل والحرمة ، ولا تجد المجتهد الجسور الذى يدرس القضية دراسة وافية جداً ، ويتقدم بالرأى ولا تجد حتى مجمعاً للبحوث الاسلامية فى مستوى مسئولياته يتقدم للناس برأيه وباجتهاده .

● هل كان اقبال فى رأيك هو ذلك المجتهد الجسـور ؟

ـ إن اقبال مثلا يذهب إلى أن الاسلام كان خاتم الديانات ورسوله كان خاتم المرسلين وهذا إيذان بأن « العقل قد ورث الوحي» وتولى المهمة بدلا منه . وهذه مقولة جريئة لأنها تحل لنا مشاكل عديدة .. المسألة تتطلب مجتهداً جسوراً ..

قلت معلقاً على شكل سؤال :

● أهي مشكلة جسارة فحسب .. أم مشكلة مناخ وظروف ؟

ـ مشكلة فقدان جسارة و نقص معرفة . لابد أن يصل المجتهد إلى مستوى رفيع من العلم والمعرفة قبل أن يكون مؤهلا للاجتهاد ، ليس العلم بالاسلام فقط بل وبالواقع المعاصر أيضاً ثم بعد هذا الوعي الذاتي ، لابد أن يكون المجتهد جسوراً لكي يواجه الرأى العام المسلم باجتهاده ..

كان الاجتهاد قائماً يوم لم نكن فى حاجة إليه ، ونحن اليوم فى حاجة شديدة إليه ، ولدينا مجمعات بحوث وروابط ومؤتمرات وعدة تشكيلات ومع ذلك فهى جميعاً عاجزة عن أن تأخذ دور المجتهد وتربط قضايانا المعاصرة بمبادىء الاسلام .

● ألا ترى أن الفعل النشط فى حركة البعث الاسلامي اليوم ، مع العجز عن الاجتهاد يمكن أن يكون ذا أثر سلبي .. كثيرون يقولون بأن معظم الحركات الاسلامية ليس لديها برنامج واضح للدولة الاسلامية التى تبشر بها ؟

قال خالد محمد خالد :

ـ ان البعث الاسلامي في شموله يجذب إليه محاولات التجديد الفكرى فى الاسلام وهو وان يكن يتقدم بتجديد التفكير فان هذا التجديد يسير بقوة هذا البعث وبحرارته ، وان لم يكن بالصورة المرجوه . فلا خطورة هناك ، فاذا حقق البعث الاسلامي هدفه ، ستجد مشاكل تفرض نفسها على الدولة ، وهذه المشاكل لا تفرض نفسها علينا اليوم ، لكن الضرورة ستعلن عن نفسها فى ظل الدولة الاسلامية فيفتح باب الاجتهاد ليواجه تلك المشاكل ..

بدا لي فيما بعد أن السؤال التالي قد نقل المناقشة الى محور مختلف . قلت :

● فى مؤلفاتك بشكل عام خطان واضحان تماماً ، هما اسلام الديمقراطية واسلام العدل الاجتماعي ، فاذا وقفنا عند الجانب الأول .. كيف تراه اليوم بعد أن انضممت لصفوف المطالبين بدولة اسلامية ، ؟

ـ لو حكمت بشخصى دولة اسلامية فسأطبق الديمقراطية النيابية التى تقوم صورتها الآن فى بريطانيا ، فالدولة الاسلامية التى أدعو إليها دولة تقوم على تعدد الاتجاهات وبالتالي تعدد الأحزاب وتقوم على معارضة لها مكانتها وحريتها ، وهذه هى الشورى كما قال بها الاسلام . الحاكم يمثل الأمة ويوكل عنها ، ولا يجوز لحاكم أن يقول لنا أنه يحكم باسم الله ، لأنه يحكم بحكم الله ، لكنه فى الوقت نفسه وكيل عن الأمة التى انتخبته واختارته ! ،

● كانك بهذا تقول أن الشورى ملزمة للحاكم المسلم ، أظن أن هناك خلافاً بين الفقهاء حول إلزامها ؟! .

ـ هو صحيح . ولعل الذين قالوا بعدم الزامها كانوا واقعين تحت ضغط الخوف من حكامهم . لكن الحقيقة التى أراها ان الشورى ملزمة، إذ لو لم تكن كذلك فلا مبرر لها . وقد أمر الله رسوله « وشاورهم فى الأمر » ، وصدر أمره جل جلاله للنبى بعد أن شاور الرسول صحابته فى غزوة «أحد» وأخذ برأيهم فادى ذلك لهزيمة استشهد فيها سبعون صحابياً بينهم عم الرسول حمزة ، فكان الآية نزلت تامر الرسول بالشورى بصرف النظر عن النتائج .

● يذهب البعض الى أن الحاكم المسلم يستشير أهل الخبرة الذين يصطلح على تسميتهم بأهل الحل والعقد ؟

ـ أهل الحل والعقد فى رأيي هم النواب الذين يختارهم الشعب بمحض حريته ، وهذا أيضاً اجتهاد جديد منى ، لأن العادة مضت فى الفقه الاسلامي على أن أهل الحل والعقد هم أهل الخبرة . وهؤلاء يمكن الاستعانة بهم فى مجالس متخصصة تقوم على الاختيار .. أما أهل الحل والعقد الذين يفصلون في مصائر الأمة السياسية ، لا يمكن إلا أن يكونوا نواب هذه الأمة التى اختارتهم بملء ارادتها دون أدنى تزييف لاقتناعها .

عن الشطر الثاني تساءلت :

● وماذا تقدم الدولة الاسلامية على صعيد العدل الاجتماعي ، ؟

يقول خالد محمد خالد :

ـ مررنا بتطبيق يبعث فى نفوسنا كثيراً من التفاؤل بمستقبل الكرامة الانسانية والعدل الاجتماعي فى ظل الاسلام ، فقد استوصى الى ابعد الحدود بالعدالة الاجتماعية ، وإذا كان الاسلام أعتمد على الزكاة كضريبة أساسية يحقق بها العدل الاجتماعي فانه لم يخلق الباب أمام ضرائب أخرى تصطنعها الدولة كما تشاء تغطية لمتطلبات العدل الاجتماعى . الاسلام فى مبادئه يرى أن الناس سواسية كأسنان المشط وأن حقهم جميعا فى الحياة المعيشية متكافيء ، وكان بيت مال المسلمين يرتب العطايا الشهرية أو السنوية على فقراء المسلمين بحيث يغطى حاجة كل مسلم . وكان الرسول يقول : « إن الأشعريين كانوا إذا أرملوا فى غزو أو قل عندهم الطعام جمعوا ما عندهم جميعاً فى ثوب واحد ثم اقتسموه بالسوية ـ وضع كلمة السوية بين قوسين ـ فهم منى وانا منهم . لا يوجد أبداً مباركة للعدل الاجتماعي بأفضل مما فعل الرسول ، فهو يقول :« الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والنار والكلأ » أى فى كل ما ينتج عن استغلال هذه الأشياء الثلاثة ، فالماء يروى الزرع والنار تدير المصانع ، والناس جميعاً شركاء فيهما أيضاً ..

ويصف الاسلام المؤمنين بالذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، وأفتى علماء الاسلام بانه إذا مات فى قرية أو بلد أحد من الجوع ، فان القصاص والدية تقع على جميع أهل هذه القرية . والرسول يخبرنا بأن من بات شبعانا وجاره الى جواره طاو ـ من الجوع ـ فقد خان الله ورسوله ، أى خان الاسلام .

من حيث المبدأ نجد أن الاسلام قد وضع أسس العدل الاجتماعي ، ومن حيث التطبيق فقد طبق هذا العدل الاجتماعي أيام أبى بكر وعمر على شكل يبهر الألباب ، وحدث على عهد علي ، ثم حدث على عهد عمر بن عبد العزيز ، وهو نسيج وحده فى هذا المجال وميزته كعادل اجتماعي أنه خرج من مستنقع الدولة الأموية ولم يكن من الرجال الذين عاشوا مع الرسول أو صاحبوه ، ومع ذلك طبق مبادىء الاسلام فبلغ من العدالة مبلغاً يكاد يكون منقطع النظير ، فاذا سألنى سائل أى نموذج تراه صالحاً كمثال للدولة الاسلامية قلت دولة عمر بن عبد العزيز ، ولذلك اخترته كنموذج لما أدعو إليه فى كتاب « الدولة فى الاسلام » . إن ظروف عمر بن عبد العزيز وبيئته لم تكن توحي أبداً بأن فى استطاعتها أن تخرج لنا هذا الحاكم القديس المطلق فى عدله وهو نفسه يقول : والله لولا الاسلام لكنت كغيرى من الناس . هو فى رأيي معجزة الاسلام .

● هل أخذ هذا الجانب من التفكير الاسلامي حقه من السلف أم أنه ـ فى رأيك ـ مايزال يحتاج الى مزيد من الاجتهاد ؟

ـ كل ما يمت للفقراء كان موضع عناية الاسلام وعلمائه وحكامه فى كل عصر رغم الترف الذى كان يميز بعض الحكومات الاسلامية . حتى فى تلك الفترات كان الناس جميعاً يحسون بضرورة وحتمية وجود العدل الاجتماعي كشيء من أهم الأشياء فى الاسلام .

● ألا ترى معي أن هناك صياغة معاصرة لهذه القضية تكون قريبة من مشاكل عصرنا المليء بالتيارات والأفكار وأيضاً بالفقر ؟

ـ .. ربما .. فى عهد عمر بن عبد العزيز كانت الدولة الاسلامية تلتزم بتوفير مسكن ودابة وخادم ومورد للمعيشة لكل مواطن ، وتتكفل بذلك للمسلمين ولغير المسلمين . وربما تطلب العصر الحديث بعض الاجتهاد فى التنظيم والاسلام لا يأبى قط أى اجراء جديد ينأى عن الظلم ، فمن حق الحاكم المسلم أن يفرض ما يشاء من الضرائب لتغطية حاجات المجتمع ، شريطة ألا يفتئت بهذه الضرائب على حقوق ثابتة . فالتأميم الشامل غير اسلامي . والضرورة الاجتماعية مقدمة فى إطار مراعاة قواعد العدل الاسلامي العام .

● وأين تقع الفكرة القومية من هذه المطالبة بدولة اسلامية ؟

ـ العرب لم يعرفوا إلا بالاسلام ، واللغة العربية لم يصنها سوى القرآن ، فاذا كان هناك عروبة فمن أجل أن هناك إسلاماً ، فلا يمكن أن يقع تناقض جنسى أو عنصرى بين المواطنين فى دولة اسلامية ، لكن احتمال هذا التناقض وارد إذا وضعنا فى اعتبارنا أن هناك أقليات فى الوطن الاسلامي ، ومشكلة الاقليات تأتي من صميم واجبات الدولة الاسلامية ، فالاسلام لا يغفر قط أى ظلم يقع على الأقليات الاسلامية ، والرسول وضع قواعد راسخة للايصاء بأهل الذمة ، وسموا أهل الذمة بما لهم من حقوق فى ذمة المجتمع المسلم والدولة المسلمة ، والرسول يقول من آذى ذمياً أو معاهداً فقد خان الله ورسوله ، وسيدنا عمر عندما رأى يهودياً يسأل الناس أخذ بيده وسأله عن شأنه وأخذه الى بيت المال وجعل له مرتباً وهو يقول : ما أنصفناك

● الإسلام بطبيعته لا يرفض محاولات التجديد فيه . وقد ألغى الخليفة عمر بن الخطاب حق المؤلفة قلوبهم في الزكاة

السلطان حسين كامل



مصطفى النحاس



أحمد ماهر



الفخ الذي وقع فيه علي عبد الرازق وخالد محمد خالد

● كان الاجتهاد قائمًا يوم لم نكن في حاجة إليه . ولكن كل مؤسساتنا تعجز الآن عنه بالرغم من شدة حاجتنا إليه

محمد عبده



محمد اقبال



فولتير



يأذمي ، أخذنا منك الجزية صغيراً وضيعناك كبيراً ، وأرسل الى ولاته على الأقاليم ألا يظلموا ذميا أو يكلوه إلى عالته ، والجزية كالزكاة ضريبة لا وسيلة قهر أو إعنات ، بل عدل كامل .

● وكيف تنظر الى مسألة المرأة فى الدولة الاسلامية ؟

ـ انظر اليها نظرة الفاهم لدينه ، فليس ثمة دين ولا نظام بما فى ذلك حضارتنا الراهنة احترم المرأة وكفل حقوقها كما فعل الاسلام فالاسلام اعطاها حقوقها كانسان ، تعبد الله كما تشاء ، تتاجر كما تشاء ، تملك كما تشاء ، كل هذه الحقوق التى لم تعرفها اوربا إلى الأمس القريب وبعض دولها إلى الآن لم تعترف بهذا.. وهذه الحقوق اعطاها الاسلام للمرأة كما اعطاها للرجل تماما ، اما ما يكون موضعا للخلاف فهو حق العمل ، وقد كفله الاسلام للمرأة فى قول الله تعالى « لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض » . كانت المرأة تتاجر وتمارس التجارة والفتيا ـ وهو نوع من القضاء ـ فليس هناك نص يمنع المرأة من مزاولة الأعمال اللائقة بها . والآية الكريمة « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » لا تحرم عمل المرأة ولا تقيد ذلك بدليل إنهن كن يخرجن ، إلى الجهاد وإلى الصلاة وإلى اعمالهن ، فالآية دعوة للفضيلة .

● والحقوق السياسية للمرأة ؟

ـ انا رايي ان المرأة من حقها ان تنتخب وان تنتخب وهذا راي فقهاء كثيرين وعلى راسهم الامام الأعظم ابو حنيفة ، إذ يرون ان للمرأة ان تكون وكيلة فى الخصومة ، اى وكيلة نيابة ، كذلك من حقها ان تكون قاضية ، واشترط « ابو حنيفة » ان يكون قضاء المرأة فى غير الحدود ، وقال ابو حماد شيخ « ابي حنيفة » بل من حقها ان تكون قاضية فى الحدود ايضا . فاذا وصل الاسلام بالمرأة ان تكون قاضية فباى حق واستنادا لاى نص تحرم حقها فى ان تنتخب و تنتخب ، وتكون نائبة عن الأمة .. كل ما هنالك الا تبتذل المرأة فى زيها وفى سلوكها .

● اين يقع رايك الأول بان الاسلام دين لا دولة من كتاب الشيخ على عبد الرازق الاسلام واصول الحكم ؟

ـ انا لم اقرأ الكتاب ولكنى سمعت عنه ، وهذا خطا ولا شك ، ولكننى عندما كتبت فصل « قومية الحكم » كنت بعيداً تماما عن مسالة الخلافة ، إذ كنت اناقش قضية الحكومة الدينية . ولا اظن ان الشيخ علي عبد الرازق كان ضد الحكومة الدينية ولكنه كان يناقش فى مسالة الخلافة من وجهة نظر تضع فى اعتبارها الشخصية المرشحة لشغل هذا المنصب انذاك وهي الملك فؤاد .

ونحن ارتكبنا وزراً كبيراً وركبتنا المؤامرة الغربية . ولاسيما مؤامرة انجلترا ضد الخلافة الاسلامية . واستطاعوا ان يسلبونا عقولنا وان يحرضونا عليها ، وان نكون احد المعاول التى هدمت بنيانها . خسارة كبرى لم نصب بمثلها ..

● سؤال اخير .. ماذا تستطيع الدولة الاسلامية ان تقدم للمواطن المسلم وللجماعة الاسلامية وللعالم الذى نعيش فيه ؟

● قال خالد محمد خالد :

ـ الدولة المسلمة تستطيع ان تقدم لنا اليوم ما قدمته فى تاريخها الأول ، فهي تقدم للفرد المسلم العون الكافي لكي ياخذ طريقه الى الله فى ظل القيم الاسلامية والفضائل التى زكاها القرآن ودعا إليها وامر بها ، وهى تضمن لهذا الفرد قدراً معيناً من الكفاية التى تمنحه معيشة رخية وسهلة ، وهى تضمن له اقرار النظم السياسية والادارية التى تحفظ له كرامته ، وتحفظ فيه انسانية الانسان وتلبي كل احتياجاته العقلية والروحية والمادية .

وما توفره للفرد كفرد سيتوفر تلقائيا للمجتمع كمجموعة افراد ، أما ما توفره للعالم فانها ستقدم له الاسلام تقديما يسوى الكثير من المشاكل والمظالم التى تثيرها الحضارة المعاصرة ، فعالم اليوم غابة ، يفترس القوى فيها الضعيف ، وهو عالم لا يفكر إلا تفكيرا شهوانيا انانيا ، والمجتمعات المعاصرة تزكي جميعها الصراع على المال والنفوذ ، والحضارة الغربية القائمة الآن هى الابنة الشرعية لحضارة الاسلام ، فقد اخذت معظم عناصرها واعتمدت فى نجاحها على حضارة الاسلام فى الأندلس وقرطبة ودمشق .

الحضارة الاسلامية كائن تاريخي لا تستطيع ان تغمض عينيك عنه . سيقدم الاسلام للحضارة المادية حضارة الروح . مجتمع اليوم خال من كل ما هو روحاني ، وهذا احتياج انساني ، والاسلام هو الذى جمع فى التجربة التاريخية بين حضارة الروح وحضارة المادة ، وهذا امر يحتاجه عالمنا بشدة ...

. . . . . .

هل انتهت الضجة التى بدات قبل ثلاثين عاما .. ام تجددت ؟ لا ادرى !

«صلاح عيسى»

في العدد القادم

الإنسان بين الجبر والاختيار

بقلم الكاتب الإسلامي الكبير

خالد محمد خالد

دولـــة قطـــر
وزارة الكـهربـــاء والمـــاء
إدارة الكـهربـاء
الدوحـــة

STATE OF QATAR
MINISTRY OF ELECTRICITY AND WATER
ELECTRICITY DEPARTMENT
DOHA

منشـــور عـــام رقـــم "٤٤"
صـــادر بتـاريـــخ ١٤٠١/٧/٩ هـ "١٩٨١/٥/١٣ م"

تمشيـاً مـع قـرار سعـادة وزير الكهـرباء والمـاء رقـم ٢ لسنـة ١٤٠٠هـ بتاريـخ ١٣ / ٦ / ١٤٠٠ هـ والمتضمـن في مادتـه الأولـى انشـاء لجنـة فنيـة تسمى لجنـة تصنيف رخـص المقـاولين الكهربائيين والكهربائيين الأفـراد .

فان ادارة الكهربـاء ممثلـة في هـذه اللجنـة تنبـه عـلى جميـع مقاولـي أعمـال التبريـد وتكييـف الهـواء بالتقـدم لاستيفـاء واستـكمال البيانـات والمعلومـات المطلوبـة منهـم والكشوف مـن قسم التبريـد وتكييـف الهـواء بالادارة خـلال ساعات الدوام الرسمي والتوقـيع عليهـا بالاستـلام .

وهـذه البيانـات والمعلومـات المطلـوب تقديمهـا يجب أن تكـون مصـدقة ومعتمدة من الجهـات الرسمية المختصة ، وسوف لن يعتـد بالبيانـات والمعلومات المقدمة للجنـة مالم تكـن مصدقة ومعتمدة ويتم تقديم هـذه البيانات والمعلومـات في خـلال مدة أقصاها « شهرين » من تاريـخ نشر هـذا الاعلان لمقاولي التبريـد وتكييف الهـواء الموجودين حالياً وسوف لـن ينظر فى الطلبـات التى تـرد بعد انقضـاء هذه المـدة . أمـا بالنسبـة للمقـاولين الذين ينـوون التقـدم للتسجيـل لأول مـرة فان البـاب مفتـوح لهم للتقـدم بذلك .

ادارة الكهربـــاء



فيلم أبواب الجنة وهو الفيلم الذى تسبب فى افلاس الشركة المنتجة

رسالة مهرجان كان السينمائي

من : رؤوف توفيق

مذبحة فيلم ونهاية أسطورة

بالتأكد .. لم يكن مهرجان « كان » السينمائى في عامه الرابع والثلاثين .. في أحسن أحواله بالنسبة لنوعية الأفلام التى قدمها على مدى أسبوعين من ١٣ ـ ٢٧ مايو ..

الافلام كثيرة نعم .. متنوعة ، نعم من مختلف انحاء العالم ، نعم .. لكن هناك شيء مفقود ، وغائب .. هذا الاحساس بالامتلاء والشبع ، والمتعة ، والتلذذ بسحر فن السينما ، وما يضيفه كل يوم هؤلاء الفنانون المفكرون العباقرة ..

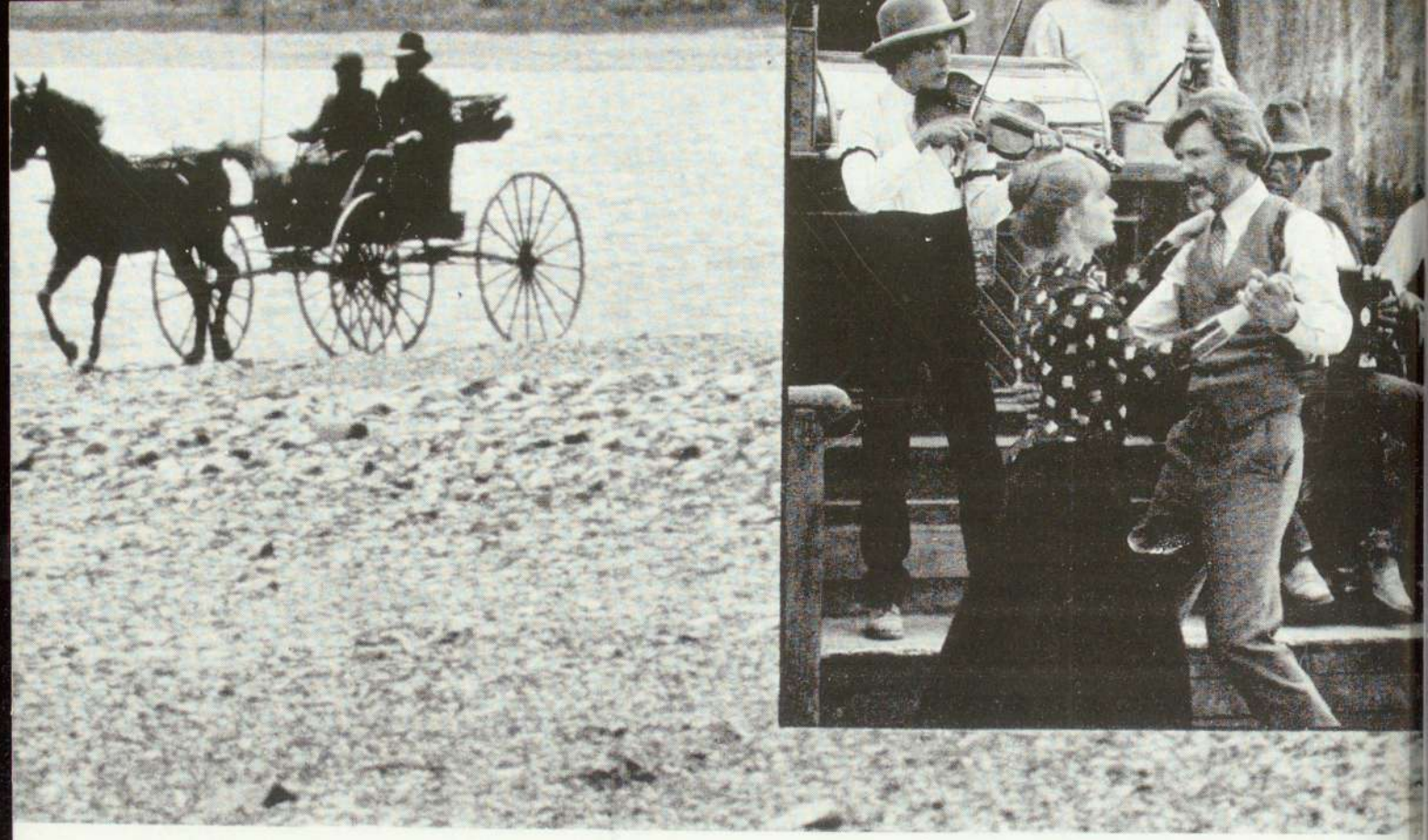
مضت الأيام .. وكل يوم تولد معه هذه الرغبة فى أن ينكسر هذا الاحساس بخيبة الأمل .. وينتهى اليوم على أمل أن يأتى الغد بالشيء المفقود .. وهكذا استمر الحال .. يوم بعد آخر .. وعندما جاء موعد الرحيل .. فتشنا فى أوراقنا ، وما تبقى فى الوجدان .. فلم نجد سوى القليل من الفن ، ومتعة العقل .. والكثير جداً من العبث والألاعيب التكنيكية التى تغطى هزال الفكر ، والتردى فى الموضوعات التقليدية أو الشاذة !

ما الذى جرى ؟!

لاشك أن مهرجان «كان» السينمائى ، من أرسخ المهرجانات السينمائية ، وأكثرها عراقة وقوة وشهرة .. ولكن مهرجان «كان» ـ وأى مهرجان سينمائى آخر ـ لا يصنع الأفلام .. ولكن يختار ما هو أفضل من انتاج السينما العالمية !

بل هناك اضافة التزم بها مهرجان «كان» .. أن يرسل مندوبيه الى مختلف دول العالم ، يفتشون ويشاهدون كل جديد فى السينما ، ويدقون أبواب المخرجين الكبار ليتفقوا معهم على تقديم أفلامهم فى هذا المهرجان .. سواء داخل المسابقة الرسمية أو خارجها ..

ولكن .. كما يقول المثل الشعبى .. أن ما فى الاناء تخرجه المغرفة !



الحشود الكبيرة التى قدمها فيلم أبواب الجنة

وما فى إناء السينما العالمية ، هذا العام .. الكثير من الارتباك والقلق والغموض .. وربما كان هذا انعكاساً حقيقياً لما يشهده العالم من اضطراب وتغييرات وضغوط اقتصادية عديدة . وربما كان هذا أيضاً نتيجة الهجوم العنيف للتليفزيون وشرائط الفيديو ، الأمر الذى جعل صناع السينما فى حيرة من المستقبل ، وارتباك فى تقدير نوعية الأفلام ، وميزانياتها ، وحجم التوقع من ايراداتها !

والأمثلة من خلال ما عرض فى مهرجان «كان» هذا العام .. كثيرة ومتنوعة .

ولكن أكثر الأمثلة .. قسوة .. ودلالة .. هذا الفيلم القادم من أمريكا ، والذى اشتركت به رسمياً فى مسابقة المهرجان .

أبواب الجنة وافلاس الشركة

سبب قسوة التجربة .. أن نتيجتها افلاس الشركة المنتجة – وهى من أكبر الشركات السينمائية الأمريكية – مما اضطرها الى عرض أسهمها للبيع بسعر بخس .. وقد اشتراها مليونير أمريكى لا علاقة له بفن السينما .. وإنما أراد أن يستثمر أمواله ، وان يضيف الى ممتلكاته شركة سينمائية لها اسم وتاريخ كما فعل من قبل عندما اشترى أسهم شركة «مترو جولدن ماير» .. وهكذا انضمت شركة «يونيتد أرتست» الى شركة «مترو» فى قبضة هذا المليونير الأمريكى .

وسبب هذه الكارثة التى لحقت بشركة «يونيتد» .. فيلم «أبواب الجنة» للمخرج الأمريكى الشاب «مايكل شيمنو» الذى لم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين عاماً .. والذى لعب بطولته عدد من النجوم منهم الممثلة الفرنسية «ايزابيل هوبير» .. والممثلون الأمريكيون «كريس كريستوفر فرسون» – «كريستوفر والكن» – «نات شامبيون» – «جوزيف كوتون» وغيرهم .

الميزانية تقفز الى الضعف

كانت الميزانية المحددة لانتاج هذا الفيلم ، لا تتجاوز ١٥ مليون دولار .. واذا بها تقفز أثناء العمل التنفيذى للفيلم الى ٣٥ مليون دولار !! .. أى أكثر من ضعف المبلغ المحدد ! .. ولم تستطع الشركة المنتجة ايقاف تنفيذ الفيلم ، خوفاً من ضياع المبالغ المنصرفة ، وعلى أمل أن يحقق الفيلم نجاحاً تجارياً يعوض ما انفق عليه .. خصوصاً وان مخرجه «مايكل شيمنو» قد سجل بفيلمه السابق «صائد الغزلان» عدة جوائز أوسكار ، منها جائزة أحسن مخرج .. ثم ما أحيط بذلك الفيلم من ضجة بسبب مناقشته لحرب فيتنام من وجهة نظر تدين الفيتناميين فى معاملتهم القاسية للأسرى الأمريكيين .. وقد كاد ذلك الفيلم «صائد الغزلان» ان يتسبب فى انهيار مهرجان برلين السينمائى عام ٧٩ .. عندما تقدمت أمريكا للاشتراك به .. فتجمعت كل دول الكتلة الاشتراكية وأعلنت انسحابها من المهرجان .. وكان رد الفعل مفاجئاً مما وضع مهرجان برلين فى مأزق حرج ، لم تستطع الخروج منه .. وعرض فيلم «صائد الغزلان» وسط ضجة عنيفة !

وقد استفادت الشركة المنتجة من هذه الضجة .. واستفاد المخرج .. وهكذا دخل التجربة التالية ، فيلم «أبواب الجنة» ، باحساس المنتصر الذى يملى شروطه كما يريد .. واستسلمت الشركة المنتجة لكل طلباته .. حتى وقعت الكارثة .

سقط الفيلم سقوطاً بشعاً فى عرضه الأول بأمريكا .. وهاجمه النقاد بشدة .. واضطرت الشركة المنتجة الى سحب الفيلم من السوق على أمل أن يعيد المخرج النظر فى الفيلم ، وتكثيف

مذبحة فيلم ونهاية أسطورة

أحداثه ، وضغط مدته (فقد وصل طول الفيلم فى نسخته الأولى التى عرضت بأمريكا الى ما يزيد عن ثلاث ساعات) .

وبدأ المخرج «مايكل شيمنو» فى إعادة مونتاج الفيلم .. واستمر العمل من جديد لمدة ستة أشهر .. ولم تنقطع حملة النقد القاسية التى وجهت الى الفيلم .. وبدأت الشركة المنتجة تشعر بالانهيار المؤكد .. فأعلنت عن تصفية أعمالها وبيع أسهمها ..

وظهرت النسخة المعدلة من الفيلم ، بعد أن تم حذف حوالى الساعة من مدته .. واختير أن يكون مكان العرض الجديد فى ولايات جنوب أمريكا .. وكانت النتيجة .. نفس الفشل .. ونفس الهجوم القاسى من النقاد .. حتى أن مجلة تايم الأمريكية علقت بأن المخرج فى إعادة مونتاج الفيلم ، حذف كل المشاهد الجيدة والمثيرة !!

وكتب أشهر ناقد كندى معلقاً على الفيلم .. بأنه حاول أن يكون حنوناً .. ولكن ما رآه على الشاشة .. كان مجرد «دخان بنادق» ولا شىء أكثر من هذا .. وتساءل فى مرارة : هل يستحق هذا الدخان أن يصرف عليه كل هذه الملايين ؟!

وفى آخر محاولة لانقاذ الفيلم .. تقرر اشتراكه فى مهرجان «كان» السينمائى كتاشيرة دخول الى منطقة أوربا .. وعلى أمل أن ينال حظاً أفضل من النقاد والجمهور الأوربى ..

وقد شاهدت الفيلم فى عرضه الوحيد الذى تم داخل إطار المسابقة الرسمية للمهرجان .. وسط مظاهر الاهتمام والترقب من الجميع لرؤية هذا الفيلم «المشكلة» !! .. ومع كل دقيقة من تتابع مشاهد الفيلم الذى يصل طوله الى ساعتين و ٣٥ دقيقة .. كنت أحاول أن أعثر على مبرر واحد يدعو لانفاق هذه الملايين فى هذا الفيلم ؟!

مشاهد جميلة بلا فائدة

إن أى فيلم .. أو أية وسيلة فنية .. لابد وأن تخدم فكرة واضحة يراد



المشاهد التى انفقوا عليها عدة ملايين

ايصالها للجمهور .. ومعنى كلمة «تخدم» أنها توظف كل الامكانات الفنية لتأكيد الفكرة دون بهرجة أو تخمة .. وأيضاً دون ضعف أو عجز ..

ولكن ما حدث فى فيلم «أبواب الجنة» .. اننا نفاجأ بمشاهد طويلة قدمت بأبرع وأمهر الفنيين .. وأنفق عليها عدة ملايين من الدولارات .. دون أن تضيف هذه المشاهد أية اضافة حقيقية لمضمون الفيلم .. إنه نوع من السفه ، الذى قد يجد له البعض تعبيراً مهذباً «كاستعراض المهارات الفنية» .. أو «ابهار المتفرجين» ! .. مع أن المفروض أن تستغل كل هذه المهارات ووسائل الابهار داخل نطاق الموضوع .

مثلا .. يفتتح الفيلم باحتفالات التخرج من جامعة «هارفارد» آلاف الكومبارس والنجوم .. رقص وموسيقى وغناء .. مشاهد باذخة التكاليف لاعادة إحياء زمن هذه الاحتفالات عام ١٨٧٠ .. بكل ما يستدعى العودة الى نهاية القرن التاسع عشر من ملابس وديكورات واكسسوارات .. مشاهد استغرق عرضها على الشاشة حوالى العشر دقائق .. وتكلفت ما يقرب من ثلاثة ملايين .. وفى النهاية لا تقول شيئاً أكثر من معلومة صغيرة مؤداها أن اثنين من هؤلاء الخريجين تقابلا من جديد وبعد أن وصل عمرها الى مشارف الأربعين .. ليواجها الموقف الرئيسى الذى قام من أجله الفيلم ! .

كيف يمكن تبرير هذه الافتتاحية المنفصلة عن الفيلم .. صحيح كانت مشاهد رائعة ، مليئة بالحيوية والجمال .. (تصوير المصور السينمائى العالمى فيلموس زيجموند) .. ولكن مع تتابع الأحداث الرئيسية للفيلم .. نشعر أن ما قد رأيناه فى البداية شيء منفصل .. قد يبقى فى الذاكرة كلوحة جميلة ولكن خارج الموضوع ! .

موضوع الفيلم

وموضوع الفيلم يتناول الحرب التى قامت فى مقاطعة جونسون عام ١٩٨٠ .. حينما قام أحد كبار الملاك بحملة لابادة المهاجرين والمتسللين الى هذه المقاطعة والذين جاءوا بحثاً عن وسيلة للحياة .. وخطة الابادة تبدأ باختيار ١٢٥ مهاجراً وإعدامهم بتهمة السرقة والانحراف وإثارة الشغب .. ويقف خريج جامعة «هارفاد» مع المهاجرين فى معركتهم ضد



المواقف العاطفية فى الفيلم



ايزابيل هوبير



الممثل أفريل



نات شمبيون



جورج إجلستون

اتحاد كبار الملاك والذى يتزعمه الخريج الآخر من جامعة هارفارد ..

أى أن الاثنين تخرجا من نفس الجامعة .. ودرسا نفس المواد .. ولهما بالطبع نفس الجذور الطبقية والتى سمحت لهما ـ على الأقل ـ بالالتحاق بهذه الجامعة .. فيقفان فى النهاية ضد بعضهما .. احدهما يمثل مصالح الأغنياء .. والآخر يمثل مصالح الفقراء

وحتى هذه النقطة الأساسية التى قام عليها بناء الفيلم .. لم يحاول السيناريو أن يوضح لنا .. لماذا انحاز احدهما ضد طبقته .. ولماذا حارب مع الفقراء .. وماهى العوامل والمؤثرات التى شكلت تفكيره .. وحسمت موقفه ؟!

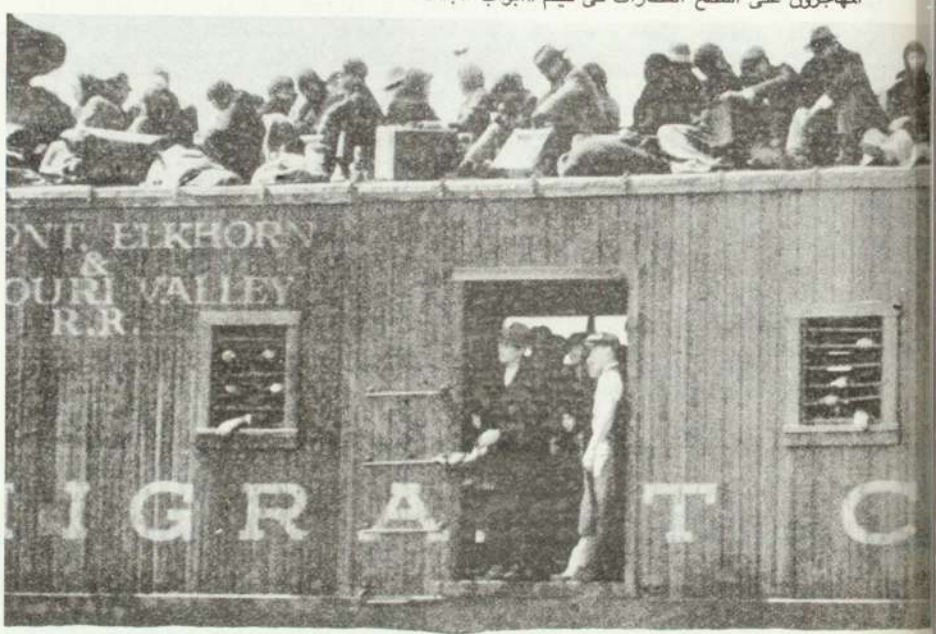
كل ما أوضحه الفيلم .. وأكد عليه فى مشاهد عديدة .. هو العلاقة بين هذا «المناضل» مع الفقراء ، و « غانية » من بينهم ، أحبها وارتبط بها .. وينتهى الفيلم بعد معارك طويلة وجثث كثيرة .. وهذا «المناضل» يحمل عشيقته «الغانية» وقد تحول جسدها الى جثة ملطخة بالدماء وممزقة بالرصاص ، يحملها ويبكي بكاء مرا .. بينما كل ما حوله يفوح بالخراب والدمار !! .

ما الذى توحي به هذه النهاية ؟ .

من الصعب ، وغير المنطقي ، تحميل العلاقات أكثر مما تحتمل .. فكل الأفكار ضبابية !

وحتى هؤلاء المهاجرين الى هذه الارض .. والذي قيل في بعض جمل الحوار إنهم قادمون من أوربا الشرقية .. حتى هذا الوضع لا يمنح الفيلم شرف اعتباره فيلما ضد العنصرية ..وضد الأقليات ..

المهاجرون على أسطح القطارات فى فيلم «أبواب الجنة»



مذبحة فيلم ونهاية أسطورة



التزحلق على الجليد على إيقاع الموسيقى

وهذه المرأة الغانية التي تدير بيتها للدعارة .. لا يمكن تحميلها شرف انها رمز المهاجرين ومعاناتهم .! .. فهي كما ظهرت في الفيلم ليست إلاجسد أجميلا ..ولاشيء غير هذا !

وهكذا يجد المشاهد نفسه في دوامة من التساؤلات .. ما هي الرسالة التى يريد الفيلم إبلاغها لنا ..؟

وعندما يصل المشاهد الى هذه النتيجة من الحيرة ..والتخبط .. فمعنى هذا أن الرسالة غير واضحة .. وأن البناء الذي قام عليه الفيلم لم يكن سليما .!

وقد قام بكتابة سيناريو الفيلم ، نفس المخرج «مايكل شيمنو» الذي أوضح لنا في المؤتمر الصحفي الذي عقد بعد انتهاء الفيلم مباشرة في مهرجان «كان» ..انه أخذ مادة الفيلم من واقعة حقيقية حدثت في التاريخ الأمريكي .. وانه التزم بكل ما ارتبط بهذه الفترة من اشخاص وملابس وديكورات وأدوات قتال .. من خلال أرشيف الصور الفوتغرافية في متحف تلك الولاية الامريكية التي وقعت فيها هذه المعركة بين المهاجرين والملاك!

مؤتمر صحفى أم جلسة تأبين ؟!

وقد كانت وقائع هذا المؤتمر الصحفي للمخرج وبعض ممثلي الفيلم وأحد مسئولى شركة الانتاج التي مولت الفيلم ..أشبه ما تكون بجلسات التأبين

حالة وفاة .. وبعض التبريرات .. وتقرير بالغ القسوة وبلهجة ادانة ، لا تخفيها عبارات المجاملة ، قدمه مسئول شركة الانتاج .. وهو يقول «لقد وضعنا كل الامكانات أمام المخرج .. ولم نبخل بشيء .. واعتقد انه يعترف امامكم بهذا .. وكان كل أملنا أن ينجح الفيلم في أمريكا .. حتى ترتفع قيمة أسهم الشركة قبل بيعها»

وتكلم المخرج بكلمات متقطعة ..محملة بالحزن والمرارة .. وبصوت



المخرج مايكل شيمنو

خافت ، كانه يخرج من جسد أرهقه قسوة ردود الفعل .. قال مجيبا على سؤال : «انه استمر يعمل في اعادة مونتاج الفيلم لمدة ستة أشهر .. ولم يستطع خلالها ان يقرأ كل ما كتب عن الفيلم .. فقد كان من المستحيل ان يعيد صياغة الفيلم وان يقرأ ما كتب عنه في نفس الوقت » !

هزة فى صناعة السينما الأمريكية

إنها تجربة قاسية بالفعل..

أشبه ما تكون بالمذبحة .. ولا أخفي مشاعري .. فقد أشفقت على هذا المخرج الشاب ، وأنا أراه أمامي يتمزق في مواجهة مئات من الصحفيين والنقاد من جميع انحاء العالم ..وكأنه يتسول كلمة طيبة يحاول بها انقاذ الفيلم أثناء عرضه في دول أوربا .

ولكن ما يهمنا في هذه التجربة ـ بغض النظر عن العواطف ـ هو الاجابة على سؤال : هل تستطيع ملايين الدولارات وحدها أن تصنع فيلما جيداً ؟

إن هذا السؤال مطروح الآن فى شركات الانتاج السينمائي بأمريكا .. فقد أيقظ تفكيرهم ، حادث سقوط هذا الفيلم ، وجعلهم يعيدون خططهم ومشروعاتهم .. وتوالت الانباء عن التفكير الجديد الذي بدأ يسود شركات الانتاج .. بالغاء مشاريع الافلام ذات الميزانيات الضخمة .. وتفتيت الاموال في عدة افلام .. حتى يمكن تجنب أو احتمال الخسائر !

ومن المصادفات الغريبة .. أن يعرض مهرجان «كان» في أحد الايام التالية بعد عرض فيلم «أبواب الجنة» .. برنامجا خاصا للاحتفال بالمخرج الفرنسى «لوي بونويل» وفي هذا البرنامج ، تم عرض فيلم يتضمن آخر لقاء أجراه «لوي بونويل» أثناء اقامته في المكسيك .. كان اللقاء حول بدايته الفنية واسلوبه السينمائي .. وأفكاره .. ومن ضمن ما قاله ..انه عندما التقى بصديقه المخرج الامريكي الراحل «نيكولاس واى» سأله بونويل عن الميزانيات الضخمة في الأفلام الامريكية .. ولماذا لا يقدمون أفلاما بميزانيات قليلة .. وضرب مثلا بعدد من الأفلام أنتجت بميزانية لا تتجاوز ٢٠٠ الف دولار .. أجاب «نيكولاس» : إنه كلما زادت ميزانية الفيلم ، كلما زادت قيمة المخرج .. ولهذا ظهرت الافلام التي تتكلف الملايين .. وعلق المخرج الفرنسى الشهير « بونويل» على هذا الوضع بقوله : «انها كارثة حقيقية» !

فعلا .. إنها كارثة .. فالفن الحقيقي لا تصنعه كمية النقود .

وشكرا لفيلم «ابواب الجنة» فقد أنهى أسطورة الافلام ذات الميزانيات الضخمة .. وأنهى بالتالي السباق المجنون الذي أفسد صناعة السينما !

رءوف توفيق

من عيون الحكمة

الناس والحياة

● محنة الانسان وعظمته أنه خلق ناقصاً .

ليس الانسان إلا «مشروعاً» .. مجرد صورة تدور حول ذاتها وتبحث دوماً عن معناها .. صورة مفتوحة على الغيب من جميع نواحيها .

أما الحيوان فكائن سوى تام قد بلغ بدءاً غايته ومنتهاه .

● الأخلاق نتاج المجتمع . أجل ! ولكن لامعنى لها اذا هى لم تتجاوزه تسامياً به أو تحدياً له .

● قد ينسى الانسان أحب الناس إليه ولكنه لن يسلو أبداً موطنه إذا اغترب عنه ، لأن الوطن هو المبدأ والغاية .. هو القبلة والمنطلق .

هو الذات الكبرى منها يستمد لب كيانه وجوهر حقيقته .

● إذا انفصل الحق عن الجمال اصبحت الحياة قشراً لايغنى من جوع .. مسرحاً بهرجاً تغدو عليه الاشباح وتروح بئس البديل الأدب الذى يذهلنا ويسلينا بالهذر البيزنطى ،والغزل ، والمجون ، عن حياة يزدرى فيها الانسان فيطعن فى الصميم من حرمته وحريته ، ويضطر الى أحد اثنين .. إما الفناء أو العيش فى البؤس والهوان .

● فى الانسان الواحد الفرد من طاقة الرغبة والشوق والأمل ما يستطيع به أن يعمر الأرض كلها ويغزو الكون كله لولا خذلان المكان والزمان له .

● كيف تطمئن منك النفس ويرتاح الضمير ، ولايزال بوجه أرضك سيماء الفقر والجوع ، والآف العيون من أخوانك هنا وهناك تنعى عليك اليسر والرفاة .!؟

إن لم تحمل في قلبك الوطن كله ، على ثقله وأساه ، فعبثاً تتغنى بالمحبة ، وتدعى الوفاء والاخلاص .

● أنظر الى الحياة فى شغف ولا مبالاة .. فى سخرية وحنين .. فاذا هى طوع يدك ، تدر بأطايبها عليك . وكذا بعض الزهد غنم .

● الوحدة ـ إن كانت عن سلامة ـ مقياس ثراء الشخصية .

فالكيس اللبيب لاينى يستمد من ذاته قوتاً لذاته ومسرة .

«البشير المجذوب»

الارادة والقدرة



● لا يتحدد مكان الانسان فى الحياة بما يعرفه هذا الانسان .بل بما يريده ، وبما يقدر عليه .

«جوستاف لوبون»

أخطاؤنا نحن

● فى لحظات معينة يكون الناس هم الذين يقررون مصائرهم . لذا إذا كانت أوضاعنا متدنية ، فليس الخطأ خطأ النجوم والأبراج .. إنه خطأنا نحن .

«شكسبير»

الكاتب .. والقلم



● أنا لم أفقد شجاعتى . إن الحياة فى كل مكان .. فى داخلنا .. وليست فى العالم الخارجى . فالشمس ترى دائماً . هل من الممكن ألا أمسك بالقلم بعد الآن أبداً ؟ نعم .. إن لم اكتب سأهلك . إننى أفضل خمسة عشر عاماً من السجن ، شريطة أن يكون القلم فى يدى .

«دوستويفسكى»

أن تكون أنت

● أن تكون نفسك الحقة فى فعلك .. مثلما تكون الأم فى طفلها : هذا هو مبدأ فضيلتك .

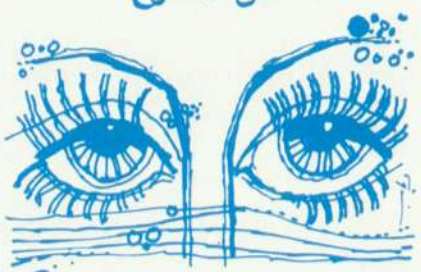
«نيتشة»

الحرب دائماً

● نهار وليل . شتاء وصيف ، حرب وسلام . شبع وجوع . وتعم الحرب ، وينشب الصراع بين جميع الأشياء . وينشأ كل ما فى الوجود بمقتضى الصراع والتنازع . فالحرب هى أم الأشياء وملكتها جميعاً . تجعل البعض أساطير وأبطالا . وتجعل البعض الآخر بشراً . وتحيل البعض عبيداً . كما تجعل غيرهم أحراراً .

«هيراقليطس»

عن المسرح



● المسرح مدرسة دموع وضحك ومنبر حر يستطيع الناس فيه أن يفضحوا الأخلاق البالية أو ذات الوجهين ، وأن يقدموا بالأمثلة الحية نماذج خالدة للقلب الانسانى والشعور الانسانى .

● المسرح واحدة من أقوى الأدوات وأكثرها نفعاً فى تربية الأمة . وهو البارومتر الذى يدل على عظمتها أو انحطاطها . إن مسرحاً حساساً موجهاً توجيهاً حسناً فى أقسامه كلها من التراجيديا الى الفودفيل ، يستطيع أن يغير وعى الشعب فى بضع سنوات . مثلما يستطيع مسرح مزعزع تحل الحوافر فيه محل الأجنحة أن يحط ويخدر أمة بأسرها .

● أيها الأصدقاء : إننى أسمع كل يوم نقاشاً عن أزمة المسرح . وإننى لأفكر دائماً بأن المشكلة إنما هى مرض مستعص . فمادام الممثلون والمؤلفون فى أيدى مؤسسات تجارية بحتة ، لا حدود لها ولا قيود . ولا تخضع لأية رقابة أدبية وفنية . مؤسسات تجهل أى معيار وليس فيها ضمان من أى نوع . فان الممثلين والمؤلفين والمسرح كله سوف ينحدرون يوماً إثر يوم دون أى أمل فى الخلاص .

«جارسيا لوركا»
مدريد عام ١٩٣٥

د. حسن عيسى عبد الظاهر





خريطتان فى الأولى موقع نهر النيجر .. وفى الأخرى نرى البلاد التى يمر بها النهر

نهر النيجر
شريان حضارة الإنسان
بين الصحراء والغابة!

للأنهار أثرها البشرى والحضارى فى توجيه الشعوب وتوحيدها وحركاتها وحضارتها . أما فى النهر كله ، أو فى الجزء الأعظم من مجراه ، فاننا نجد ذلك واضحاً عند ثنية « النيجر » أو منحناه الكبير . إذ قامت على شواطئه الوسطى أمم ودول وممالك ومدن اسلامية ، أضاء منها نور الاسلام على ظلام القارة الأفريقية .

هذه صفحة من قصة الحضارة فى غرب افريقيا ، ترتكز على نهر ومدينة ..

أما النهر فهو (نهر النيجر) ، وللأنهار كلها أو جزؤها قصتها الحضارية ، وأثرها القوى فى الانسان ، وتوحيد قوى الشعب وتوجيهها فى حركتها ، وحياتها ، قديماً وحديثاً يحكى قصة الماضى ويوضح حقيقة الواقع فى أكثر من دولة تشغل التاريخ الحديث وترسم خطوط المستقبل .

وأما المدينة : فهى مدينة (تنبكتو) بين الصحراء والغابة على رأس نهر النيجر عند ثنيته الكبرى ؛ (ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء العابدين ، ومألف الأولياء والزاهدين ، وملتقى الفلك والسيار) أقامها الاسلام منارة فكانت ملتقى حضارى وثقافى واقتصادى هناك ..

من الرحلات الاسلامية

وعبر ثلاثة قرون من الزمان (الثامن والتاسع والعاشر) هـ ـ (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر) م عاش كل من النهر والمدينة تحت ظل نفوذ اسلامى مثلته سلسلة من الدول والممالك الاسلامية أبرزها (مملكة مالى) الاسلامية ..

ومع صحبة رحالتين افريقيين مسلمين من رواد الرحالين العالميين مبكراً وهما :

● الرحالة : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى البربرى المعروف بابن بطوطة الذى طاف بمعظم أرجاء العالم الاسلامى ـ ومنها حوض منحنى النيجر ـ ودون رحلاته تلك التى استغرقت ما يقرب من عشرين عاماً فى كتابه المسمى (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ..

● والرحالة الثانى هو : الحسن بن محمد الوزان الذى ولد فى أسرة عربية فى مدينة (غرناطة) حوالى سنة

١٤٩٤ م ، ونشأ وتربى فى (فاس) ، ثم وقع أسيراً فى أيدى القراصنة الأوربيين سنة ١٥١٨ م وقدم هدية للبابا (ليو العاشر) الذى لمح فيه المقدرة والكفاءة فضمه للمجلس البابوى ، ثم قام برحلات واسعة فى افريقية ، وعاش الحسن بقية عمره فى (تونس) أحسن ما يكـــون اسلاماً ..

رحلة ابن بطوطة

ومن خلال رؤية هذين الرحالتين سوف نطل على بعض جوانب فى تلك الحقبة على ضفاف النيجر ومدينة (تنبكتو) ..

أما (ابن بطوطة) فقد بدأ رحلة شاقة الى بلاد السودان الغربى وحتى منحنى نهر النيجر وما بعده ..

بدأها فى غرة المحرم سنة ٧٥٣ هـ ـ ١٣٥٢ م من (سجلماسة) أول عمالة السودان الغربى فى مرحلة أولـــى استغرقت خمسة وعشرين يوماً حتى (تغازى) ، ودون لنا من عجائب (تغازى) كيف أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة وسقفها من جلود الجمال ... وبالملح يتصارف كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ، ويتبايعون به ، وقد أقام بها عشرة أيام فى جهد .... ثم وصل الى (تاسر هلا) وهى إحساء ماء تنزل القوافل عليها ويقيمون ثلاثة أيام ... ومن هناك يبعث (لتكشيف) ـ أى كشاف للطريق والقوافل.

وصل الى مدينة (إيوالاتن) فى غرة شهر ربيع الأول ـ أى بعد شهرين كاملين من خروجه من سجلماسة ـ وأقام بها خمسين يوماً نادماً على قدومه اليها ناعياً عليهم لسوء أدبهم ، واحتقارهم للأبيض كما يقول ؛ ويذكر أنها شديدة الحر ... وثياب أهلها حسان مصرية ، وشأن هؤلاء القوم عجيب ، وأمرهم غريب ، ولا ينتسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب الى خاله ..

ولما عزم على السفر الى (مالـــى) ـ وبينها وبين إيوالاتن مسيرة أربعة وعشرين يوماً ـ اكترى دليلا وقطع المسافة عبر طريق كثيرة الأشجار وأشجارها ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة الواحدة منها ، وبعضها قد أستأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكأنها بئر ويشرب الناس من الماء الذى فيها ، ...

والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ، ولا إداماً ، ولا ديناراً ، ولا درهماً ، وإنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج ..

صورة من الواقع

وبعد أن سار ابن بطوطة عشرة أيام من (إيوالاتن) وصل الى قرية (زاغرى) وهى قرية كبيرة يسكنها تجار السودان الغربى ويسمون (ونجراته) ، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب (الاباضية) من الخوارج ويسمون (صغنغو) ؛ والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم (توری) ،..... ثم سار من (زاغرى) .... (فوصلنا الى النهر الأعظم) وهو النيل وعليه بلدة (كارسخو) ... والنيل ينحدر منها الى (كابرة) ثم الى (زاغة) ، ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك (مالى) ؛ وأهل (زاغة) قدماء فى الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ؛....

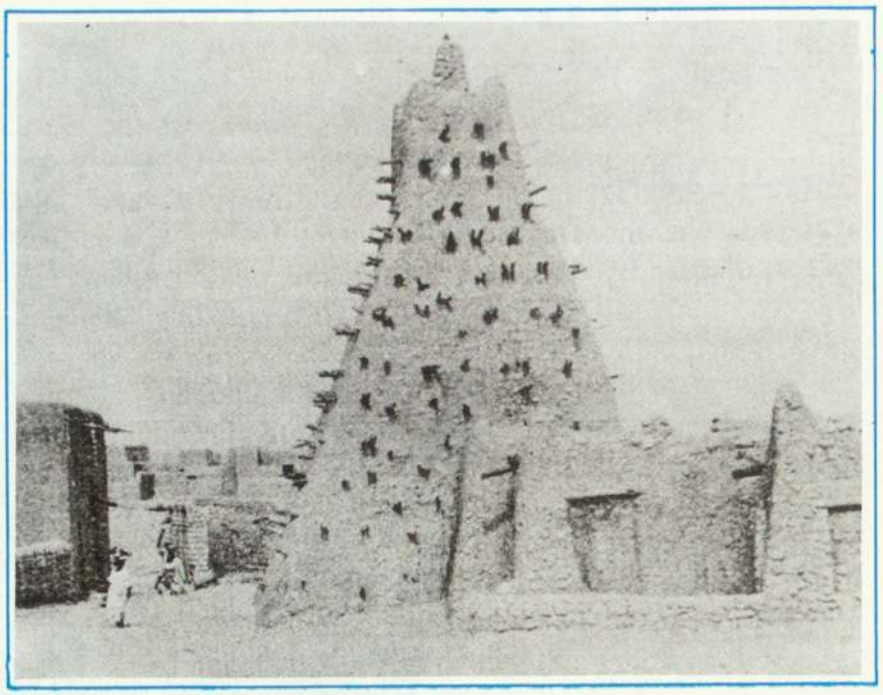
ثم ينحدر (النيل) من (زاغة) الى (تنبكتو) ، ثم الى (كوكو) ثم الى بلدة (مولى) من بلاد الليميين وهى آخر عمالة (مالى) ، ثم الى (يوفى) وهى من أكبر بلاد السودان ـ الغربى ـ وسلطانها من أعظم سلاطينهم ، ولا يدخلها الأبيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول اليها .

ثم ينحدر (النيل) الى بلاد النوبة .. ثم الى (دنقلة) وسلطانها يدعى بابن كنز الدين أسلم على أيام الملك الناصر .. ثم ينحدر الى جنادل وهى آخر عمالـــة السودان ، وأول عمالة (أسوان) من صعيد مصر ، !!!! كذا ...

ورأيت التمساح بهذا الموضع من النيل (اى عند كارسخو) بالقرب من الساحل كأنه قارب صغير ، ولقد نزلت يوماً الى النيل لقضاء حاجة فاذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بينى وبين النهر تعجبت من سوء أدبه ، وقلة حيائه وذكرت ذلك لبعض الناس ، فقال : إنما فعل ذلك خوفاً عليك من التمساح فحال بينك وبينه ؛ ... ثم سرنا من (كارسخو) . فوصلنا الى نهر (صنصرة) وهو على نحو عشرة أميال من (مالى) . وعادتهم أن يمنع الناس من دخولها إلا باذن ... فلما وصلت الى النهر المذكور جزت فى (المعدية) ، ولم يمنعنى أحد ، فوصلت الى مدينة (مالى) حضرة ملك السودان ـ الغربى ـ ...

وكان دخولى اليها فى الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ٧٥٣ هـ ، وخروجى عنها فى الثانى والعشرين من المحرم سنة ٧٥٤ هـ ...

وقصدنا طريق (ميمة) فوصلنا الى



صورة لجامع سانكورى فى تمبكتو فى القرن الخامس عشر .

نهر النيجر
شريان حضارة الإنسان بين الصحراء والغابة

خليج كبير يخرج من (النيل) لا يجاز إلا فى المراكب ، وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر احد به إلا بالليل ؛ ووصلنا الخليج ثلث الليل ، والليل مقمر ؛ ولما وصلناه رأيت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة فعجبت منها ، وظننتها فيلة لكثرتها هنالك ، ثم إنى رأيتها دخلت فى النهر فقلت لرفيقى (أبى بكر بن يعقوب) ما هذه الدواب ؟ فقال : هى خيل البحر خرجت ترعى فى البر وهى أغلظ من الخيل ولها أعراف وأذناب ورؤوسها كرؤوس الخيل وأرجلها كأرجل الفيلة ، ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا (النيل) من (تنبكتو) الى (كوكو) وهى تعوم فى الماء ، وترفع رأسها ، وتنفخ ، وخاف منها أهل المركب فقربوا من البر لئلا تغرقهم ، ولهم حيلة فى صيدها حسنة وذلك أن لهم رماحاً مثقوبة قد جعل فى ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس بها فان صادفت الضربة رجله أو عنقه أنفذته وجنبوه بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه ، ويأكلون لحمه ، ومن عظامها بالساحل كثير ..

وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى : (فربا مغا) وهو ممن حج مع السلطان (منسى موسى) ... ويحكى (فربا مغا) أنه لما وصل السلطان الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يعرف بالدكالى ـ وحدث منه ما دعا السلطان الى أن نفاه الى بلاد الكفار الذين يأكلون لحم بنى آدم فأقام عندهم أربع سنين ، ثم رده الى بلده ، وإنما لم يأكله الكفار لبياضته لأنهم يقولون إن أكل البيض مضر لأنه لم ينضج ، والأسود هو النضيج ..

ثم رحل ابن بطوطة من هذه القرية التى عند الخليج فوصل الى بلدة (قرى منسى) ... ثم سافر منها الى مدينة (تنبكتو) وبينها وبين النيل أربعة أميال ...

(ومن تنبكتو) ركبت النيل فى مركب صغير منحوت من خشبة واحدة ، وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشترى ما نحتاج اليه من الطعام والسمن بالملح.

ثم سرت الى مدينة (كوكو) وهى موينة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها .. ثم سافرت منها برسم (تكدا) فى البر مع قافلة كبيرة ... ثم وصلنا الى بلاد (برادمة) وهى قبيلة من البربر ...

الزحام فى المساجد

ولم يفت ابن بطوطة أن يسجل كثيراً من ملاحظاته ومشاهداته عن المجتمع هناك عند ثنية النيجر ... فيقول عن الشعراء هناك :

(وإذا كان يوم عيد جاء الشعراء ـ حيث تقام الاحتفالات أمام السلطان ـ ويسمون الجلا واحدهم (جالى) وقد دخل كل واحد منهم فى جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق ، وجعل لها رأس من الخشب لها منقار أحمر كأنه الشقشاق ويقفون بين يدى السلطان بتلك الهيئة المضحكة فينشدون أشعارهم ، وذكر لي أن شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان إن هذا البنبى الذى عليه جلس فوقه من الملوك فلان وكان من أحسن أفعاله كذا ، وفلان وكان من أفعاله كذا ، فافعل أنت من الخير ما يذكر بعدك ، ثم يصعد كبير الشعراء على درج البنبى ، ويضع رأسه فى حجر السلطان ثم يصعد الى أعلى البنبى فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ثم على كتفه الأيسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل ،وأخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديماً عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه) ....

ومن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم (الحاج) لا يسامح أحداً فى شىء منه ....

ومنها : شمول الأمن فى بلادهم ـ الاسلامية ـ فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ، ولا غاصب ...

ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة وإنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه ...

ومنها مواظبتهم على الصلوات والتزامهم لها فى الجماعات ... وضربهم أولادهم على تركها ..

وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلى لكثرة الزحام ... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة .. ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ...

ومنها : عنايتهم بحفظ القرآن العظيم ويجعلون لأولادهم القيود فى أقدامهم إذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ...

● اعتقد ابن بطوطة أنه نهر النيل ولكن "مانجو بارك" أثبت أنه نهر النيجر



الحصاد على شاطىء النهر فى نيجيريا



الموسيقى والألحان على طول النهر

النهر العظيم

وهكذا كان (ابن بطوطة) أول رحالة جاب الصحراء الافريقية الكبرى ووصف مشاهداته فيها ، وزار (مملكة مالى) على نهر النيجر والتى خلفت (مملكة غانة) والتى امتدت حدودها عليه حتى مدينة (جاؤ) .

أما النهر الذى تحدث عنه ابن بطوطة فهو (نهر النيجر) وقد حسبه أنه (نهر النيل) وقد ظل كل الرحالة من بعده يعتقدون ذلك حتى أثبت (مانجو بارك) سنة ١٧٩٥ م أن لاصلة بين نهر النيجر ، ونهر النيل ...

وحديثه عن الخيل التى تكون فى (النيل) ـ يعنى النيجر ـ إنما يعنى بها (أفراس النهر) .. وركوبه هذا النهر فى بعض انتقالاته يعطينا فكرة عن النقل النهرى آنذاك ، كما وصف المراكب التى كانت مستعملة آنذاك ..تلك صفحة الماضى أما حاضره فيشغل واقع أكثر من خمس دول افريقية منها سيراليون وغينيا ومالى والنيجر ونيجيريا . تصنع الآن حضارة الانسان فى غرب افريقية أما ما هى حقيقة هذا النهر وحقيقة معالمه على ضوء ما تم اكتشافه منه بعد ذاك فذاك يستدعى رحلة جادة نتابعه فيها من منابعه الى مصبه فى غرب افريقية من بين جبال متناثرة الى رمال وصحارى مترامية الى مستنقعات آسنة الى محيط كان يسمى يوماً ما (بحر الظلمات) ..

يبدأ نهر النيجر رحلته من منابعه من هضبة (فوتا جالون) ؛ وهذه المنطقة تمتد من جهات غينيا الداخلية فى الشمال عبر سيراليون وليبيريا الى قرب حدود ساحل العاج الساحلية . وهى منطقة مدارية جوها حار مشبع بالرطوبة ، ونباتاتها أكثر غزارة وضخامة ، وحيواناتها مدارية كذلك ...

ومن هذه الهضبة ينبع نهر السنغال رابع أنهار افريقية الكبرى و (نهر النيجر) يتجه الى الشمال ثم الى الشرق ، ثم الى الجنوب محفوفاً بروافد فى أكثر من جهة طوال رحلة طويلة تبلغ (٢٦٠٠) ميل.

ونهر النيجر من أوضح معالم غربى افريقية ، وثالث أنهار القارة بعد نهر النيل ، ونهر الكونغو ،

وقد عرف قديماً وحديثاً ، وفى المراجع العربية والافريقية والافرنجية التاريخية منها والجغرافية بأكثر من اسم ..

ففى المراجع العربية عرف باسم (النيل) كما ذكره ابن بطوطة وغيره ..

وعرف بنيل السود .

وله اسماء محلية أكثرها شيوعاً اسم (جوليبا) بلغة الماندنجو ، ومعناها (النهر العظيم) ..

ويسميه الطوارق (نجير نجيرو) أى نهر الأنهار ..

رحلة النهر

والجغرافيون وهم يقسمون مجرى النهر الواحد الى ثلاثة أقسام أعلى وأوسط وأدنى يجعلون لكل منها خصائصه ...

ويمكن ملاحظة ذلك ومتابعته فى (نهر النيجر) من منابعه الى مصبه على الصورة التالية :

١ ـ نهر النيجر الأعلى : وينبع متدفقاً من مرتفعات (فوتا جالون) على حدود سيراليون وغينيا من منطقة تبعد حوالى (١٥٠) ميل عن المحيط الأطلسى . ويسير من الجنوب الغربى حتى الشمال الشرقى على مقربة من الموقع الحالى لمدينة (تنبكتو) على المنحنى الكبير (ثنية النيجر) ..

٢ ـ نهر النيجر الأوسط : ـ ويعرف محلياً باسم (كوارا) ..

وهو امتداد للنيجر الأعلى من عند أقصى امتداده شمالا عند تنبكتو حيث يأخذ فى انحناء كبير نحو الشرق تماماً حتى (جاؤ) ، وهناك تحده الصحراء الكبرى من الشمال ، واحياناً من الجانبين ؟!.

ثم عند (توساييى) ينحنى نحو الجنوب الشرقى داخلا فى بلاد الهوسا ، وفيها وعند انتهاء المنطقة الصحراوية يتصل به أول رافد له وهو نهر صكتو ثم نهر زاكفارا ، ثم نهر كادونا ...

٣ ـ نهر النيجر الأدنى : ـ ويبدأ عندما ينحرف (النهر) الى الجنوب حيث يلتقى بأهم رافد له وهو نهر (بينوى) القادم من الشرق من شمال (الكمرون) ،

هذا وكما ذكرنا أن للأنهار أثرها البشرى والحضارى القوى فى توجيه الشعوب وتوحيدها وحركاتها وحضارتها أما فى النهر كله أو فى الجزء الأعظم من مجراه فاننا نجد ذلك واضحاً عند (ثنية النيجر) المنحنى الكبير إذ قامت على شواطئه الوسطى منذ أزمنة أمم ودول وممالك ومدن اسلامية أضاء منها نور الاسلام على ظلام القارة

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر

نَصّ المحاضرة التي ألقاها الشاعر البحريني الكبير
الأستاذ إبراهيم العريّض في جامعة قطر الشهر الماضي

لماذا هذه الصعوبة في فهم الشعر الحديث؟

موضوع محاضرتي اليوم هو الشعر الحديث ، لماذا هذه الصعوبة في فهمه ؟ وبمجرد أن نجعل العنوان للمحاضرة بهذه الصيغة تظهر أمامنا قضايا يثيرها العنوان ، ولذلك قبل أن أبدأ في المحاضرة أعرض عليكم هذه الفرضيات التي سأتناولها وسأبني عليها النتائج .

ما الفرق بين الشعر القديم والشعر الحديث ؟ لقد لاحظت أن الذين يولعون بالشعر القديم بمجرد أن يسمعوا اسم الشعر الحديث يقولون : لا .

الفرضية الثانية هي دلالة الشعر عندما ينشد انشاداً ، وعندما يقرأ قراءة ،وعندما يقرأ صمتاً ، فهل هذه الأساليب في إلقاء الشعر وفهمه خاصة بالعرب كأمة أم هي عامة بالنسبة الى الأمم الأخرى ؟

وعندما يلتقى الشاعر بالجمهور .. هل لخلفية الشاعر أثر إزاء خلفية المستمع ؟ . الفرق بين لغة النثر ولغة الشعر .. اختلاف عبقرية كل لغة في التعبير ؟

آداب ما قبل الحرب الثانية

الى الحرب العالمية الثانية كانت الأمم مستقلة كل منها بتراثها : فالعربي له تراثه ، والصيني له تراثه ، والياباني له تراثه ، وكل منهم مكتف بهذا التراث يتذوقه على أصوله ، ولأن عبقرية اللغات تختلف ، فقد اكتسب التراث في كل لغة من عبقرية تلك اللغة ، ما يقتضيه من المحسنات التي تجعل التعبير أدبياً فنياً ، فالعربي لكون لغته غنية بالأوزان « اسم فاعل ، اسم مفعول ، الفعل الرباعي ، والثلاثي» ، فالشاعر إذا كتب قصيدة وأدخل فيها من القافية أكثر من مائة بيت ، فأنا لا أعتقد أن له فضلا في هذا لأن اللغة هي التي تمده بهذه القوافي بينما في اللغة الصينية ، لأنها تكتب بالصور ، واللغات الصينية شمالا أو جنوباً أو شرقاً أو غرباً تختلف عن بعضها ، فالذي يقرأ هذه الصور يقرؤها كما يتكلم في لغته ، فالصينيان الشمالي والجنوبي عندما يقرآن العبارة وإن كانت بتلك الصور ، كل يستعمل الكلمة الخاصة بلغته ولذلك لا يجوز عند الصيني أن يعول على قافية لأن ما يصح أن يكون قافية عند متكلم ، لا يمكن أن يكون كذلك عند المتكلم الآخر . في اللغة الانجليزية مثلا لو أراد الشاعر أن يتزود بالقافية فاستكثر منها من اثنين الى ثلاثة الى أربعة ، أصبح متكلفاً لأنه يأتي الى كلمة ويقحمها لتأدية معنى معين ، ويجد أن هذا المعنى لا يتأتى بصورة فنية باستعمال تلك القافية . من هنا كل أبناء اللغات اتخذوا معنى للغاتهم من عبقريات وأدخلوا التحسينات في اللغة .

الانفتاح على العالم

هذا ما كان عليه الحال الى الحرب العالمية الثانية . جاءت الحرب هذه فجمعت الناس في مأساة واحدة ، وأصبح الذي في الشرق الأوسط يشعر بالمأساة في الغرب أو الشرق الأقصى ، ووجد الناس أن الشعر الذي يكتب باللغات المختلفة يترجم في المجلات ، وبمجرد أن يترجم نأتي الى هذه الترجمة فنحس أثناء فهمنا من تراث تلك اللغة أشياء كثيرة كنا نجهلها ، وبغض النظر عما يعتبره التراث من حسنات اللغة بالرغم من كل ذلك فان المأساة التي تجلت فيما ينظمه الشعراء في ظروفهم أصبحت عامة بالنسبة للبشرية ، وإذا كان الشاب – إن كان الفيتنامي ، أو الصيني ، أو الانجليزي ، أو الفرنسي ، قد استطاع أن يوصل صوته إلينا ، فما الذي يمنع من أن يوصل أيضاً صوتنا اليهم ؟ والوسيلة الوحيدة الآن لايصال هذا الصوت .. لايصال ما يعانيه الشاعر في أية لغة من اللغات هي : الترجمة ، ولأن الشعر الذي وصلنا وفهمناه في صحفنا ومجلاتنا من تلك المواد مترجماً ، فقد قررنا أيضاً – سواء وعياً أو بدون وعي – أن نتخذ أسلوباً في الشعر يمكن بالترجمة أن يصل الى أسماع من هم من غير العرب .

ضرورة الترجمة

هذه الحقيقة أدركتها أنا عندما دعينا الى مؤتمر الأدباء العرب في القاهرة في عام ١٩٥٦ ، فالقيت محاضرة استشهدت بالشعر الذي آنذاك كان قد عرض في الصحف . وقد تعجبون ان الذي استشهدت به قد مضى عليه أكثر من ربع قرن . وكان صديقي «نزار قباني» قد كتب في ذلك الوقت قصيدة عنوانها «من شاعر سوري الى مواطن أمريكي» ، فهل يتخيل أحدكم أن هذا الشاعر عندما كتب هذه القصيدة ، كان يريدها مقصورة على ألا



ابراهيم العريض

يفهمها غير العرب بمحسناتها وبديعها وبيانها ؟ العنوان يدل على أنه يريد أن تصل هذه الكلمة التى كتبها بلسان العرب الى أسماع الأمريكى ، وكيف تصل ؟ لو كانت منظومة على الطريقة الكلاسيكية لعجز المترجمون عن ترجمتها ، واستنكف الأمريكى أن يلقى نظرة عليها . كانت القصيدة ـ والآن سأتلوها عليكم ـ قد قسمت الى مقطوعات . المقطوعة الأولى يصف فيها بلاده . المقطوعة الثانية يبين سبب كتابته هذه القصيدة الى هذا المواطن الأمريكى . المقطوعة الثالثة يوجه النداء أو الخطاب الى صاحب الأسطول السادس . وفى الفقرة الرابعة يبين الموفود الذى جاء وماذا يريد ، ثم يختم القصيدة . هى ليست قصيدة كلاسيكية ، ولا ننتظر منها ما ننتظر من شعر «المتنبـــى» و «أبي تمام» ، و «البحترى» .

يقول نزار :

من بلد فى الشرق الأوسط أسكنه يدعى سورية .
يتسلق خارطة الدنيا .
كالنحلة فى العش الأخضر .
كرسالة حب مطوية .
من وطنى مخزن نجمات .
يتزحلق فوق الأبعاد .
حلوا كنشيد الانشاد .
كهدايا عيد الميلاد .
من أرض تحت حجارتها .
ولدت كلمات التوراة .
ولدت أفكارى ونواتى .
آتيك اليوم وفوق يدى عصفور وكتاب صلاة .
وبصدرى بعض الكلمات .
من هذى الأرض أناديك .
وأنادى فيك الانسان .
فأنا لا أكره إنساناً .
لكن رئيسك يحسبنى .
هندياً من أوكلاهاما .
مازال يحاول تصويرى للدنيا باللون الأحمر .
إنى عربى لا أكثر ! .
يكره فلسفة الألوان .
يا رب الأسطول الأسود .
دعنى يا رب الرادار .
دعنى لحقولى ولدارى .
لأربى فى السلم صغارى .
من تستعمل فى غزوى .
أسلوب الأزمنة الوسطى .
أسلوب رعاة الأبقار .
بالأمس أتانا موفود .
برداء فقير هندى .

يخفى فى جعبته حية .
يخفى مدية .
بالأمس أتى هذا الخائب .
ليزور تقريراً كاذب .
يا من أوفد إنى لا أؤمن .
لا أؤمن أبداً .
بعطاء المستورد .
فى هذه الأرض أنا السيد .
لن تأخذ شبراً من أرضى .
لن تأخذ شبراً من بيتى .
فالزيت لأصحاب الزيت .
يا من أوفد .
ما عاد الشرق كما تقرأ .
رقصاً وحريماً ونهوداً .
تبغاً وبساطاً ممدوداً .
أنا لن أخدع
لن أخدع بمبادىء عالمنا الحر .
لا تقلق للشرق الأوسط .
فالشرق الأوسط فى خير .
لو ظلك من صدرى يرفع .

فراتها عليكم طويلة حتى أعطيكم نكهة ما يقصده الشعراء عندما يقولون هذا الشعر الحديث الذى لاتجدون فيه القوافى ولا تجدون فيه أوزاناً كما وضح . وإذا عرف السبب بطل العجب .

مثال آخر

كنت أحضرت مثالا آخر لشاعرة عربية ذهبت الى انجلترا أو سكنت فى انجلترا ، وركبت فى القطار ، وصادف أنها أصبحت وحدها فى القطار .. جلس بقربها انجليزى يسافر معها فى القطار . وعندما يجتمع

نزار قباني



المتنبى



ابو تمام العباسى





ابراهيم العريض

لماذا هذه الصعوبة في فهم الشعر الحديث؟

الاثنان ويطول بهما السفر، يلتفت أحدهما للثانى حتى يفتح مجال الحوار .

كانت هذه الشاعرة العربية هى فدوى طوقان الأردنية الفلسطينية . فلما صورت هذه التجربة فى قصيدة ، هل عبرت عنها بالأسلوب الكلاسيكى؟ إنها لو فعلت لكانت قصرت كثيراً فى الوصول الى ما تريد التعبير عنه .

قالت فدوى فى قصيدتها تلك :

طقس كئيب .
طقس كئيب . وسماؤنا أبداً ضبابية .
من أين ؟ .. أسبانية ؟
كلا ! .. أنا من الأردن .
عفواً ـ من الأردن ؟ .. لا أفهم .
أنا من روابى القدس .
وطنى السنا والشمس .
(هى قالت .. وهو فهم ، ولكن ماذا فهم ؟)
يا .. يا .. عرفت .. إذن يهودية !
يا طعنة أهوت على كبدى .
صماء وحشية .
انى من القوم الذين
من الجذور مبعثرين .
ها هنا ، وها هنا
لا ينتمون الى وطن .
حقيقة فيها نغالط النفوس .
ندعى أنا كباقى الآخرين .
قوم لنا وطن .
هيهات ! كيف تعلم .
هنا الضباب والدخان فى بلادكم .
يلفلف الأشياء .
يطمس الضياء .
فلا ترى العيون غير ما يراد للعيون أن تراه .

هل كان ممكناً لشاعرتنا أن تؤدى هذا المعنى لو أرادت أن تنظمه بالأسلوب الكلاسيكى ؟

رسالة صغيرة

وهنا رسالة صغيرة أرجو أن أستشهد بها من شاعر فى الأراضى المحتلة .

أخوه فى بيروت وهو فى الأرض المحتلة كتب له رسالة . وهو يريد لهذه الرسالة أن تفهم من قبل الدول ، من قبل الشعوب والأمم جميعاً لا من قبل العرب وحدهم ، لأن العرب كانوا ينظمون الشعر فى فلسطين ، ومضى عليهم أكثر من نصف قرن وهم قد بدأوا بما نظموه ولم ينتهوا منه . الرسالة . هذه المرة هى رسالة :

أخى الغالى :
اليك هناك فى بيـروت .
«العجيب أنها كتبت قبل ربع قرن ، وأنا عندما أقرؤها أحس أنها كتبت أمس» .
اليك هناك حيث تموت .
كزنبقة بلا جذور
كنهر ضيع المنبع
كأغنية بلا مطلع
كعاصفة بلا عصف
اليك هناك حيث تموت
كالشمس الخريفية .
اليك هناك ، يا جرحى
ويا عارى وساكباً ماء الوجه فى نارى
اليك .. اليك من قلبى المكاظم
جائعاً عارى
تحياتى وأشواقى ولعنة بيتك الباقى .

أنا لا أعتقد أن إنساناً فى الخليج يقرأ هذه القصيدة دون أن يحس بالمرارة التى يحسها الفلسطينى سواء كان فى بيروت أو فى غيرها أو الأمم الأخرى الذين عانوا فراق الأرض .

كانت الفقرة الأولى فى المحاضرة هى : ما الفرق بين الشعر الحديث والشعر القديم ، وأرجو أن يتضح لكم ما هو الفرق؟

دلالة الشعر

نأتى الى الفقرة الثانية : دلالة الشعر عندما ينشد إنشاداً ، عندما يقرأ قراءة ، عندما يقرأ صمتاً .

فيما يتعلق بالشعر الشعبى ، وأنا أعتقد أن هذا الأسلوب أستطيع أن أسميه الأسلوب الافضائى ، لأنه يمكن أن تنشده وتقرأه على الجماهير ، ولذلك فهو بسيط جداً فى الأسلوب الذى ينشد الشعر إنشاداً والانشاد يتصوره بعض الناس خاصاً بالعرب . ولكن الانشاد غير خاص بالعرب ، الشعر يتلوه الانجليزى بطريقة خاصة ، ويتلوه الهندى بطريقة خاصة ، ويتلوه الفرنسى بطريقة خاصة ، وكان شعراؤنا أيضاً فى الماضى ينشدونه انشاداً ، لا أدرى ان كنتم تريدون أن أعطيكم بعض الأمثلة عن كيف ينشد الشعر فى اللغات الأخرى .

إذن ، الانشاد له دلالة ، عندما ينشد الشعر يبعث فى النفس نوعاً من الاطمئنان ، نوعاً من الانسجام مع الطبيعة يجعل الانسان يشعر أن الحياة هادئة حوله ، ولكن اذا أحس الشاعر أن الحياة غير هادئة حوله ، وأنها مبعث قلق ، وأنه يعانى من هذا القلق ، فلابد له من نقل جو القلق الذى يعيش فيه فى شعره ، وعند ذلك يذهب الانشاد وتذهب حتى القراءة الناطقة ، ويقتصر الشعر على القراءة الصامتة لأن التشكيلة التى يقوم عليها الشعر ستكون مبنية على دلالتها ، على القلق ، فيأتى عندئذ الشعر غير موجه الى الجمهور وإنما موجه الى الذات .

الناس يتصورون أن الشعر الحديث يحمل طابعاً واحداً ، أنا أريتكم ما يحمل طابع البساطة ، ما يحمل صفة كونه قابلا للترجمة . وهناك فى الشعر الحديث اللون الثانى الذى لا تستطيع أن تنشـــده ولا تستطيع أن تقرأه على الناس ، ولا تستطيع إلا أن تقرأه صامتاً بينك وبين نفسك . من هذا النوع أتيكم بشاهدين كلاهما لشاعر فى حالة واحدة ، هو يتحدث عن محبوبة كان يحبها . لكن هذه المحبوبة بعد أن اعتمدت عليه لكى يرتفع شأنها فى بادىء الأمر ركبت رأسها فيما بعد .

والقطعة الثانية يتكلم فيها عن زوجته باعتباره انساناً محترماً ، عندما يتقدمه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، يراه الناس زوجاً مثالياً ولكنه فى قصيدته التى كتبها يبين أن وراءه ما وراءه . هذا الأديب وهذه القطعة مضى عليها أكثر من ٣٠ سنة .

يلتفت فى القطعة الأولى الى هذه التى



فدوى طوقان



ابراهيم طوقان

كانت معشوقته ، ثم أخذت تتصرف تصرفاً غير الذى كان ينتظره منها :

حقيرة أنت ـ خلعت عليك المجد فكنت .
وأشع الغرور من مقلتيك ومن كل عبق فاح منك .
أيها الصنم الذى خلقت .
خسئت الرفعة فلست منها .
من بقايا الشجون وثمالة الكأس وأطراح دمى .
جبلت الوهم ظمآنا ، وقلت له كن .. فكنت
ما أنت ؟ . من أنت بربك ؟ من أنت ؟ ..
وقف الصدى عن ترجيع صلاتى .. فكنت ! .

وأما القطعة الثانية بالنسبة الى زوجته ، فعنوانها (وفاء) وتأكدوا أن هذه القطعة لا يمكن أن تنشد شعراً جمهورياً ، لأن القصد هو شعر إيحائى ذاتى :

لم أحببك يوماً .. بل أحببت فيك نفسى .
وانعكاسات رؤاى الحالمة .
وأعرف اننى فى خاطرك لم أك غير انتقام لحب أضعته .
وعشنا معاً فتالفت منا أسطورة .
غصت بها روحانا ألماً
وعرفتنا الدنيا أنشودة خالدة
فيا لهوان الهوى
لست لي
ولم أكن لك
سأذهب وتذهبين غريبين عاشا معاً

وأبقيا من بعدهما أكذوبة .

توافق الشاعر والجمهور

المشكلة عندما يتحدث أحدنا عن الشعر .. هو يعنى أن الشاعر الذى يفضى ويتلو وينشد قصيدة له خلفية ، وفى الوقت نفسه الجمهور الذى يتلقى ويستمع اليه له خلفية أيضاً . فاذا كانت الخلفيتان متساويتين استراحت .

واذا اختلفت خلفية جانب عن خلفية الجانب الثانى حصلت المأساة ، فانئذ لا الشاعر يستطيع أن يخلق اتصالا بالجمهور ، ولا الجمهور يستطيع أن يفهم ماذا يريد الشاعر .

فى ظهيرة اليوم كنا نحن الاخوين مجتمعين ، وجاء الكلام على شعر المناسبات . يتصور بعض الناس أن شعر المناسبة هو شىء يزرى ، أو أنه شىء يؤخذ على الشاعر ، لا ! .. أنا أعتقد أن كل شعر هو شعر مناسبة ، لكن يختلف ماذا تقصد المناسبة ، اذا كان هذا الشاعر يتصور أنه إذا تأتت المناسبة فعليه أن يقدم للجمهور ما يريده هو ، ما يتوقعه الجمهور فى مثل هذه المناسبة حسب خلفيته المحدودة . هذا خطأ . المناسبة تقتضى أن يقول هو ما يتوقع منه ، لا ما يتوقع منه الجمهور ، لأن الجمهور عنده فكرة أن الشعر هو للطرب ، أو أن الشعر هو للحماس ، أو أن الشعر هو للتصفيق .. هكذا يفهم الجمهور اذا كانت خلفيته محدودة ، أما اذا كانت المناسبة والشاعر واع ، فيجب أن يقدم للجمهور ما يتوقعه هو فى حدود معرفته ، وفهمه . أيها الشاعر قدم له ما يتوقع منك أنت كانسان واع .

هنا شاعر فى مناسبة قدم أبياتاً وهى أبيات نظمها فى المناسبة ، وستتعجبون اذا قلت لكم انها أبيات مضى عليها نصف قرن ، واذا سمعتموها ربما تتصورون أنها كتبت أمس .

عنوان القصيدة هو : الى الزعماء والشاعر هو : ابراهيم طوقان رحمه الله .

اخترت منها أبيات موجهة الى الزعماء :

أنتم المخلصون للوطنية
أنتم الحاملون عبء القضية
أنتم العاملون من غير قوم
بارك الله فى الزنود القوية
وبيان منكم يعادل جيشاً
بمعدات زحفه الحربية
اجتماع منكم يرد علينا
عابر المجد فى فتوح أمية
ما حجدنا أفضالكم غير أنا
لم نزل فى نفوسنا أمنية
فى يديكم بقية من بلاد
فاستريحوا كيلا تطير البقية

لاحظتم فى الشعر الحديث الأسلوب الافضائى والأسلوب الايحائى والأسلوب الايحائى يقوم على الرموز ، واذا فهمت دافع الشاعر وحالته وظروفه فهمت الشعر . والثانى هو الشعر البسيط الذى يفترض فيه إذا كان يقصد منه أن يكون شعراً حديثاً قابلا للترجمة ، أما اذا أدخلت فيه عنصر الغموض أدبرت الغرض منه .

أعتقد أن هذا يكفى . ولكن قبل أن أختم كلمتى أريد أن أقول جواباً على السؤال فى عنوان المحاضرة «لماذا هذه الصعوبة فى فهم الشعر الحديث ؟» أعتقد أن الجواب هو أن كثيراً من الناس ممن يتصورون أن الشعر صنعة ، عندما يأتون الى الشعر الحديث يرون أن مستلزمات الصنعة قد أزيلت من طريقه ، وسهل وعبد لهم ، هم لا يذكرون الهدف القائم وراء هذا الشعر الحديث سواء فى أسلوبه الافضائى ، أو فى أسلوبه الايحائى ، وإنما يتصورون أن هذا الشعر الحديث هو شىء يكتب لا يتطلب وزناً ، ولا يتطلب قافية ، فلماذا لا أحاول ؟ .. هذه واحدة .

والأسلوب الايحائى لأن هناك ومضات رمزية تدل على العاطفة من ورائها ، وقلق الذات من ورائها ، فهم يتصورون أنه اذا أتوا بالتركيبات الغامضة قربوا من الشعر الحديث ، وفى ذلك الجواب على السؤال «لماذا هذه الصعوبة فى فهم الشعر الحديث» ، هو لماذا هذه السهولة فى تناول الشعر الحديث ؟!

ابراهيم العريض

الموهوبون فقط كانوا أصحاب الحق في الالتحاق بها دون شرط آخر
ومن هؤلاء فنانون تدوي أسماؤهم في العالم التشكيلي الآن

جمال قطب

قصة أول مدرسة للفنون الجميلة في الوطن العربي

هذه قصة أول مدرسة للفنون الجميلة فى العالم العربى . وقد تم إنشاؤها منذ ٧٣ عاماً ، حيث لم يكن فى العالم العربى كله أى اعتراف بالفنون التشكيلية أو بصلاحيتها لأن تكون موضوعاً للدراسة مثل سائر الموضوعات الأخرى .

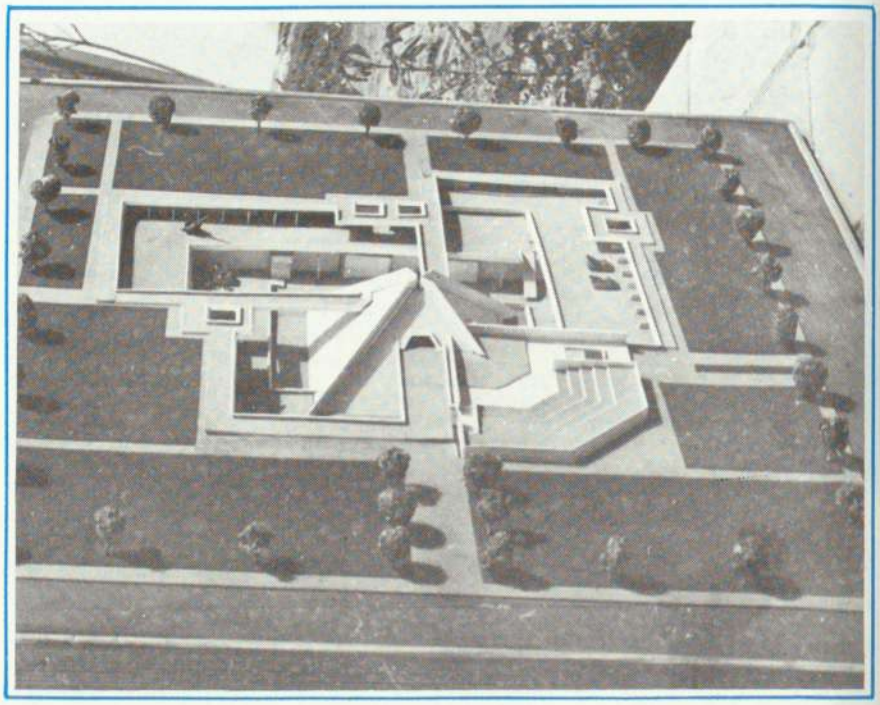
وقد أثارت هذه المدرسة منذ إنشائها مشكلة دقيقة هى : هل يخضع طالب الفنون الجميلة لما يخضع له طالب الكيمياء والهندسة والطب من درجات وقيود ؟ وكان الرأى الغالب أن الفن فوق القيود . وأن دراسة الفن لا يجوز أن تخضع لضرورات المجموع ولوائح الروتين الجامعى والجرى وراء الدرجات العلمية المستحدثة التى تبدو غريبة المذاق على الفن والفنانين . ولا نتصور أن الدكتور « بيكاسو » أو الدكتور « سلفادور دالى » أو الدكتور « محمود مختار » كانوا سيقبلون بهذا التعريف عوضاً عن اللقب الخالد وهو : الفنان !

لقد مر الفن بمراحل تاريخية متعاقبة ، كانت له أهداف تحكمها الظروف البيئية والاجتماعية ؛ ففى العصور البدائية ، عبر الانسان الفنان ـ وفى داخل كل إنسان فنان كما يقول علماء النفس ـ عن معاناته وصراعاته اليومية مع الوحوش الضارية وقسوة الطبيعة ، بما يشبه الطقوس والسحر لأغراض اتقاء ودرء الأخطار المحيقة به ، ولذلك كان الفن فى تلك العهود السحيقة تفاعلا وانفعالا وتعبيراً عن غايات ومتطلبات ملحة لاستمرار الحياة .

وكنتيجة للتطور الطبيعي ، تكونت المجتمعات فى الوديان حول مصادر المياه وعلى ضفاف الأنهار ، وسيطرت النزعات الروحية متجسدة فى ديانات ومقدسات شتى ، وصار للفنان الدور الأساسى فى تجسيد وتخليد هذه المعتقدات كما رأينا فى الحضارة الفرعونية ، وأصبح إبداعه وقفاً ـ تقريباً ـ على خدمة هذه الأغراض السامية ، ثم تشعبت الاهتمامات بعد ذلك فى القرون الوسطى تبعاً لتطور المجتمعات وتعدد احتياجاتها ، وظهرت الفنون التطبيقية لأغراض الحياة ، وصار الفن مواكباً للحياة العامة وخدمة المجتمع . وكانت الفنون الاسلامية أبرز سمات هذه النهضة الابداعية في الاستخدامات النافعة ، حيث ركزت على الجوانب الذهنية أكثر من تركيزها على الجانب الوجداني ، وأصبحت الفنون التطبيقية الاسلامية هى الرائدة فى العالم المتحضر آنذاك ممثلة في العمارة ، والصناعات المعدنية والخشبية ، والخزف والنسيج والزجاج والمخطوطات وغيرها من متطلبات الحياة اليومية ، ولذلك ، كان الرأى القائل « بأن أبرز سمات الحضارة الاسلامية هو الفن » حقيقة لاجدال فيها ، لأن لمسات الفنان الواعية ، قد أضفت على كل مرافق الحياة ثوباً رائعاً من الذوق الرفيع .

عصور الاندحار

وبانتهاء الدولة العثمانية التركية منذ نحو مائتين وخمسين عاماً ، اندثر عقد الابداع العربي الاسلامي كمدرسة فنية منظمة لها أصولها وجذورها ، ووقعت الأقاليم العربية فريسة لأطماع المستعمرين ، وخضعت للتأثيرات الفنية الوافدة ، وبذلك تفتت الاصالة والطابع المميز . وفى الحقيقة ، فان هذا التفتت قد حدث من قبل ، وبالتحديد منذ عام ٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م ، عندما انتزع سليم



مشروع متحف الحرب والسلام



صلاح نايل



محمود مختار



جمال السجيني

الأول مصر وسوريا من المماليك ، واتسعت الامبراطورية العثمانية فى أواسط القرن السادس عشر الميلادى فشملت جنوب شرق أوربا بالاضافة الى العراق والشام ومصر ، وكان (محمد الفاتح) قد استولى فى عام ١٤٥٣م على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ومركز الآثار البيزنطية (الرومانية الشرقية) ، فتأثرت الفنون الاسلامية بهذه الآثار ، وظهر على يد الاتراك طراز فني هو ملتقى تيارات مختلفة : تيار بيزنطى ظهر فى فن العمارة ، وآخر إيرانى كان له أثره فى الخزف والنسيج والتصوير ، وثالث أوربي كالأعصار العنيف . غزا الأمبراطورية العثمانية فى القرن السابع عشر ، عندما توثق اتصال الحكام العثمانيين بالبلاد الأوربية ، وقد امتدت تأثيرات هذه الأساليب ـ وبخاصة الأوربية منها ـ الى جميع مراكز العالم الاسلامي التابعة للدولة العثمانية مثل القاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، وتونس ، والجزائر .

وبانتهاء الدولة العثمانية فى عام ١١٣٤هـ ـ ١٧٣٠م ووقوع بلادنا العربية فى مناطق النفوذ الغربي تحت سيطرة الاستعمارين البريطاني والفرنسى بصفة خاصة ، لم تستطع الحركة الفنية العربية أن تنهض وتشق طريقها لتنافس المدارس الغربية التى تالقت فى أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .. وأصبحنا ندور فى فراغ ! .

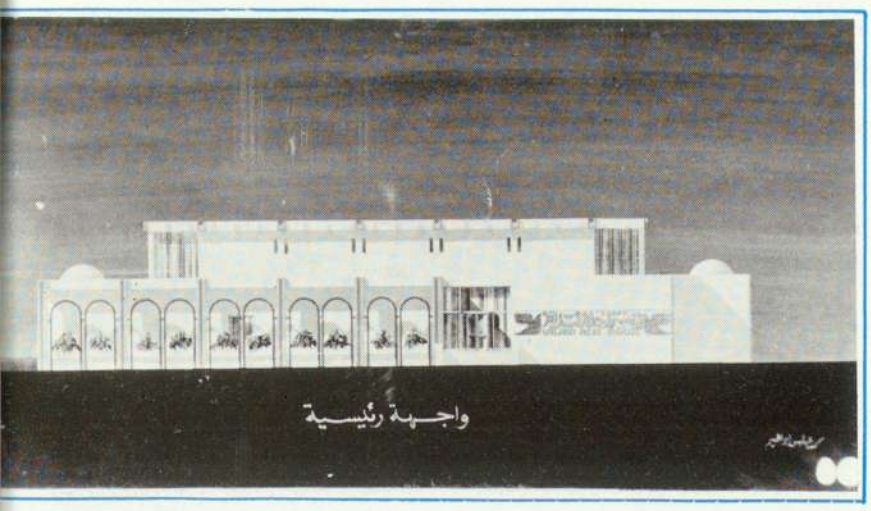
وكانت مصر طوال تاريخها العربي الاسلامي ، ومنذ أيام الفتح الأولى ، مصدر اشعاع فكرى فى المنطقة العربية والاسلامية بوجه عام ، وشهدت عصوراً ذهبية رائعة فى مجال الفن فى العهدين الفاطمي والمملوكى وغيرهما ، حتى أقدم السلطان سليم الأول على تلك الهجمة الشرسة اللاأخلاقية ، حيث أفرغ البلاد المصرية من الفنانين والصناع المهرة وأرسل بهم الى الآستانة ، وباندحار الامبراطورية العثمانية التركية ، توالت النكسات على الوطن العربي ، وتعثرت الحركة الفنية المصرية ، وظلت تبحث عن هوية قومية دون جدوى .. حتى كان مطلع هذا القرن .

أول مدرسة للفنون الجميلة

كانت المراسم الخاصة التى كونها الفنانون الأجانب والمستشرقون المقيمون فى القاهرة والأسكندرية ، منتشرة على نطاق واسع فى أواخر القرن الماضى ومطلع هذا القرن ، وكانت هذه المراسم كخلايا فكرية تمثل ظاهرة حضارية فى المجتمع المصرى للتطلع إلى آفاق التذوق والمعرفة .. حتى كان الحدث الكبير عام ١٩٠٨م ، عندما أنشأ أحد أمراء الأسرة المالكة المصرية ويدعى الأمير يوسف كمال أول مدرسة للفنون الجميلة فى العالم العربي باسم : مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة . واتخذ من أحد قصوره مقراً لها بحي درب الجماميز بالقاهرة . وعلى مدى السبعين عاماً الماضية ، شهد هذا الصرح الفنى العديد من التطورات والتحولات ، حتى أصبحت كلية الفنون الجميلة ـ حالياً ـ بحي الزمالك تضم عدة مبان فسيحة وحديقة رائعة تزينها التماثيل والأشجار والخمائل ، كما تحتل فى العالم العربي كله منزلة رفيعة فى عالم التالق والابداع الراقى ، وتشمل الكلية العريقة ستة أقسام رئيسية هي : العمارة ـ الديكور ـ التصوير ـ الحفر (الجرافيك) ـ النحت ، والعلوم الانشائية .

كما أن مجلس جامعة حلوان (وهي الجامعة التى تتبع لها الكليات الفنية فى مصر) يمنح ـ بناء على طلب مجلس الكلية ـ الدرجات العلمية والدبلومات المختلفة مثل البكالوريوس ، ودبلوم الدراسات العليا فى الفنون الجميلة ، ودرجة الماجستير ، وكذلك درجة الدكتوراه فى الفلسفة والفنون الجميلة ، وقد يكون لنا بعض التحفظات فى مبدأ انخراط الكلية تحت نظم ولوائح

قصة أول مدرسة للفنون الجميلة في الوطن العربي



واجـهة رئيسـية

الجامعة وقيود الدرجات العلمية ! ويراها البعض بمثابة قيد لا يتفق مع تحرر الفن وانطلاقة الفنان . ورحم الله محمود مختار ـ فنان مصر الخالد ـ عندما قاوم انتماء مدرسة الفنون هذه إلى مؤسسة حكومية ، بل لقد عمل على أن تكون لها استقلاليتها الكاملة بعيداً عن أى قيد أو روتين إلا قيد الهواية والموهبة ! .

استقلالية الفـن ورعاية الموهبة

كان ذلك فى العشرينات ، عندما أصبحت المدرسة تلقى باشعاعاتها على المنطقة كلها ، فارادت الحكومة أن تضمها إلى رعايتها المباشرة أسوُة بباقي المؤسسات الثقافية الأهلية الأخرى . وبالفعل ، فقد أصبحت الجامعة المصرية ـ آنذاك ـ مؤسسة حكومية . وعمل مختار على أن يقتصر الالتحاق بمدرسة الفنون على أصحاب الميول الفنية والموهبة الحقيقية ، وقاوم فكرة الحصول على شهادة الثانوية العامة كشرط أساسى لدخول المدرسة ، وطالب بأن يكون أساس تعليم الفنون الجميلة هو احتضان المواهب المتفتحة ورعايتها وتدريبها فى مدرسة تحضيرية تسبق الدراسات الأكاديمية المتخصصة . وتم لمحمود مختار ما أراد ! وبهذا سبق عصره وخرجت مدرسة الفنون فى الثلاثينات فنانين من الأفذاذ من أمثال جمال السجينى ، وكامل مصطفى ، وحسنى البنانى وعشرات غيرهم . وهذا ما ننادى به اليوم ، وبعد نحو ستين عاماً من نجاح التجربة الرائدة ، أو على أقل تقدير يجب ألا تخضع دراسة الفن لقيود المجموع ولوائح الروتين الجامعي والجرى وراء الدرجات العلمية المستحدثة التى تبدو غريبة المذاق على الفن والفنانين . ولنعلم أن تمثالا أو لوحة ملهمة تبدعها أنامل فنان موهوب ، تتالق فى وجداننا وتتسامى فوق الماجستير والدكتوراه وكل الدرجات الأخرى ! ولا أتصور أن (الدكتور) بيكاسو ، أو (الدكتور)سلفادور دالي ، أو (الدكتور محمود مختار) ، كانوا سيقبلون بهذا التعريف عوضاً عن اللقب الخالد وهو : الفنان ! .

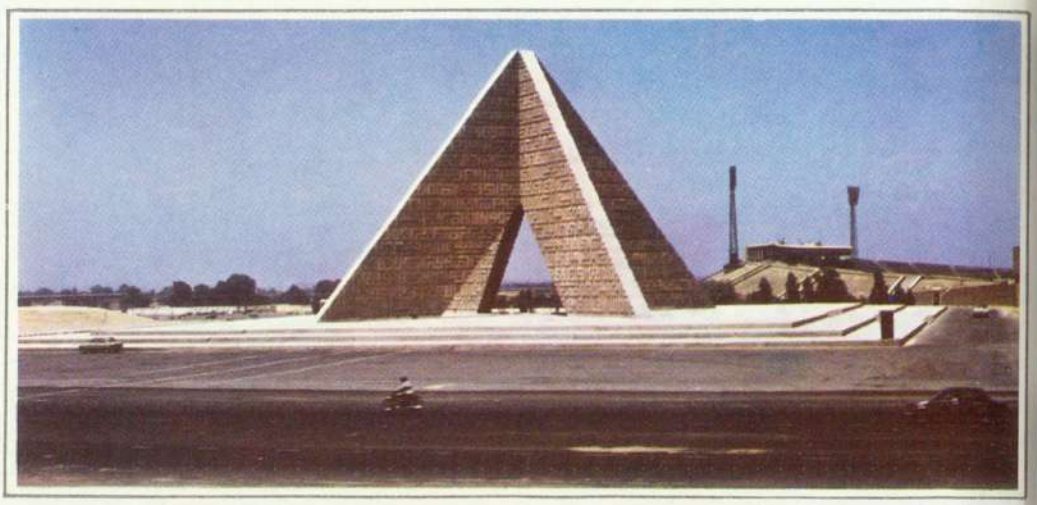
الظاهرة الرائدة

نعود الى هذه المؤسسة الفنية العريقة : كلية الفنون الجميلة بالقاهرة والدور الحضارى لرسالة الفن بصفة عامة فى عصر التطور والتفاعل الاجتماعى فى عالمنـا العربي المعاصر . غالباً مـا تتردد أصداء الصيحات الشاكية الأبدية للفنان المصرى ـ والعربي عموماً ـ من انفصال حركة الابداع عن القاعدة العريضة للجماهير . ولهذه الشكوى ما يبررها ، وقد تناولت المشكلة من جانبى وعالجتها فى خمس مقالات متتالية على هذه الصفحات فى الشهور الماضية ، مبتدئاً من إعداد النشء فى مراحل تعليمه الأولي لتدريب بصيرته على التذوق الفنى بمعناه الشامل ، ومستعرضاً العقبات والمشاكل التى تواجه كلا من الفنان والجمهور ومسئولية كل فريق منهما إزاء الآخر ، ومنتهياً بظاهـــرة عـدم الاهتمام بالمتاحف وقاعات العرض والتية فى خضم المستوردات وفرض الأذواق الوافدة والبعد عن الاصالة والجهل بالتراث وإهمال الجانب الثقافي للفنان ، مما زاد من عزلة الفنان عن مجتمعه وقصوره عن القيام بدوره القيادى فى أوطاننا العربية !

وكانت من المظاهر الملفتة للنظر ، عدم المشاركة الفعلية من الفنان في بناء وطنه والمساهمة فى مشاريعه الكبرى . وأذكر أن هذه القضية بعينها كانت موضوع محاضرة أعدت لها إدارة الثقافة والفنون القطرية ، ركزت فيها على أن مشاركة الفنان فى اقامة مثل هذه المشاريع ، هي عامل نفسى قبل كل شيء يعيد الثقة للفنان ويرفع من معنوياته ، فيشعر بوجوده وأهميته وتأثيره على مواطنيه كأحد القادة الرواد . وهذا التعريف هو ما وضعه (رايلي فور) عندما وصف الفنان فى مجتمعه ولقبه (بالفنان البطل) ! فليس من المعقول أن تظل دور العلم والمؤسسات الثقافية بمعزل عن نبض الجماهير ، غارقة فى دراسات أكاديمية بعيدة عن متطلبات الحياة اليومية !

وأخيراً ، أصبحت كلية الفنون الجميلة ، بكل عراقتها وتاريخها الطويل رائدة في مجال المشاركة العملية وحل المشاكل القومية .

وانه لشيء رائع أن نرى هذه الخلايا الابداعية بكل تخصصاتها الستة تعايش الخطط الانشائية والفنية معايشة كاملة ، وأصبحت مشاريع التخرج لشهادة البكالوريوس تعد



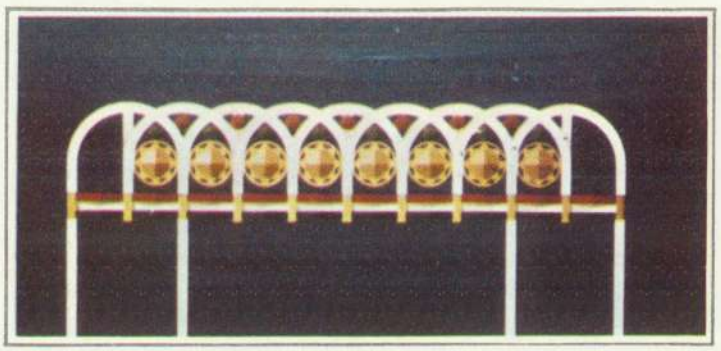
نصب الشهداء فى صورته النهائية



الفنان سامي رافع وخلفه نصب الشهداء



الباحث سيد سليمان



قوس نصر للفنان سيد سليمان



شموخ .. للفنان ناصر المنسى

خصيصاً لكي تنفذ الأعمال الممتازة منها بالاتفاق بين الجهات المسئولة ومجلس الكلية . ومن الأمور الطبيعية أن نرى الفنانين من الطلبة واساتذتهم يجوبون الصحارى والمدن والقرى ، ينقبون عن عناصر ملهمة لتتحول فى تصميماتهم الى انشاءات تنفذ على أرض الواقع .

كما أن هناك جسوراً ممتدة بصفة منتظمة بين مجالس المحافظات المختلفة وأقسام العمارة والفنون بالكلية ، للاضطلاع بالمشاريع العمرانية ومتطلباتها الفنية أولا بأول . ومن المألوف كذلك أن تأخذ المعارض طابعاً خاصاً ؛ فالأعمال الفنية فى معظمها تخدم أهداف التنمية فى شتى صورها ، كما أن أقسام الكلية تقوم بدراسات مستمرة للمنشآت الحكومية والقوات المسلحة ومداخل المدن الجديدة والنصب التذكارية وديكورات الفنادق والبنوك والمعارض والمكاتب السياحية والمحال التجارية ، فضلا عن تصميم العملات والطوابع وترميم القصور والمباني الأثرية .. إلى غير ذلك من الأعمال الفنية الرفيعة !

أمثلة مشرفة

ومن الأمثلة الرائدة لتعاون الكفاءات العالية بين أسرة كلية الفنون الجميلة بالقاهـرة والمشاريع الفنية الكبرى ، إقامة النصب التذكارى للجندى المجهول فى أعقاب حرب رمضان المجيدة ، حيث فاز بالجائزة الأولى من بين خمسة وسبعين فناناً ، أحد الفنانين البارزين من اساتذة الكلية ، هو سامي رافع ، وقد تعدت شهرته حدود الوطن العربي وانطلقت الى العالمية . وجاء تصميمه مزجاً من الأصالة والمعاصرة على شكل هرم من أربعة حوائط قطرية وليست محيطية ، مفرغ من وسطه ليعطى رؤية متعددة الأشكال بفعل التلاحم بين هذا الفراغ والظلال المتساقطة من القوائم ، ويرتفع النصب الى ٣١,٦٤ متراً ، ويبلغ سمك حوائطه نحو مترين ، وقد غطت حوائطه أسماء الشهداء الرمزية بطريقة النحت البارز ، وكأنها معزوفة من زخارف (الأرابيسك) تضفى على هذا النصب روعة ورهبة وإجلالا .

ومثل آخر ، هو بحث علمي فني مقدم من الفنان محمد سيد سليمان كرسالة للحصول على درجة الماجستير فى الديكور ، وكان موضوعها : أهمية الديكور فى المهرجانات القومية والاحتفالات العامة ، وفيها عرض شيق مدعم بالتصميمات واللوحات والاحصاءات الدقيقة المصورة عن أحدث الاتجاهات العالمية فى هذا المجال ، ولكنه أضفى على تصميماته طابعاً عربياً خالصاً معالجاً بنظرة حديثة متطورة ..

وأخيراً ، إذا كان إيماننا راسخاً بأن الفن يجب أن يواكب الأحداث ، وأن يلبى متطلباتها ، وأن يقود الفنان جموع المواطنين إلى عالم التذوق الفني الرفيع ، وجب علينا فى نفس الوقت ، أن نسلح الفنانين بثقافة تراثية واعية تمتد جذورها إلى منابع الحضارة العربية الاسلامية الرائدة ، لنسبغ الأصالة على عطائهم الابداعي ، وليكونوا أهلا لهذه القيادة فى وطننا العربي الكبير .

جمال قطب



منذ ثلاثة آلاف سنة

القدس هي القضيّة

عصام شريح

وصف المؤرخ البريطانى الراحل «أرنولد توينبى» قيام «اسرائيل» على أرض فلسطين المغتصبة ، بأنه «أزمة» ، وقال : «ان الأزمة التى خلقتها الحرب الصليبية للعرب والمسلمين ، شبيهة بالأزمة التى خلقها ظهور اسرائيل ، وقد نجح العرب فى الحرب الصليبية الأولى فى توحيد صفوفهم توحيداً وثيقاً ، وعلى نطاق واسع ، فانقذوا أنفسهم من الخطر الذى تعرضوا له» . وأضاف «توينبى» : «وما كان ليتأتى قيام «الوطن القومى اليهودى» ، إلا باستخدام القوة الغاشمة ضد سكان فلسطين ، الذين كانوا فى بلادهم قبل مجيء اليهود بزمن طويل ... فكان أن ضُحي بشعب بريء فى سبيل تحقيق أطماع طائفة تتعلق بأهداب فكرة رجعية تتنافى مع واقع التطور البشرى ، وتجافى المثل الانسانية العليا» .

لقد استشهدنا بقول «توينبى» هذا – وهو أشهر مؤرخ عرفه القرن العشرون ولأنه صاحب نظرية فلسفية فى التاريخ – لنؤكد حقيقة ، طالما تجاهلها مؤرخو الغرب المتحيزون ضد العرب ، وهى أن اليهود كانوا فى العصور القديمة من التاريخ كما فى العصر الحالى ، مجرد قوم طارئين على فلسطين ولم تقم لهم دولة حقيقية عاصمتها القدس ، إلا فى عهد الملكين داوود وسليمان ، ولفترة من الزمن لم تتعد ٦٩ عاماً ، وحتى فى عهد هذين الملكين اليهوديين لم يستطع «العبرانيون» السيطرة على فلسطين كلها ، وخلال حكم سليمان بن داوود ، كان الكنعانيون (العرب) يشكلون الأغلبية من سكان فلسطين ، ولم يغادروها بشكل جماعى









لقطات من المدينة ذات الأبعاد التاريخية والحضارية والسياسية والدينية

لأن القدس اختصاراً هى « القضية » ، ولأن الصراع على القدس هو الصراع العربي ـ الصهيوني بكل معانيه وأبعاده التاريخية والحضارية والسياسية والدينية ، ولأن فى الحديث عن القدس عودة الى جذور هذا الصراع ... ولكي لا ننسى فى زحمة المتاهات اليومية ، القضية الأساسية ، عدنا الى طرح قضية القدس ـ أى القضية العربية ـ للتذكير بها ، لأن .. الذكرى تنفع المؤمنين .

ـ وإن كانت جماعات منهم قد نزحت الى أطراف بلاد الشام الأخرى مع فلسطين (وهى ما تعرف اليوم بسوريا ولبنان والأردن) ـ وما أشبه اليوم بالبارحة ! ولعل خير دليل على أصالة الشعب الفلسطينى فى وطنه ، وكون اليهود مجرد جماعات غازية طارئة فى فلسطين أن اليهود لم يتركوا أية آثار فيها ، وتذكر «فرانسيس نيوتن» ـ البريطانية ـ فى كتابها «الانتداب على فلسطين» ما يلى :

«لا يوجد فى فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب الى المملكة العبرية .. ولقد فشلت اليهودية فى تقديم أى أثر لداوود وسليمان ، أو أى نقش أو آثر أو حجر أو حتى نصب تذكارى ، ولهذا فان قضيتهم تفتقر الى دليل مسجل على غرار الأدلة للوجود التاريخى لشعوب غرب آسيا ، كما أن المؤرخين الأغريق لم يذكروا شيئاً عن اليهود فى تاريخ فلسطين المبكر ، ومما لا شك فيه أنه كان من شأن الاغريق الاتصال باليهود ، لو كانت فلسطين حقاً وطنهم القومى .

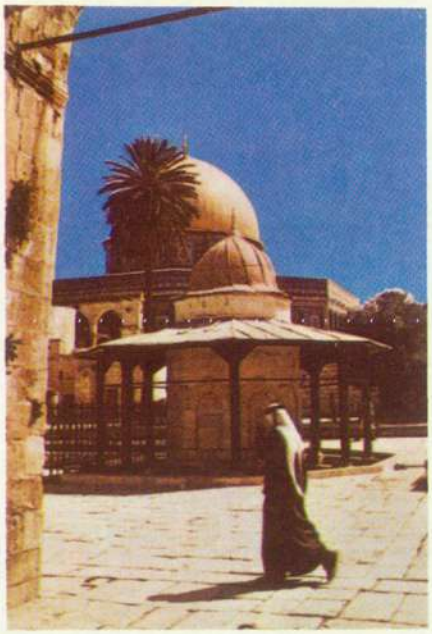
عروبة القدس

كان أول اسم عرفت به القدس «أور سلام» و «أور» لفظة آرامية قديمة تعنى المدينة أو الساحة ، و «سلام» تعنى التحية والأمان والصلح والحكمة ، فيكون معنى «أور سلام» اذن ، «مدينة السلام» أو «دار السلام» ، لكن من المؤسف أن دار السلام هذه لم تعرف السلام الدائم فى تاريخها ، بل ان المعتدين ارتكبوا من المجازر فيها ما يندى له جبين الانسانية خجلا ، فالصليبيون على سبيل المثال قتلوا من أهل القدس العرب لدى دخولهم اليها (٧٠) ألف شخص ، ولا يقل مجموع الضحايا من

القدس هي القضية



بوابة وقلعة



داخل المسجد



مسجد قبة الصخرة

عرب القدس منذ قيام الكيان الصهيونى ، وحتى اليوم عن هذا الرقم ، وهو رقم مرعب لو كنا نذكر ذلك .

وكانت «أور سلام» مدينة مقدسة لدى اليبوسيين – الذين هم فرع من الكنعانيين العرب – لأنهم كانوا يعتبرونها مدينة إلههم «إيل عليون» – أى الاله العلي .

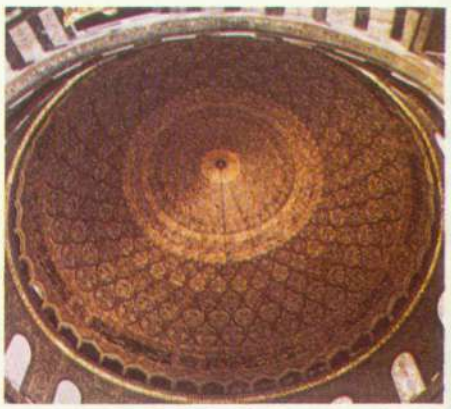
أما اليهود الغزاة ،فقد انتحلوا الاسم الكنعانى للقدس ، وأطلقوا عليها اسم «أور شلام» أو «أور شالم» ، وأصبحت هذه اللفظة مع تقادم الزمن «أور شليم» التى يتمسك بها الاسرائيليون اليوم . ومن أسماء القدس القديمة كذلك «يبوس» نسبة الى «شعبها»اليبوسى الذى جاء ذكره فى التاريخ أنه استوطن فلسطين قبل ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، وكان أول ملوكهم «ملكى صادق» الذى استضاف ابراهيم الخليل .

وقد عرف «ملكى صادق» بحبه للسلام حتى أطلق عليه اسم «ملك السلام» .

وهكذا يكون اليهود قد اقتبسوا اسم «أور شليم» وانتحلوا صفتها كمدينة مقدسة عن الفلسطينيين الأوائل ، ناهيك باقتباسهم من حضارة الكنعانيين الشىء الكثير .

أما سيطرة اليهود على القدس ، فقد جاءت متاخرة نسبياً عن فترة خروجهم من مصر ، وغزوهم لفلسطين بخمسين سنة على الأقل ، حيث احتلها ملك اليهود «داوود» فى أوائل الألف الأول قبل الميلاد وبعد وفاة داوود قام ابنه «الملك سليمان» ببناء هيكل جعله لعبادة «يهوه» . أما بعد وفاة سليمان فى ٩٣٥ ق.م ، فقد تولى شئون المملكة اليهودية ابنه «رحبعام» الذى جمع رؤساء «اسباط – عشائر» اليهود ، وهددهم قائلا : «أبى أدبكم بالسوط .. أما أنا فسأدبكم بالعقارب» . لكن تهديده هذا لم يمنع انقسام المملكة الى مملكتين ، حيث ملك «رحبعام» على سبطى «يهوذا وبنيامين» ، وجعل «أور شليم» عاصمة لمملكته التى أطلق عليها اسم «مملكة يهوذا» ، فيما ملك «يربعام» على الأسباط العشرة الباقية ، واتخذ من «السامرة» (منطقة نابلس) ، عاصمة لمملكته التى اسماها «مملكة اسرائيل» . وقد منع «يربعام» يهود «اسرائيل» من زيارة القدس ، كما تفرض عليهم الشريعة اليهودية ، ليمنع حصول اختلاط بين المملكتين اليهوديتين وبنى «منبحاً» فى قرية «بيت إيل» الكنعانية التى احتلها ، وتقع بالقرب من مدينة «رام الله» ، ووضع على المذبح عجلا ذهبياً ، وأمر الأسباط العشرة بعبادته .

وفيما بعد أدت الخلافات الى تداعى الدولتين ، حتى قضى «سرجون الثانى» ملك الكلدانيين على «مملكة اسرائيل» فى عام ٧٢١ ق.م ، وأزالها من الوجود ، وسبا الوفاً من اليهود الى عاصمته «بابل» ، وعاد الكنعانيون الى أراضيهم ووطنهم ، أما مملكة يهوذا فقد عمرت أكثر من مملكة اسرائيل ، الى أن زحف عليها سنحاريب ملك الآشوريين وخربها واحتل القدس فى عام ٧٠١ ق.م ، إلا أن من بقى منهم فى فلسطين استغل الصراع على النفوذ الذى كان قائماً بين الآشوريين والفراعنة وحاولوا استعادة كيانهم المنهار ، فزحف عليهم ملك الكلدانيين «نبوخذ نصر الثانى» وفى عام ٥٨٦ ق.م تمكن من السيطرة على القدس بشكل نهائى ، وقتل آخر ملوك يهوذا المدعو «صدقيا» ، وأحرق الهيكل وقصر الملك وهدم أسوار المدينة وأسر معظم سكانها من اليهود ، وقام نبوخذ نصر كذلك بتدمير سائر المدن والقرى «اليهودية» فى فلسطين ، فكانت بذلك نهاية اسرائيل ككيان سياسى فى



جمال الهندسة الاسلامية بقبة الصخرة



حائط المبكى



مسجد عمر



المدينة القديمة

فلسطين .

غزوات أخرى

فى الواقع كانت الغزوة اليهودية لفلسطين واحتلالهم للقدس ، أقصر الغزوات والاحتلالات عمراً فى التاريخ ، ولم يكن اليهود هم الوحيدون الذين دخلوا فلسطين بشكل طارىء ودون أن يتمكنوا من التجذر فى الأرض ، إذ جاء الفرس بعد ذلك واحتلوا بلاد الشام ومنها فلسطين ، واخذوا يتهيأون لاجتياح مصر والسيطرة عليها ، فاستغل يهود السبي فى بابل (العراق) هذه الفرصة ، وسعوا لدى الملك الفارسى «قورش» من أجل السماح لهم بالعودة الى فلسطين ، فاتاح لهم «قورش» ذلك واستعان بهم للتعرف الى مسالك البلدان وطرقها ، وساروا أمام جيوش الفرس الغازية ، وفى عهد الملك «دارا» سمحوا لهم باعادة بناء سور القدس وهيكل سليمان .

ثم جاءت بعد ذلك الغزوة اليونانية بقيادة الاسكندر المقدونى (٣٣٢ ق.م) ، فلم يغير فى وضع اليهود شيئاً ، وكذلك فعل خلفاؤه البطالسة .

وعندما احتل الرومان بلاد الشرق ، ودخل «بومبى» فلسطين هدم سور «أور شليم» ، لكن اليهود لجأوا الى أعمال الشغب ضد الحكام الجدد ، فقام الامبراطور «هدريانوس» بتدمير أورشليم وحرث أرضها بالمحاريث ، وهدم الهيكل للمرة الثانية ـ والأخيرة ـ واليهود اليوم يحاولون بناء الهيكل (الثالث) مكان المسجد الأقصى المبارك .

وعلى انقاض المدينة القديمة التى زالت عنها الصبغة اليهودية ، شيد الرومان مدينة جديدة أطلقوا عليها اسم «إيليا» أو «إيلياء» وذلك نسبة الى الامبراطور «إيليوس هدريانوس» (إيليوس هو إلياس) ، وعندما جاء الامبراطور قسطنطين على عرش الامبراطورية الرومانية ، وغدا مؤسس الدولة البيزنطية التى اتخذ القسطنطينية عاصمة لها ، أصبحت «إيليا» مدينة بيزنطية ، وشيدت أمه «هيلانة» كنيسة القيامة فيها .

وخلال هذه الحقب التاريخية جميعها لم يظهر لليهود فى فلسطين أى كيان سياسى ، فى حين استمر الشعب العربى الفلسطينى فى حياته العادية فى وطنه وبلاده .

الفتح الاسلامى

فى القرن السابع للميلاد عزم العرب المسلمون على فتح القدس لأسباب دينية واستراتيجية واقتصادية ، وبعد انتصارهم فى معركة اليرموك ، وتولى «أبو عبيدة الجراح» قيادة الجيوش الاسلامية فى بلاد الشام بدلا من خالد بن الوليد ، زحف أبو عبيدة على القدس وضرب الحصار عليها ، فطلب أهلها «المسيحيون» الصلح على غرار ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج وحرية الاختيار بين الدين الاسلامى ودينهم السابق . فكتب أبو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب بذلك ، وعندما وصلته الرسالة ، توجه عمر بنفسه الى بلاد الشام ونزل «الجابية» بدمشق ، ثم سار الى القدس وقام أبو عبيدة بابلاغ بطريرك النصارى فى المدينة بمقدم الخليفة عمر ، فخرج هذا اليه حاملا الصليب على صدره ، فما كان من عمر العظيم ، إلا أن قابله بالتكريم والاكبار ، وكتب له «وثيقة الأمان» الشهيرة ، التى عاهد فيها عمر أهل إيلياء على الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وشعائرهم ، وفيما يلى نص تلك الوثيقة المعروفة «بالعهدة العمرية»:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر أهل

القدس
هي القضيّة







إيليا من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، مقيمها وبريها ، وسائر ملتها ، انها لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينتقص منها ، ولا من حدها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية ، كما يعطى أهل المدائن ، وعلى أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية ، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعتهم وصليبهم ، فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كانوا فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية ، ومن شاء سارع مع الروم ، ومن شاء رجع الى أرضه ، فانه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما فى هذا الكتاب ، عهد الله ، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد بذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان» .

ولعل من أهم الملاحظات حول «العهدة العمرية» ، الى جانب كونها تفيض تسامحاً وترفعاً عن الصغائر ، واحترام انسانية الانسان حتى فى ظل الحروب وعنفها وصفاتها المفجعة ، أن أهل القدس من الفلسطينيين (المسيحيين) أعربوا للخليفة العظيم عمر بن الخطاب عن رغبتهم فى عدم السماح لليهود بسكنى القدس ، فكان أن استجاب عمر لهذه الرغبة ، وهذا يثبت أن القدس لم تكن يهودية عندما دخلها المسلمون ، وأن تاريخهم المزعوم فى فلسطين ليس إلا تاريخ غزاة طارئين .

ومن الملاحظ هنا ، أن اسم «أورشليم» قد تغير فى ظل الحكم الاسلامى ، فقد أصبح اسمها بعد أن دخلها عمر ، القدس أو بيت المقدس ، أى البيت المطهر ، الذى يتطهر فيه المسلمون من ذنوبهم .

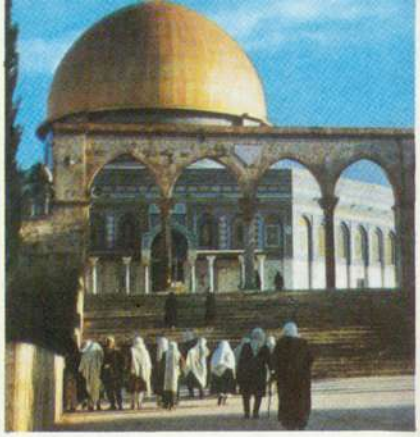
وقد تعاقبت على المدينة كما على فلسطين ، كما على بلاد الشام ، عهود الخلفاء الراشدين ، فالأمويين فالعباسيين ، ثم عهد الأتراك العثمانيين وتوالى عليها حكام وولاة من أجناس مختلفة وانتماءات متباينة (فاطميين وإخشيديين وطولونيين .. الخ) ، لكن القدس ، بقيت مدينة عربية صافية ، تهفو اليها نفوس المسلمين وعقولهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، لأنها مع دخول الاسلام اليها ، وتشييد المسجد الأقصى فيها ، أصبحت أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

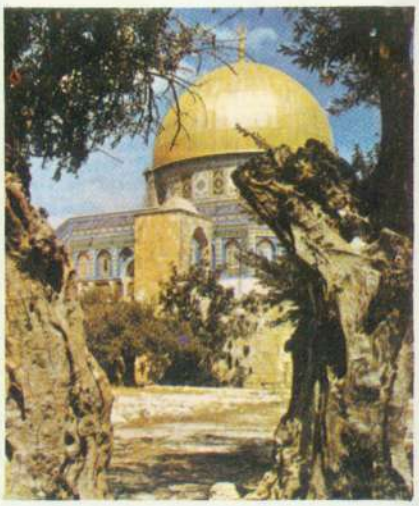
وحتى فى ظل الحكم الصليبى الأجنبى الذى عمر أكثر مما عمرت دويلة اليهود القديمة (حكم الصليبيون حوالى ٢٠٠ سنة) ، فقد استمرت القدس مدينة عربية ، وظل أهلها العرب ، يمارسون حياتهم الاجتماعية فى معزل عن طابع النظام الاقطاعى الذى كان سمة الدولة الصليبية ، وقد عادت القدس الى أصحابها العرب على يد البطل صلاح الدين الأيوبى ، وخرج الصليبيون الغزاة الطارئون من القدس وفلسطين وبلاد الشام فى نهاية الصراع .

موقع القدس

تقع القدس على سلسلة جبال ضمن هضبة تعلو عن سطح البحر نحواً من ثمانمائة متر ، وتحيط بالمدينة عدة جبال أشهرها جبل سكوبس أو جبل المشارف من الشمال ، وجبل المكبر من الجنوب ،







وجبل الطور أو جبل الزيتون من الشرق ، وجبل صهيون من الغرب . وتقع القدس القديمة (التاريخية) ضمن سور يحيط بها من جميع الجهات ويبلغ طوله نحواً من أربعة كيلو مترات ، وارتفاعه نحواً من اثنى عشر متراً ، وللسور سبعة أبواب كبيرة مفتوحة ، يدخل الناس منها الى المدينة من نواحيها المختلفة ، ومن أشهر هذه الأبواب ، باب العمود من الشمال ، وباب المغاربة من الجنوب ، وباب سان ستيفان من الشرق ، وباب الخليل من الغرب ، وللسور باب ثامن هو الباب الذهبى الذى يقع فى الجهة الشرقية ، إلا أنه غير مستخدم منذ فترة بعيدة .

ومعظم أجزاء السور الحالى للقدس ، من بناء السلطان العثمانى سليمان القانونى ، وقد دامت أعمال البناء فى السور مدة خمس سنوات وقد بلغت مساحة الأرض التى تحتلها القدس حتى عام ١٩٤٨ أى قبيل قيام الكيان الصهيونى ، ما يزيد قليلا على ٣١ كيلو متراً مربعاً ، وتبلغ مساحة «القدس القديمة» ٩٢٧ دونماً (أو كيلو متراً مربعاً) أما بالنسبة لتملك اليهود فى المدينة المقدسة ، فحتى عام ١٩٤٨ ، لم يكن اليهود قد تملكوا بفعل سياسة الاستعمار البريطانى فى فلسطين ، أكثر من خمسة آلاف دونم من أصل ثلاثين ألف دونم ، أى ١٧ بالمائة من مساحة المدينة . وبمعنى آخر فان ٢٥ ألف دونم من أرض القدس ، أى ما يوازى ٨٣ بالمائة من مساحتها ، كان أملاكاً عربية ، إلا أن سياسة مصادرة الأراضى التى درجت عليها حكومات العدو الصهيونى المتعاقبة ، قلصت هذه المساحة الى درجة لا يستهان بها ، وسياسة مصادرة الأراضى العربية مستمرة كل يوم كما تحمل لنا الأنباء وتقارير الأخبار .

وقد تمكن اليهود بمساعدة البريطانيين من الاستيلاء على حوالى عشرين ألف دونم من أراضى العرب فيما يسمى بالقدس الحديثة ، أما ما تملكوه فى القدس القديمة فلم يزد على أربعين دونماً ، أى ٤ بالمائة من مساحتها ، وتقع هذه ضمن «الحى اليهودى» فى الجهة الجنوبية ، وبعض الأحياء الأخرى ، ولا يملك اليهود من أراضى «الحى اليهودى» نفسه ومن مبانيه سوى جزء صغير لا يتجاوز ما نسبته ١٥ بالمائة ، إذ أن ٨٥ بالمائة من ذلك الحى هى أملاك تابعة للوقف الاسلامى .

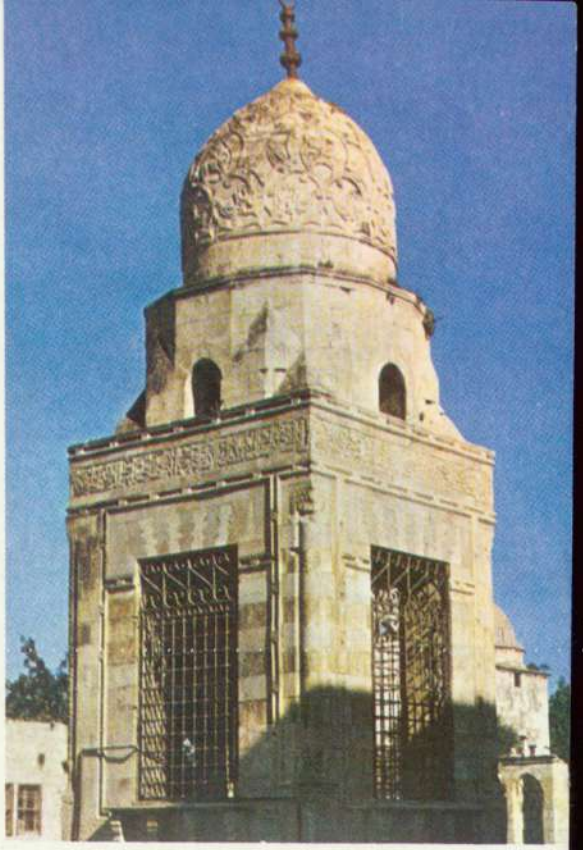
ويمكن تحديد ملكية اليهود فى القدس حتى عام ١٩٤٨ على الشكل التالى :

- القدس الحديثة : ١٧ بالمائة من مساحة مقدارها ٣٠ ألف دونم .
- القدس القديمة : ٤ بالمائة من مساحة مقدارها ٩٢٧ دونماً .
- فى الحى اليهودى : ١٥ بالمائة من مساحة مقدارها ٣٠ دونماً .

وقد جاءت شهرة القدس من أماكنها المقدسة ، وفى مقدمتها الحرم الشريف الذى يضم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، وهو يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة ، وفى القدس مساجد اسلامية أخرى يبلغ تعدادها ٣٥ مسجداً ، كما أن فيها مقابر أثرية مهمة ، وزوايا ، وفيها ركن البراق الشريف وغير ذلك كثير .

هذا بالنسبة للمقدسات الاسلامية ، أما بالنسبة للمسيحيين ففى القدس من مقدساتهم كنيسة القيامة التى تقع وسط المدينة والتى تشمل على درب (أو طريق) الآلام ، وكنيسة الجسمانية ، وكنائس وأديرة ومقابر أخرى عديدة تملكها الطوائف المسيحية المختلفة .

وأما اليهود ، الذين يزعمون اليوم أن



العمارة الاسلامية فى عهد المماليك



المسجد الأقصى وسط مباني المدينة



القدس تغطيها الثلوج .. لقطة من فوق جبل الزيتون

القدس هي القضيّة

القدس مدينتهم المقدسة ، فانهم لا يملكون أية آثار دينية أو غيرها فى المدينة كما قدمنا ، وكل ما ينسبونه الى انفسهم فيها ، هو الحائط الغربى للحرم الشريف الذى هو ملك اسلامى ، ويزعمون انه أحد جدران هيكل سليمان ، وقد عطف المسلمون عليهم لما بكوا وندبوا طويلا زاعمين أن الحائط لهم ، فسمحوا لهم بزيارة ذلك الحائط والبكاء عند القسم الجنوبى منه .

أما الحقيقة التاريخية البارزة ، فهى أن الحائط الغربى للمسجد الأقصى لا يمت باية صلة لهيكل سليمان ، لأن ذلك الهيكل تعرض للهدم مرتين ولم يبق منه أى أثر ، والدليل على ذلك أن الاسرائيليين أخفقوا برغم جميع الحفريات التى أجروها فى القدس وتحت الحائط الغربى للمسجد الأقصى وجنبات أخرى من المسجد ، فى العثور على أى أثر لهيكل سليمان هذا ، وكل ما كان لليهود فى القدس قبل رحيل الانكليز عن فلسطين يتركز فيما يسمى بالحى اليهودى . وهو عبارة عن بعض كنس وبيوت دينية ، وجميعها حديثة العهد وغير اثرية ، وأكثرها يقتصر على غرف فى منازل عربية مؤجرة لهم ، كما لليهود بعض المقابر فى «القدس القديمة» ، ومنها ما يقع على أرض اسلامية مؤجرة لهم بعقود إيجار رسمية ، وهذه أيضاً اشارة الى تسامح المسلمين مع اليهود فى العصور الغابرة ، وقبل اغتصابهم فلسطين . ويبقى أن نشير الى عدد سكان المدينة المقدسة ، حسب احصاءات عام ١٩٤٨ ، حيث كان سكان القدس قد بلغوا ١٦٠ الفاً ، نصفهم من اليهود ، وقد تنامى عدد اليهود فى القدس نتيجة للهجرة اليهودية من الغرب بصورة خاصة الى فلسطين المحتلة ، وخاصة بعد صدور وعد بلفور ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى فى عام ١٩١٨ .

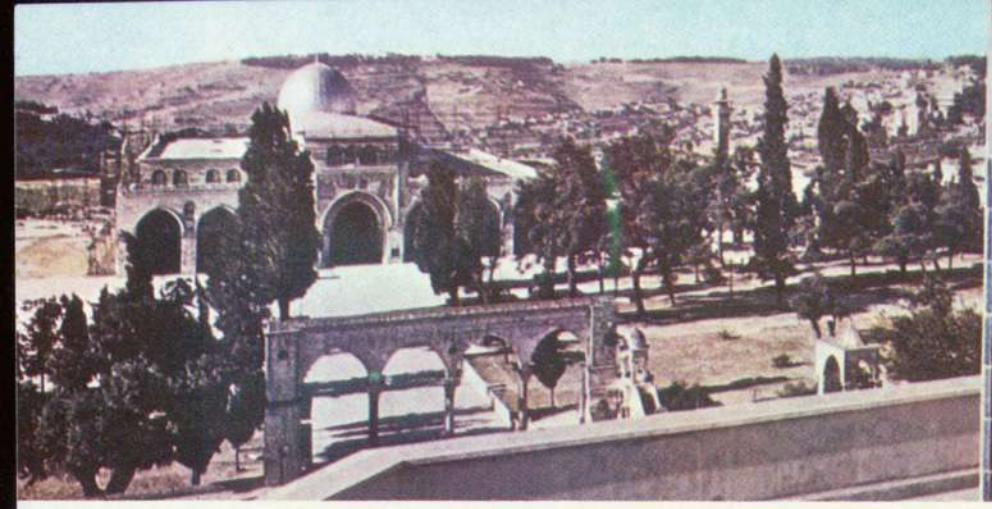
أما قبل ذلك ، وفى النصف الثانى من القرن السابع عشر على وجه التحديد فلم يكن عدد اليهود فى مدينة القدس أكثر من ١٥٠ شخصاً وفى أوائل القرن الثانى عشر (١١٧٠ ميلادية) لم يكن فى المدينة المقدسة غير يهودى واحد .

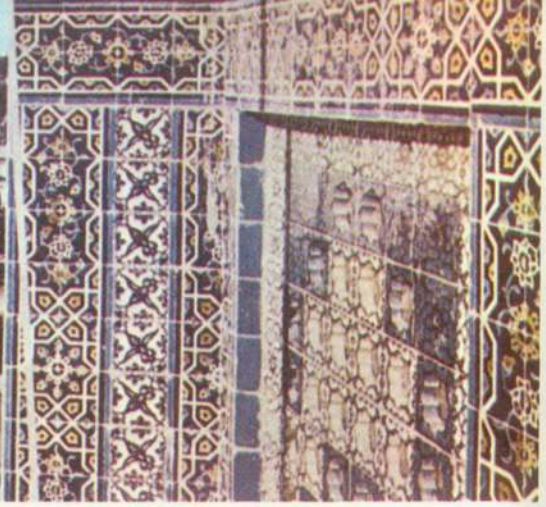
تهويد القدس

وآخر الفصول اليهودية فى القدس ، كان اقدام حكومة مناحيم بيغن على اعلان قرار بضم القدس الى الكيان الصهيونى ، وجعلها عاصمة «رسمية وأبدية لاسرائيل» ، وقد صادق الكنيست (البرلمان) الصهيونى على هذا القرار يوم الاربعاء الموافق ٣٠ تموز (يوليو) من العام الماضى ١٩٨٠ .

وقد نص «قانون» ضم القدس الذى أطلق عليه الصهاينة اسم «قانون القدس» على ما يلى :

١ ـ ان القدس الموحدة هى عاصمة





النقوش والزخرفة والخطوط العربية فى آثار المدينة



مباني المدينة العربية



الصخرة المشرفة

اسرائيل .

٢ ــ ان القدس هى مقر رئيس الدولة والكنيست والحكومة والمحكمة العليا .

٣ ــ ان الأماكن المقدسة سيجرى حمايتها من التدنيس والضرر ، أو اى شيء يمكن أن يؤثر على الوصول الحر لأتباع كافة الديانات الى الأماكن المقدسة ، أو على مشاعرهم تجاه هذه الأماكن .

٤ ــ ان الحكومة (الاسرائيلية) ستشرف على تطوير وتنمية القدس وازدهار سكانها (!!) بتخصيص أموال خاصة لذلك بما فيها منحة سنوية خاصة لبلديتها بموافقة اللجنة المالية فى الكنيست .

إن هذا القرار الصهيونى ، يعنى ببساطة تهويد القدس وجعلها عاصمة للكيان الصهيونى ، ويعنى فيما يعنى أن القدس سوف تفرغ من سكانها العرب الذين مايزالون فيها (حوالى ٨٠ ألف حالياً) ، وان الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ستهدم وتصبح أثراً بعد عين ، وان هيكل سليمان (الهيكل الثالث) سيبنى مكان المسجد الأقصى وعلى انقاضه .

أما ما جاء فى قرار التهويد من حديث عن احترام أماكن العبادة لأتباع كافة الديانات ، فهو مجرد لغو لا ينطوى على أى معنى فعلى أو حقيقى ، لأن الأساس فى «قانون القدس» وفى الصهيونية ، هو اقامة دولة يهودية خالصة فى فلسطين المحتلة ، واعتبار القدس عاصمة لهذا الكيان ، ومن هنا يمكن أن نفهم قول «بن غوريـــون» اول رئيس وزراء صهيونى : «انه لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل». فالغاية اذن هى القدس أولا وقبل كل شيء ، والهيكل بعد ذلك ، ومادام اليهود لم يبنوا الهيكل ، فان يهوديتهم لا تكتمل و «دولتهم» لا تعتبر قائمة من الوجهة النظرية والعقائدية ، ولذلك ، فان «فصل» ضم القدس ، لن يكون الفصل الأخير فى المدينة ، فهناك فصلان آخران هما : طرد جميع العرب من القدس ، وهذا ما يجرى حالياً عن طريق مصادرة أراضيهم ودفعهم الى الهجرة ، ثم هدم الأماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة وقيام هيكل سليمان من جديد مكان المسجد الأقصى .

ولأن القدس اختصاراً هى «القضية» ، ولأن الصراع على القدس هو الصراع العربى ــ الصهيونى بكل معانيه وأبعاده التاريخية والحضارية والسياسية والدينية ، ولأن فى الحديث عن القدس عودة الى جذور هذا الصراع ... ولكى لا ننسى فى زحمة المتاهات اليومية ، القضية الأساسية ، عدنا الى طرح قضية القدس ــ أى القضية العربية ــ للتذكير بها ، لأن «الذكرى تنفع المؤمنين» .

عصام شريح

العم زيدان

محمد البساطي

عاد العم زيدان .

وقف أمام البيت المهدم ، وأنزل الخرج عن ظهر الحمارة . كان بيتاً بلا صاحب يبدو كالخرابة ، بلا سقف أو أبواب .

قالت أمى : «هو .. هو عمك . له الآن ذقن طويلة وعباءة» .

قلت : ولم لا يأتى ليقيم عندنا .

كانت تجلس أمام الموقد تنفخ فى النار وعيناها تدمعان من الدخان .

قالت انه رحل عندما كنت أحبو . أخذ الفلوس من جدى وسافر ليأتى بالشعير ولم يعد .

انهم أيضاً فى البيت لم يتحدثوا عنه طوال هذه السنوات . كان جدى ـ حين يأتى ما يذكرهم به ـ يتجهم فجأة وينتابه السعال .

وقفت أمام البيت المهدم . كان هو فى الداخل يزيح الأحجار المتساقطة جانباً باحدى الحجرات ، والتفت ورآنى ، وأشار لي أن أدخل ، وجريت عائداً الى البيت . ورأيته مرة أخرى وكان خارجاً ، وأراد أن يعبر القناة الجافة أمام البيت وانحنى ونقل ساقى الحمارة الأماميتين الى الشاطىء الآخر ، وقفزت الحمارة . كنت فوق سطح بيتنا ، وهبطت مسرعاً ، وجريت وراءه . كانت الحمارة تجنح الى الطريق وتحتك بالأشجار . وقلت :

ـ أهى عمياء ؟

ـ أومأ صامتاً . وكان يحدق فى وجهى وسألنى :

ـ أتعرفنى ؟

ـ أنت العم زيدان .

ـ ومن قال لك . أهو جدك ؟

ـ جدى لا يقول ، راك أبى وأنت قادم . ولماذا اشتريتها ؟

ـ أهو الذى يناديك ؟

والتفت . ورأيت أبى أمام بيتنا يلوح لي . وعدت جرياً .

طوح بى أبى فى عنف ، وسقطت بين أرجل البهائم . ورأيته وأنا أزحف مبتعداً ينحنى على الأرض ، وسمعت صياح جدى :

ـ اضربه ..

ثم رأيت أبى قادماً وبيده فرع شجرة ، وقفزت الى جدار الحوش ، وتسلقت عريشة البهائم ، وصاحت أمى وجرت نحونا وجذبت أبى بعيداً . وزمجر أبى :

ـ لو رأيتك تحدث هذا الرجل مرة أخرى !!

جففت أمى الجرح فى رأسى بتراب الفرن ، وسحبتنى من يدى الى الحجرة .

● ● ●

كنت أنام وجدى فى حجرة واحدة . وكانت نوبات السعال تنتابه أثناء الليل . ووضعت أمى بجوارى «قلة» ماء . وحين



تزداد حدة النوبة ويصبح عاجزاً عن مناداتى .. كنت انتبه فجاة من النعاس . وبعد جرعة الماء كان يهدأ وأعود لنومى .

وفى الصباح الباكر يحمله أبى فى عباءته الصوفية ويخرج به الى الحوش حيث أعد له فراشاً من القش . وحين يكون الجو دافئاً يخرج به الى المصطبة . كان يبدو صغيراً على كتف أبى ، وقد تعرت ساقاه الضعيفتان وبدتا شديدتى النحول . كانت أمى أيضاً تحمله فى سهولة . ترفعه من تحت أبطيه وتجذبه بعيداً عن القش الذى بلله أثناء جلوسه فى الحوش وتنزع اللفافة المبتلة حول فخذيه ، وتضع أخرى جافة . ويدس جدى وجهه فى الجدار . كان يحس بى حين أقترب ، ويهمس لأمى دون أن التفت : «الولد» ..

وتستدير أمى وتنهرنى لأبتعد .

كف جدى عن الخروج الى المصطبة منذ جاء العم زيدان . كان يجلس فى ركن الحوش وبجواره وعاء النار ، وعصا طويلة يطرد بها الفراخ والبط التى تقترب منه ، والكلاب التى تتسلل أحياناً من الخارج حين يكون فى غفوة وتشمه وتلعق وجهه .

كان ينتبهه على خطوات أمى ، ويسألها عن الذين مروا بالبيت وسمع أصواتهم منذ قليل وحين يرانى أمامه كان يقول :

ـ انظر .. أهو فلان الذى مر الآن ؟

وأقول انه هو ..

ويغمض عينيه ، ويحكم العباءة حول جسده ، ويعود الى غفوته .

● ● ●

كان أبى يحمله فى الليل بعد العشاء الى المصطبة . ويبدو جدى لحظتها مبتهجاً . كانت أمى تجلس على عتبة الباب ، وأتمدد بجوارها . ويشير جدى الى الحقول الممتدة ويقول :

ـ كلها كانت بور .

ويقول أبى : آه .. بور

ويقول جدى : لو كنت أعرف لاشتريت يومها مائة فدان .. وكان معى النقود .. كنا عائدين من السودان ومعنا النقود .. واشترى عباس عشرين فداناً وجابر أيضاً .. آه .. كان الفدان بملاليم .. خمسون قرشاً .. ولا قطرة ماء . من كان يعرف أنهم سيحفرون الترعة بعدها .. قلت لهم ومن أين تنفقون عليها .. يكفى خمسة ..

ويقول أبى : خير وبركة ..

ويقول جدى : الحمد لله .

ويصمتان . ثم أسمع شخير جدى الهادىء . ويحمله أبى الى الداخل .

● ● ●

كانت المرة الأولى التى يتحدثان فيها عن العم زيدان ، وكان قد مر أسبوع على مجيئه ، وكنا نتناول العشاء فى الحوش.

قال جدى : أمازال هنا ؟

وقال أبى : آه هنا .

ـ وماذا جاء به ؟

ـ العلم عند الله .

ـ ألم تلتق به ؟

ـ التقيت . من يومين . كان واقفاً عند بقالة عبد الصمد .

كان صوتهما خافتاً ، وعيونهما فى الطعام . وقال جدى :

ـ وفيم تحدثتما ؟

ـ لم نتحدث . اشتريت الدخان ومضيت .



العم زيدان

– ولماذا دكان عبد الصمد ؟
– لم أره إلا وأنا فى الدكان .
– ولم يقل شيئاً ؟
– أبداً . ظل ينظر إلي حتى خرجت .

● ● ●

لم يتحمل جدى أن يبتعد طويلا عن المصطبة . وأعد له أبى «فرشة» بجوار باب الحوش الخارجى . كان يوارب الباب قليلا ، وتبدو عيناه وهو ينظر الى الحقول وكأنه يوشك على النعاس . وحين يكتشف أن خللا ما قد تسرب الى المنظر العريض الممتد أمامه كان يلاحق أبى وأمى بالسؤال ويتصيد المارة ويسألهم . وقد ظل أياماً – قبل عودة العم زيدان – يشير الى القناة العريضة بجوار حوض النرة قائلا :

– لم يطلقوا المياه حتى الآن .. ماذا يفعل الدغيدى ؟

لم يهتم أبى وأمى بما يقول . وكان يحدق فى وجهيهما متسائلا . كانت أرض الدغيدى تبعد مسافة ثلاثة أحواض . وكانت تسحب مياهها من القناة .

وقال له أبى يوماً .. انه سأل الدغيدى والرجل يبحث عن أنفار .

وغضب جدى : «وهل ضرورى أن تكون الأنفار من البلدة ؟ لو أنفق قليلا وجاء بهم من بلدة أخرى ؟»

حملت أمى الشاى اليه بجوار الباب . كان مبتهجاً – وقد اكتشف أنهم فى فترة غيابه عن المصطبة – قطعوا شجرة التوت . كانت شجرة ضخمة كثيفة الأغصان بين حوضين فى مواجهتنا كان جدى يقول انها غريبة فى المكان وأن جذورها تمتد فى الحوض وتضعف الزرع . بدت رأسه من فتحة العباءة ملساء وكان يشير بيده قائلا لأمى :

– قطعوها أخيراً . انظرى .. كانوا يقولون انه لا يوجد ظل آخر بين الأحواض .

فى هذا اليوم بدا وكأنما نسي عودة العم زيدان . كان يضحك . وداعبنى بالعصا ، وحكى لنا وقت العشاء عن الأشجار الضخمة التى رآها فى السودان وكيف كانوا ينامون بين فروعها .

اكتشف جدى مكانى فوق السطح – وكنت أتمدد فى الصباح بين أكوام القش محدقاً الى البيت المهدم حيث يقيم العم زيدان ، وأراه هناك وسط الأحجار المتساقطة يجمع اشياءه فى ركن الحجرة قبل خروجه – رمقنى جدى طويلا حين هبطت من فوق السطح ، وأحسست بعينيه تتبعانى وأنا أعبر الحوش ، وزمجر عندما اقتربت منه وتناول العصا من جواره .

قال لأبى : خذ الولد معك .. لا تتركه هنا ..

● ● ●

كان وهج النار يضيء مدخل البيت المهدم . وقفت لحظة مترددا ثم دخلت . كان العم زيدان راقداً ووجهه قرب النار . واشار الى حجر مسطح بجواره . وجلست . قال :

– أنت ابراهيم ؟

كان يشبه جدى كثيراً . نفس الأنف المدبب ، والعينان الصغيرتان الدامعتان والحاجبان الكثيفا الشعر ، وقال فى صوت هادىء :

– أيضربونك حين تأتى ؟

وضع قطع الخشب الصغيرة فى النار وكان الدخان ينساب خفيفاً على وجهه :

– لك يدا أبيك الطويلتان .. وفمه الواسع .. أما يزال ينام والأرز فى فمه ؟

وصمت . كان يحدق فى وجهى وقال :

– ورأيت صندوق جدك ؟

وصمت مرة أخرى . ثم قال :

– الصندوق الأسود الكبير فى ركن المندرة . والقفل الأسود . ثلاث سنوات وهو يحمله على ظهره فى الأراضى البعيدة . ألم يحك لك ؟ . أرأيت ما فى الصندوق ؟ الأزرار الصفراء بلون الذهب هل قال لك انها من الذهب ؟ وفوارغ الرصاص وشظايا القنابل . والنيشان البرونزى فى علبته السوداء . ألم يخبرك كيف منحوه النيشان ؟ كان الجندى السودانى مختبئاً فوق الشجرة، وقفز يريد قتل القائد الانجليزى ، فضربه جدك بالسونكى .

كان يحرك النار بطرف اصبعه ، وقلت اننى رأيت الصندوق .

– والنيشان ؟
– والنيشان .



– والأزرار ؟
– والأزرار .
– وفوارغ الرصاص ؟
– وفوارغ الرصاص .

ابتسم : والجندى الأسود فوق الشجرة ..

وضحك . واندفعت خارجاً .

● ● ●

قال جدى انه هناك .

وأمسك بذراع أبى مشيراً الى شجرة الجميز على النهر .

قال أبى .. انه رآه أيضاً .

ونظر من خلال الباب الموارب ، ثم استدار الى جدى . ونظر جدى اليه بعينين مرتعشتين وهمس :

– أمس كان هناك أيضاً .. وعاد من وسط الحقول فى مواجهتنا وعيناه طوال الوقت على البيت . ومر أمام الباب ، وكان مواربا ، وحدق فى وجهى ..

قال أبى : أتريد ان أنقلك بعيداً عن الباب ؟



ـ آه .

نقل أبى «الفرشة» الى ركن الحوش . وحمل جدى على كتفه . وقال جدى :

ـ سيقتلنى .. جاء ليقتلنى .

وضعه أبى على الفرشة ، ولفه بالعباءة . وقال جدى :

ـ اترك الولد . لا تأخذه معك .

● ● ●

قال أبى : انه ـ «العم زيدان» ـ أرسل من ثلاث سنوات رجالا الى جدى ، قابلوه فى الجامع ورفض جدى أن يتحدث معهم وتركهم ومضى .

قالت أمى : لم تخبرنى من قبل ؟

قال أبى : انه أيضاً لم يعرف إلا اليوم .. حين قال له جدى .

قالت أمى : وماذا كانوا يريدون ؟

قال أبى : ان جدى لم يخبره . كانا يتحدثان فى همس على المصطبة . وكان جدى نائماً فى الحجرة .

● ● ●

فى الليل يتدفق وهج النار أمام البيت المهدم ، ويمتد الضوء الى منتصف الحوض المواجه .. انه العم زيدان قد عاد الى البيت . ويصمت جدى فجأة ، وينظر من فوق كتف أبى الى الضوء .

وتخف حدة العتمة فوق الحقول .. حتى تلك الأشجار على النهر كنت ألمح ظلها المعتم . وتهمس أمى فى صوت خافت :

ـ ويشعلها طوال الليل ..

لا أحد يسمعها غيرى . كنت راقداً ورأسى فوق ساقها .

● ● ●

فى الصباح الباكر كنت أرى العم زيدان من فوق السطح يمضى بحمارته الى شجرة الجميز ، ويخلع ملابسه منزوياً خلف الشجرة ، وينحنى ساحباً الحمارة الى المياه . ويتطاير الرذاذ متألقاً . كان يعبر النهر بقدميه سابحاً مع التيار . وفى عودته كان يأتى مخترقاً الحقول ورأسه عارية والشال مهدل على كتفه ، والحمارة تتعثر وراءه على حافة الحوض الرفيعة . ويرمقنى فى مكانى فوق السطح بنظرة ، ويبدو وهو يتقدم وكأنما سيقتحم البيت ، وأرى جدى فى ركن الحوش ينتبه فجأة من غفوته ـ وكأنما ميز زفرات الحمارة . ويحدق نحو باب الحوش مترقباً . ويمر العم زيدان بالبيت ، ويبتعد .

● ● ●

قال جدى : انه يسمعه فى الليل حين يمر خلف البيت الى الحقول . وسأل أبى عما يفعله هناك .

كان أبى يدفىء يديه فوق وهج النار . وظل صامتاً .

وقال جدى : انه يسمعه أيضاً حين يعود . ونظر الى وجه أبى متسائلا .

كان الجو بارداً . ووضعت أمى لفة الردة الساخنة حول وسطه . وحمله أبى الى الحجرة . وفى الصباح ظل جدى فى الحجرة . وحملت أمى وعاء النار اليه .

● ● ●

صحوت فى الليل على صوت سعاله الحاد . ورأيته جالساً فى الفراش وقد سقطت العباءة عن جسده ، وبدا كتفه عارياً من فتحة الجلباب .

سألته ان كان يريد أن يشرب .

أشار لي أن أصمت . كان يلهث وقد رفع رأسه مترقباً . وسمعت صوتاً فى الخارج أشبه بالرياح تلمس أطراف الزرع ، ثم بدا لي أنه صوت تنفس يلتصق بالنافذة . كنت أحدق الى جدى ثم غفوت .

وعندما دخل أبى الحجرة فى الصباح وجده ميتاً .

● ● ●

جمع العم زيدان أشياءه ووضعها فى فتحتى الخرج . وكنت ممدداً فوق السطح وكان الحوش مزدحماً بالنساء والرجال يعدون للجنازة .

حمل العم زيدان الخرج . ووقف لحظة ساكناً مطرقاً ، ثم استدار الى الخارج وسحب الحمارة وذهب .

محمد البساطى ـ القاهرة



ثمن الحرية .. كما عبر عنه الفنان الذى يحتل مكانة كبيرة فى تاريخ الفن

الفنان والاختيار

د. زينب عبد العزيز

تعتبر حياة الفنان الاسبانى فرانشسكو جويا من أخصب السير التى يتناولها النقاد ، ويرجع ذلك الى ما يحتله جويا من مكانة فى تاريخ الفن ، وإلى ما حققه من اضافات ، وخاصة الى الجراة والوضوح اللذين راح يعبر بهما عن ارائه .

لقد عرف جويا بالقلق والمعاناة من كثرة ما تحتوى عليه حياته من عواصف درامية صاخبة ، وما اعتراها من متغيرات. فقلما جمع فنان من قبله بين عالم الخيال ، وجوانبه الشاعرية أو الخرافية ، وعالم التناقض والمحن ، بابعاده الانسانية المتضاربه . إلا أن اهم ما يتضح من تلك السيرة الجامحة هى مواقف جويا الواضحة التى كان يختارها بصرامة قاطعة .. مواقفه من نفسه ومن المجتمع ، وتحديد اهدافه بحسم ووضوح . ومهما تنوعت أو تناقضت هذه المواقف وتغيرت ، إلا انه ظل دائما مرتبطا بارض اسبانيا التى اختلطت دماؤه بنبضاتها وعنف احداثها ..

عصره وتفرده

امتدت حياة جويا من عام ١٧٤٦ حتى عام ١٨٢٨ ، اى انه عاصر فترة تاريخية طاحنة ومميزة من تاريخ اسبانيا وحروبها ، الى جانب ما كانت تقاسيه من بطش محاكم التفتيش وشعوذة السحرة ، اتاوات تفرضها العصابات .. وخلال هذه الأعوام وخضم احداثها ، صور جويا حوالى خمسمائة لوحة ، ومائتين وثمانين قطعة حفر ، وما يقرب من الألف رسم .. ولعل أول ما يلفت النظر فى هذه الأعمال التشكيلية هو التناقض العنيف : سواء فى اختيار الموضوع أو فى الاسلوب . فما اشد الفرق شكلا وموضوعا ومعالجة بين لوحة « العائلة المالكة » وإحدى لوحات «الرسوم السوداء» أو لوحة «بائعة اللبن فى بوردو» .. إذ أن هذه الأعمال تبدو فى الوهلة الأولى ، وكأنها لثلاثة فنانين ينتمون الى ثلاث مدارس فنيه مختلفة . فلوحة «العائلة المالكة» تمثل مرحلة التفاصيل الشديدة والثياب الفاخرة التى تغلف أناس يقفون كالدمى ،

ولوحات « الرسوم السوداء» تعكس الهلع النفسى الذى كان يعيشه الشعب الاسبانى انذاك ولوحة «بائعة اللبن فى بوردو» تمثل بساطة وحزنا فى التعبير لا يمت الى المرحلتين السابقتين بصلة . غير أن هذا الاختلاف الواضح لم يكن عفويا أو مرتجلا ، وإنما نتيجة لتحديد موقف جويا من نفسه ومن قضايا



الفنان الأسباني جويا



الأسباني فى وقت راحته

● لم يكن المرض وحده هو الدافع الحقيقي لتغيير موقف جويا

المجتمع الذى يعيش فيه .

الحلم الكبير

كان فرانشسكو جويا ، الفلاح المنبت ، يتطلع الى اضواء البلاط ويود الوصول الى لقب «فنان البلاط الملكى» . بل لقد كان فى الواقع يحلم بأن يرقى الى لقب «رسام الملك» . ومن خلال هذا التحديد الواضح ، كرس جويا كل امكانياته ليصل الى تحقيق هدفه ـ حتى وإن لجا الى المكر والدهاء ...

ولم يكن جويا قد اجتاز السابعة عشرة من عمره عندما اتخذ هذا القرار . فترك قريته ليذهب الى مدريد سيرا على الأقدام .. وذلك ليشترك فى المسابقة التى اعلنت عنها اكاديمية سان فرناندو ويفشل جويا . إلا ان ذلك لم يمنعه من الاستقرار فى العاصمة ليواصل محاولة تحقيق حلمه الكبير وفى خضم احداث العاصمةوتياراتها المتصارعة ، تعرف جويا الى الفنانبايو ، وكان فى بداية مجده آنذاك . وسرعان ما تالف الفنانان رغم فارق السن بينهما بل ورغم فارق المكانة الاجتماعية . ولعل أكثر ما جمع بينهما هو ذات الهدف إذ كان بايو ايضاً يصوب نظراته نحو البلاط .

ثم سافر جويا الى ايطاليا ليشترك فى مسابقة أكاديمية الفنون الجميلة فى مدينة بارم . وكانت هذه الجائزة بمثابة جواز مرور للفنان ينفذ بفضله الى الطبقات العليا . وللمرة الثانية يلاحقه الفشل . فعاد الى وطنه ليجد استاذه وصديقه بايو قد اصبح من رسامي البلاط الملكى فنشط تفكير جويا ... وما هى إلا فترة وجيزة حتى كان قد تزوج من شقيقة زميله ، الآنسة جوزيفا بايو ..

فنان البلاط

وبهذه الزيجة تم لجويا تدعيم مكانته الفنية والاجتماعية ، كما ضمن لنفسه منفذا الى البلاط وما كاد يصل الى الثلاثين من عمره حتى بدأ الحظ يبتسم له بمعاونة شقيق زوجته . فقد اسند إليه بايو مهمة القيام بعمل مجموعة من تصميمات اللوحات الخاصة بالسجاد للمشاغل الملكية . وفرح جويا بهذه المهمة التى رأى فيها البداية الأكيدة لما يرمى إليه ..

وحتى ذلك الحين ، كانت الموضوعات الفرنسية والاسطورية التقليدية هى السائدة فى صناعة السجاد الملكى . إلا أن الملك شارل الثالث كان قد قرر عام ١٧٧٣ تغيير هذا النمط الغريب عن الحياة الاسبانية ، وطالب الفنانين بتنفيذ موضوعات تعبر عن الحياة فى اسبانيا ، ولأول مرة بدأ إيقاع الحياة اليومية يتدفق على فن السجاد بملامحه البراقة الزاهية . وراح جويا يعبر عن مظاهر المرح والطرب فى حياة اهل بلده فتوالت رسومه التى تعبر عن الاعياد والاوبرات الخفيفة والحفلات ومصارعة الثيران .

وطوال سبعة عشر عاماً ، صور جويا ما يقرب من الستين لوحة مستوحاة من ذلك الجانب الشعبى البهيج . وساعدت هذه الفترة على ذيوع صيته فى الأوساط الارستقراطية وانهالت عليه الطلبات لعمل بورتريهات لأفراد الطبقة الارستقراطية .

نجاح مبكر ووافر

وتدفق الذهب بين تلك الاصابع الخشنة المنبت ، وانعكست ملامح الثراء على مظهره وعلى ايقاع معيشته . فاشترى جويا فيلا محاطة بحديقة شاسعة ، وعربة تجرها الجياد ، وانغمس فى حياة البذخ والتظاهر ، بينما كانت فرشاته تواصل انغماسها فى خدمة الطبقة الحاكمة والبلاط وفقا لما رسمه لنفسه من خطط واهداف ..

وماهى إلا سنوات حتى تم انتخابه بالاجماع عضوا فى الاكاديمية الاسبانية . ثم عين مديرا لها . وماكاد يبلغ الاربعين من عمره حتى حصل على لقب «رسام الملك» وبحصوله على هذا اللقب اصبح مسموحاً له بأن يخط ملامح صاحب الجلالة بفرشاته ! ومع تحقيق ذلك الحلم الذى راوده منذ بداية حياته ، بدأ جويا يتساءل عن جدوى ذلك الحلم وعما حققه له من اهداف

الكشف والادانة

فلقد اتاحت الظروف لجويا ، بتداخله فى البلاط ، أن يطلع على ما يدور فيه من خبايا .. فخلف تلك المظاهر البراقة ، كانت النفوس تتاكل وتتطاحن فى عنف لا هوادة ولا رحمة فيه ، بينما المؤامرات تحاك خلسة فى سكون وثبات .. وامتدت اسبانيا بأحشائها الدامية امام عينيه .. امتدت بكل ماتحمله من مكائد وشعوذة وغموض وبكل ما تحويه فى جوفها من مؤامرات وخدع بينما الشعب غارق فى ظلمات بعض رجال الدين ورعب محاكم التفتيش وسيطرة السحره . وقد وصل عدد رجال الدين هؤلاء فى تلك الفترة الى أكثر من مائة الف شخص ، أكتظت بهم جدران أكثر من ثلاثمائه دير اسبانى . وبخلاف تداخلهم فى المجالات السياسية وتياراتها ، كان الانحلال والجهل والاستبداد متفشيا بينهم لدرجة أنه اصبح منبعاً لحركة أدبية بأسرها ، تقوم اساسا ضد شعوذة تلك الوجوه وغموض اقنعتها الزائفة ..

آفاق جديدة

واصيب جويا بالمرض .. أصيب بشلل نصفى فى الجانب الأيمن ارقده طوال عام ١٧٩٣ يصارع الموت يائساً ، ويعانى من ذلك المرض الذى ادى الى فقدانه حاسة السمع تماماً . واضطره الصمم الى الاتصال بالآخرين عن طريق الكتابة أو الاشارة . إلا أن ذلك الصمت الرهيب الذى احتواه قد فتح له عالم الاصداء .. أصداء أليمة تتردد فى اغواره وتفصل مابين العالم الخارجى وبين دنياه . ويقول كلود روا ، أحد النقاد الفرنسيين ، عن هذه الفترة من حياة جويا : « إن ذلك المرض ، والشعور الجسمانى بالموت ، قد فتحا افاقا جديدة أمام جويا ، الرسام الملكى والشاب الوصولى الجسور .. افاق كان يرفض النظر إليها حتى ذلك الحين » ..

وقد ازدادت هذه الآفاق عمقا بعد كل التساؤلات التى راح يطرحها على نفسه وهو يواجه الموت .. ذلك الموت الذى يترقبه وهو يختم بنهايته كل المخلوقات .. فما الذى يبقى بعد الموت سوى حقيقة ما انجزه الانسان ؟

آلام الشعب

لم يكن المرض وحده هو الدافع الحقيقى لتغيير موقف جويا ، وإنما تداخل الاحداث التى عاشها بكل ما اعتمل فى اعماق نفس لا تهدأ ولا تكف عن التساؤل .. وقرر جويا النزول الى جحيم الشعب الاسبانى .. النزول الى ظلمات شعب يعانى ولا يعرف الخلاص ، وانطلق الى الطريق

جويا

ملامح من حياة الفنان الأسباني



رحلة جويا فى مدريد .. من أهم لوحاته الزيتية

.. انطلق ليدور فى الأزقة القائمة حيث شاهد السحرة وهم يمارسون طقوسهم ، والمساجين أو المعتقلين السياسيين وهم يعذبون ، والمحكوم عليهم وهم يعدمون علانية وسط احتفالات صاخبة .. وعايش اليأس والصرخات البريئة والتهديدات ، وامتزج بكل ما يمكن للأزقة المظلمة المتداخلة أن تحويه من مآس ..

ما أشد الفرق بين الواقع الشعبى البراق الذى صوره فى النسجيات ، والواقع الشعبى الداكن السواد الذى يراه ملطخاً بالدماء .. كم عبر فى لوحاته السابقة عن البسطاء وعن حياتهم اليومية وكم زخرفها فى رسوم السجاد .. لكنه لم ير آنذاك سوى الجانب البهيج الذى يليق بجدران البلاط. اما وقد اختلط بالمحن عن قرب وارتفعت الصرخات فى جوفه ، فكيف لا يدافع عن الحرية ضد القهر ؟ وكيف لا يدين كل ما يدور حوله من استعباد ؟ كيف لا يدافع عن النور ويحاول بثه ليبدد الجهل والظلمات ؟!

واتسمت رسومه ولوحاته بشحنات جديدة الاسلوب .. اصبحت تحمل طابع الكشف والادانة الى جانب عنصر التوعية . فبعد أن كانت اعماله تبدو كرسوم تسجيلية ، تعبر عن الشخصيات من خارجها المنمق ، وفقا لطلباتها ،



جزء من إحدى لوحاته التى اتسمت بشحنات جديدة الأسلوب

راح يصور ما يراه وما يعايشه من معاناة ، عبر انفعالات تهز اعماقه الهائمة .

تنوع الأساليب

وبسبب تغيير مواقفه واهدافه ، يعد جويا من الفنانين الذين لجأوا إلى مجالات واساليب مختلفة للتعبير عن افكارهم ومشاعرهم . فقد اختار جويا التصوير الزيتى ، وهو يمثل الجانب الاكبر من اعماله ، كما استخدم الحفر والرسم بخلاف الفرسك (الرسم على الحائط) . وتنوع هذه المجالات مرتبط عنده بالغايات التى كان يحددها لنفسه . وعندما اختار التعبير عن تناقضات المجتمع الاسباني ومعاناته ، لجأ جويا فى بادىء الأمر الى اسلوب الكاريكاتير كسلاح ساخر ، يكشف به من خلال الضحكة عما يعيشه الناس من زيف . وهنا تكمن القيمة الحقيقية لرسوم جويا المحفورة ، التى لجأت الى السخرية عبر الآلام للكشف والتعرية أو للأدانة والاتهام . إذ أن قيمة فن الكاريكاتير ، مثله مثل بقية الفنون التشكيلية ، تكمن أساساً فيما يحمله من معان فكرية وانسانية تدفع الى التأمل . .

مجموعة «النزوات»

واول مجموعة من الحفر رسمها جويا فيما بين ١٧٩٦و١٧٩٩ ، بعنوان «النزوات» ، وعددها اثنان وثمانون لوحة ، اصابت الجمهور بالفجيعة والاعجاب فى آن واحد ، فجعته بكل ما تتضمنه من موضوعات تكشف عن خبايا الاحداث والمكام بجراة فريدة ، كما اثارت الاعجاب بما تتضمنه من شحنة فنيه من حيث الاسلوب والمعالجة ، فلم يكن من الحفر ، حتى ذلك الحين يستخدم إلا فى طباعة رسوم فرنسية الطابع ، تفيض بالشاعرية أو بالرومانسية الحالمة . فكانت اول مجموعة حفر تتعرض للمتناقضات الاجتماعية بخطوط مبسطة، سريعة الشحنات . ولاول مرة عرف فن الحفر الاسبانى عالم القبح والبشاعة .

وتنقسم هذه المجموعة الى نوعين : احدهما يتعلق بالجانب الاخلاقى ، والآخر بالباب الخيالي ، فمن جهة راح جويا يعبر عن الحياة الأسرية وعما هو سائد فيها آنذاك من غش وخداع ، ومن جهة أخرى تعرض لاضغاث احلام بكل ما تحويه من رموز ، الى جانب تعرضه الى عالم السحر والشعوذة . ولا يربط بين النوعين سوى كره جويا للاستبداد الاجتماعى والسياسى والدينى وبغضه للتقليديات الزائفة .

وسرعان ما خشى جويا أن يتعرض لبطش محاكم التفتيش فسحب ما تبقى من بيعها بعد صدورها بيومين . إلا أن طبقات هذه المجموعة توالت فيما بعد واصبحت بمثابة الغذاء الفنى والاجتماعى والفلسفى لكثير من فناني القرن التاسع عشر . وبعد مجموعة «النزوات» هذه ، اصدر مجموعات أخرى منها «ويلات الحرب» و «مجزرة الثيران» ثم «متفرقات» . ولعل نجاح هذه الرسوم يرجع الى ما فيهم من اضافة فى مجال الحفر وهى : عنصر الخيال . إذ أن جويا يربط فيها بين ماضى اسبانيا الضاحك وبين قسوة الحاضر بمآسيه وبين اشخاص ادت بهم الظروف الاجتماعية والسياسية الى أسوأ مراتب الحيوانية .. وإن كان لهذه الضحكات والمواقف التى تثيرها هذه الرسوم رنين قوى يهز الاعماق ويفوق البكاء ، فذلك يرجع إلى أنها تعبر عن رجفات المواجهة .. فقد اختار جويا التعبير عن أمراض بلده وامراض عصره من الداخل مما أضفى على رؤاه فنامة ومرارة ..

ويلات الحرب

ولعل أعنف واعمق التجارب التى عايشها جويا واختار التعبير عنها هى حرب التحرير ضد نابليون فقد هبت رياح الحرب والثورة على اسبانيا واجتاحت مدنها بكل ما تحويه من تخلف ففى الثانى من شهر مايو ١٨٠٨ ثارت مدريد بأسرها وتبعتها اسبانيا بارجائها .. واندلعت ويلات الحرب والقهر طوال ستة اعوام دامية . وعلى الرغم من أن جويا كان ــ فى بادىء الأمر ــ يصور بعض كبار شخصيات قوات الاحتلال ، غير عابىء بحقيقة تواجدها على ارضه ، إلا انه سرعان ما اتخذ نفس القرار الذى سبق أن اتخذه من البلاط عندما اطلع على خباياه ، .. واتجه الى التعبير عن الجحيم الذى يعيشه الشعب الاسبانى .

وبدأ جويا الغاضب الحزين يخلد ذكرى الثانى والثالث من مايو ، ذكرى تلك الليلة الرهيبة التى تم خلالها اعدام ثلاثة واربعين من الثوار الوطنيين .. وانطلق بكل امكانياته الفنية والفكرية والانسانية ليعبر عن ويلات الحرب وما تخلفه من أشلاء وسط صرخات الموت والعدم ..

الرسوم السوداء

وتلاحمت المآسى فى حياة جويا ومن حوله .. فبينما أهوال الحرب مازالت تتردد فى الأذهان باصدائها الحزينة ، توفيت زوجته وكان فى السبعين من عمره ، فتجرد من كل شىء يمتلكه ، وكأنه يحيط نفسه بعزلة ارادية . فابتعد عن كل المحيطين به لينزوى وحيدا فى فيلا اشتراها بعيدا عن المدينة ، عرفت باسم « لا كونيتا دل سوردو » (فيلا الاصم) . وبين هذه الجدران الصماء راح جويا يطلق العنان لتفجرات اختزنها وتراكمت فى اعماقه ..

وكانت ثمرة هذه العزلة الارادية اربعة عشر رسماً حائطياً ضخماً ، ستة منها فى غرفة الطعام بالدور الأرضى ، وثمانية بقاعة الجلوس بالطابق العلوى وعرفت هذه الأعمال باسم «الرسوم السوداء» ، لما تعكسه من هلع ورهبة تحيط بوجوه متشحه بالسواد .. والسواد هنا بكل ابعاده ، فهو ينعكس من واقع الشخصيات ومما تعبر عنه ، مثلما ينعكس من اعماقها حتى وان ضحكت وهى ملطخة بالدماء ..

وانتكست الثورة الأسبانية ، وزهد جويا من الحياة فى بلده . فاهدى مسكنه الى حفيده وطلب من السلطات السماح له بالسفر الى فرنسا واستقر فترة فى مدينة بوردو ، ثم انتقل الى باريس حيث عاش باعوامه الثمانين فى شبه عزله ، لا يقابل سوى بعض الأسبان المقيمين بها ، مكرساً كل وقته للرسم والتصوير .

.. الثورة الرومانسية

وكم كانت سعادته وهو يعايش احداث الثورة الرومانسية عن قرب ، ويرى انطلاقتها عام ١٨٢٤ ، وتحرير الفن التشكيلي من القيود الاكاديمية الثابته . وتضيف هذه الثورة الفنية بصيصاً من النور فى ظلمات حياة من كان سباقاً عليها بحوالى خمس وعشرين عاماً ، عندما قام بتصوير الرسوم الحائطية للكنيسة ، بنفس ذلك الأسلوب المتحرر من القواعد الجامدة الذى استخدمه ديلاكروا ابتداء من لوحة «دانتى وفرجيل فى الجحيم » . لقد حقق جويا بعمله المتواصل وفى الظروف التى عاش تحت وطأتها أوسع تطور استطاع فنان أن يقوم به فى عصره .

فقد انغمس جويا فى الحياة وارتشف من اعماقها بنهم وصدق . وارتشف من كل ما فيها من متناقضات بلا خوف وبلا تردد ليخلق عالماً فنيا يحمل بصماته .. عالم هو فى الواقع خلاصة زمنه المعاصر له ، من خلال رؤيته الذاتية ومواقفه المحددة . ويبدو موته فى فرنسا وكأنه يرمز الى أن جويا قد اسلم المشعل لمن يستكمل الطريق من بعده .. فماهى إلا بضعة اعوام حتى كان التأثيريون يعتبرونه استاذا لهم ، بفضل كل ما اضافه فى مجالى الاسلوب والمضمون . ففى مجال الاسلوب ، تبدو اعماله كعرض لتطور فن التصوير . فمن الكلاسيكية المنمقة ، المتزنة ، المرادفة لهيكل البلاط ، وصل جويا بانطلاقته وتحرره الى فتح أفق من آفاق المذهب الرومانسى بل لقد لامس مذهب التأثيرية حينما تجرأ على استخدام اللون الأسود ، الذى كانت تحرمه الاكاديميات من قبل ، واصبحت اعماله المسماة بالرسوم السوداء تمثل إحدى مراحل تطور الفن التشكيلى . أما فى عالم المضمون فقد أدخل جويا قطاعاً من المجتمع بكل ما يحمله من تناقضات وصراع .. بل لقد ادخل كل ما بهذا القطاع الهائل من احلام وآمال وخرافات ، مازجاً عالم الواقع بالخيال ، أو مخترقاً حدود ذلك الواقع ليصل الى مابعد الرؤية الملموسة والتعبير عن عالم المجهول .

ومهما اختلفت هذه الاعمال وتنوعت ، فان الرابط الاساسى بينها ، عبر اختيار جويا لمواقفه يظل دائماً الانسان .. الانسان الاسباني بكل ما يعتمل فيه من سعادة وآلام .

د. زينب عبد العزيز

ضحكات الشهر



صلاح البيلي

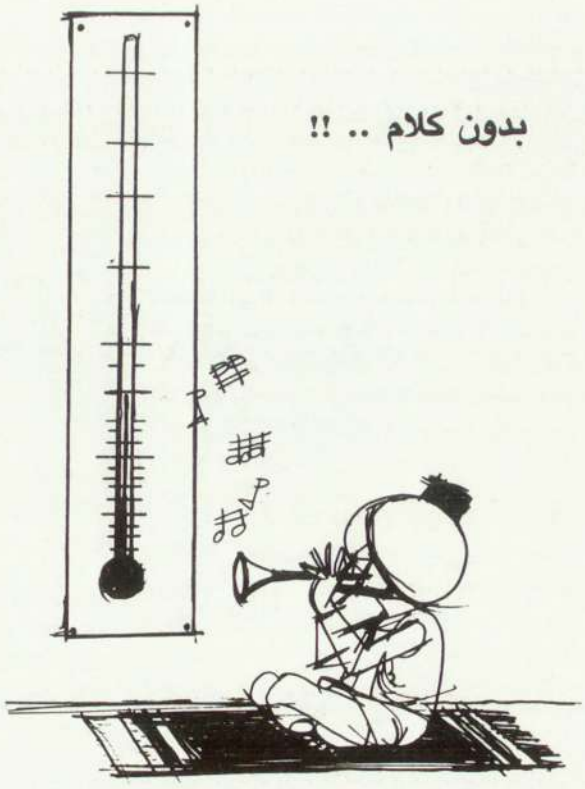
الحر







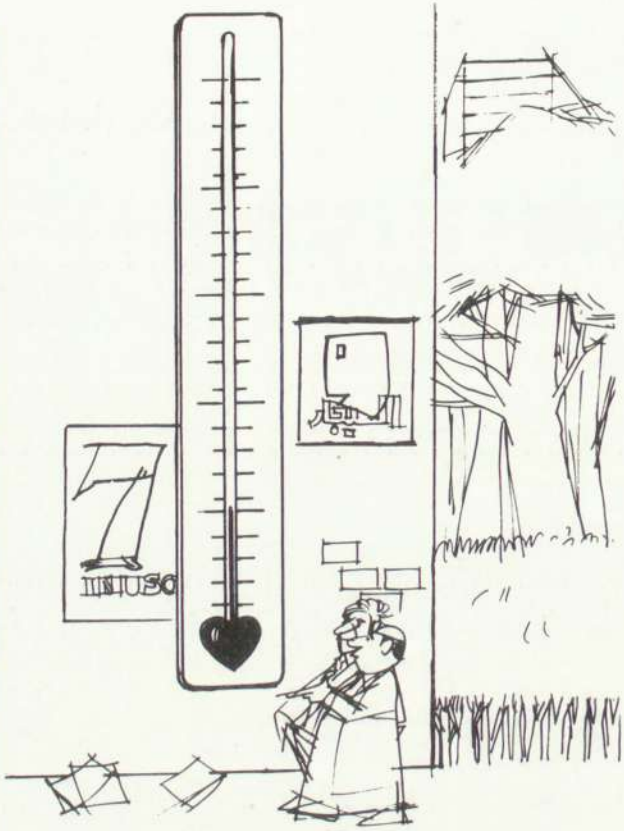
بدون كلام .. !!



بدون كلام .. !!



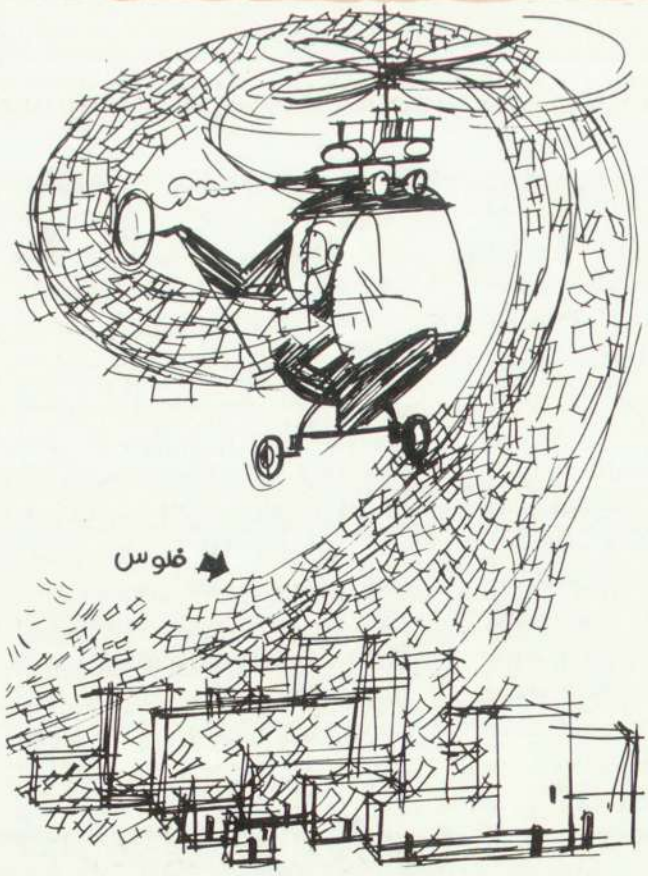
ـ .. دير بالك على السيارات السريعة
وابعد عن خط الاستواء .. !!



ـ .. لقياس درجة حرارة الحب .. !!



بدون كلام .. !!



ـ .. مبيد نقدى .. !!

محاكمة أدبية

جبران خليل جبران

لماذا بدأ ثائرًا.. وانتهى مهادنًا للاستعمار؟

بقلم: حارث طه الراوي

بعد نصف قرن مضى على رحيل «جبران» من عالمنا .. تطرح بعض التساؤلات نفسها :

لماذا لم يندد بوعد بلفور عام ١٩١٧ ؟

ولماذا لم يندد بالاستعمار البريطاني يوم قامت الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار الغاشم ؟

لماذا تجنب التنديد بالاستعمار الفرنسي الغادر يوم انقض الفرنسيون على دمشق عام ١٩٢٠ ؟

ولماذا أيضاً تجنب التنديد بهذا الاستعمار اثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ؟

استطاع «جبران خليل جبران» اكثر من سواه من ادبائنا في الثلث الأول من القرن العشرين ان يهز بعنف مشاعر الشبيبة العربية المتطلعة الى غد افضل في شتى مجالات الحياة ..

ولانه كان ظاهرة متفردة باسلوبه الشعري ونزوعه الرمزي الخيالي ، فقد سحر الكثيرين من الأدباء والمتأدبين ، فترسم بعضهم خطاه ، وحاولوا النسج على منواله ، ولكن اين المقلد من المبدع ؟ واين السراب من الماء ؟!

لم تكن في صيدلية جبران جميع الأدوية التي كان يحتاجها الانسان العربي في تلك الفترة المكفهرة من تاريخ أمتنا ، ولكن الناس تلاقفوا بعض الأدوية الجبرانية المنبهة والمنشطة بعد أن سئموا الحبوب المنومة التي توارثوها منذ قرون ، فلجوا بالثناء على هذا النطاسي البارع الشجاع الذي زودهم بالأدوية الشافية الممنوعة !..

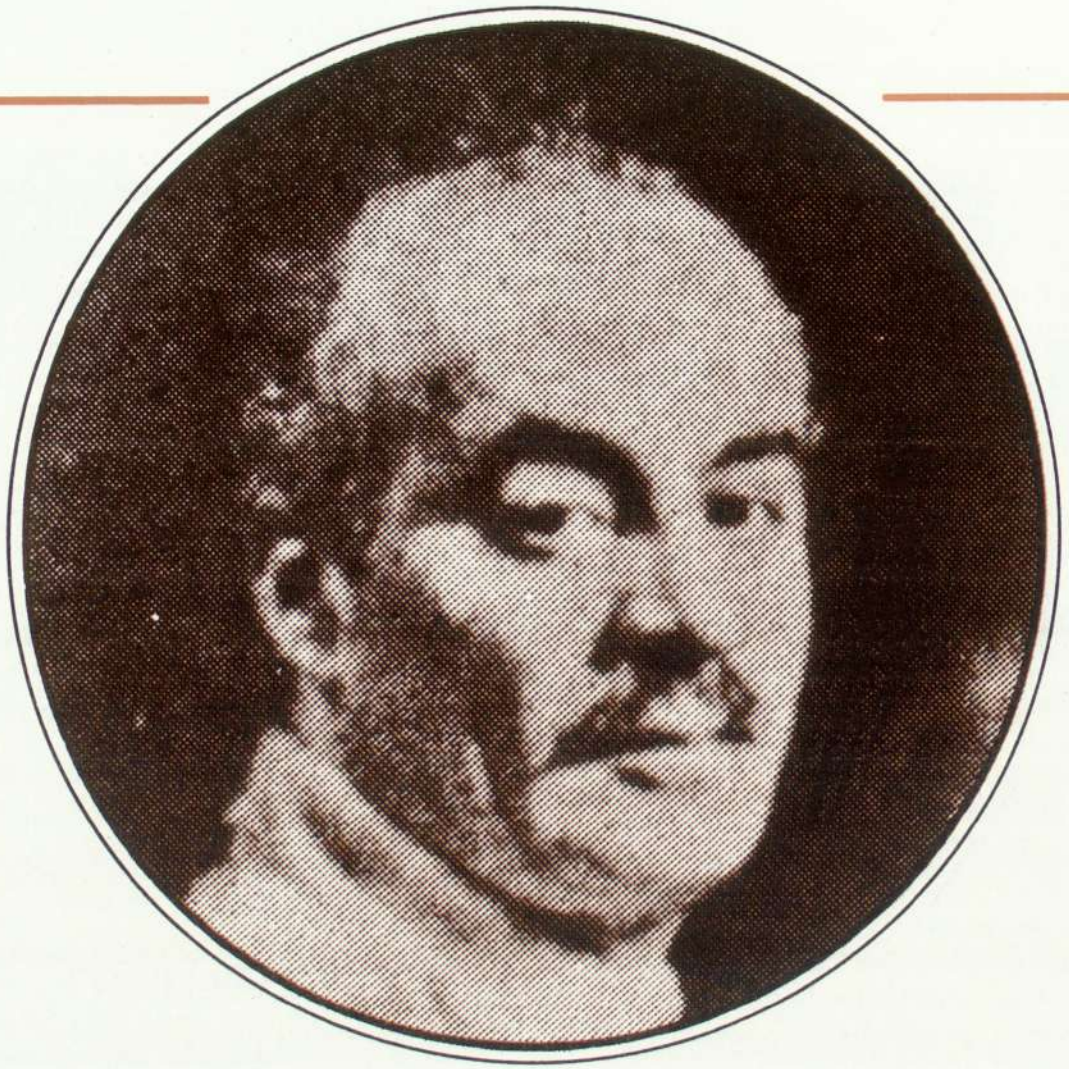
لقد كانت رسالة جبران في عهده الأول محاربة المسيطرة والتعصب والاستبداد والاستغلال ، وقد خاض بشجاعة حرباً ضارية على هذه الجبهات المزودة بالأسلحة الجهنمية الفتاكة ، فحقق نصراً مشهوداً بفضل كتبه الثائرة «الأرواح المتمردة» و «الأجنحة المتكسرة» و «عرائس المروج» و «العواصف» .

ومهما قيل في كتبه الأولى من أنها لا تمثل نضوجه كما مثله كتابه «النبي» فيما بعد وانه حذا في بعضها حذو «نيتشه» كما فعل في «العواصف» فان كتب جبران المشار اليها أدت دوراً ايجابياً في ايقاظ العالم العربي من سباته . فقد كان العالم العربي بحاجة ماسة لمن يهزه ، وكلنا يعلم ما فعلته صيحات الرصافي الذي هالته الهوة بين ماضي أمته وحاضرها فصرخ :

فدعني والفخار بمجد قوم
اذا فاخرتهم نكروا الجدودا

لقد أجمع المنصفون على أن نجاح جبران في مؤلفاته التي كتبها بالانكليزية كان أعظم من نجاحه في مؤلفاته التي كتبها بالعربية لأن جبران كان قابضاً على زمام اللغة الانكليزية كاديب من أدبائها ولكنه لم يكن بالقابض على زمام اللغة العربية ، ملماً بقواعدها وأسرار بلاغتها كما ينبغي أن يلم أديب كبير من أمثاله . وربما لا يعلم الكثيرون أن الأديب الراحل ولي الدين يكن كان أول من نبه جبران الى وجوب العناية ببيانه العربي وذلك سنة ١٩١٢ عندما أهدى جبران اليه نسخة من كتابه «الأجنحة المتكسرة» الصادر في تلك السنة . ومما قاله ولي الدين بهذا الخصوص :

«.. ولقد تخون الكاتب بديهته فيطلب كلمات لتؤدي مراده حق أدائه ثم لا يظفر بها فيقنع بكلمات تشير الى ذلك المراد وتقوم في مواضعها غير ثابتة . وإنما استطاع التغلب على هذه الصعاب



بكثرة التعاطى لمختار الكلام حتى تنشا فى النفس ملكة البيان . ولو كانت معانى هذا الكتاب فى أسلوب أقرب الى مناهج العرب لجاوزت غاية الاطراب» .

والذى يقرأ مقال ولي الدين فى «الأجنحة المتكسرة» يتضح له أن هذا المأخذ إنما هو نصيحة صديق معجب فيها كل الفائدة لجبران لو طبقها ، بعكس التبريرات العاطفية غير المنطقية التى دافع بها عن «جبران» الأديب المهجرى الراحل «حبيب مسعود» كقوله :

«.. أما الذين عابوا جبران فى لغته وفى بعض تعابيره التى خرجت على النمط العربى فقد كان اكثرهم متعسفا لا يرى فى أدب جبران وحلاوة تعابيره وعذوبة بيانه وطرافة تشابيهه ونبضة الحياة فى الفاظه ، غير تلك الهفوات التى لم يسلم منها احد من أدباء هذه اللغة التى تعجز أى بشرى عن الاحاطة بها لكثرة سماعها وغرائب قواعدها وتعدد وجوه الاجتهاد فيها» .

ويقتضينا الانصاف أن نقول : ان هفوات «جبران» اللغوية وركاكته البيانية قد سلم منها الكثيرون من أدبائنا الذين هم من عيار جبران أو دون عياره . واذا كانت هذه اللغة «تعجز أى بشرى عن الاحاطة بها ، لكثرة سماعها وغرائب قواعدها وتعدد وجوه الاجتهاد والتخريج فيها» كما يقول «حبيب مسعود» فما علاقة ذلك ـ إن صح هذا الزعم ـ بالعثرات اللغوية والنحوية عند «جبران» وهى عثرات لا يكثر فيها السماع ولا تتعدد فيها وجوه التخريج والاجتهاد ..

لقد ارتفع «جبران» ببعض افكاره ومعانيه الى قمم الابداع الشاهقة فكان

معروف الرصافي



نيتشه





جبران خليل جبران

لماذا بدأ ثائراً .. وانتهى مهادناً للاستعمار؟



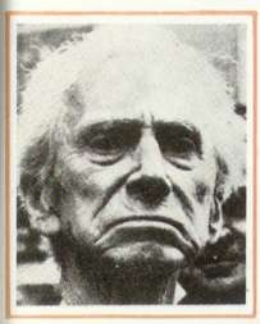
طاغور



برنارد شو



سومسرت موم



برتراند راسل

يجمل به ألا يضيع أسلوبه العربى فى غير مستوى القمم ، ولا يكفى أن يقول الأديب العربى لاخوانه أدباء العربية : «لكم لغتكم ولي لغتى» كما قال جبران لكى يكون معصوماً من الهفوات ، بعيداً عن المآخذ . فجبران قال ذلك باللغة العربية لا بلغة ابتدع حروفها وألفاظها وقواعدها من مخيلته !...

●●●

وأدب جبران بسيط من حيث شكله وموضوعه ، لا تعقيد فى ألفاظه ولا التواء فى أفكاره وهذا لا يعنى أن الرجل كان واضحاً فى كل آثار قلمه وريشته ، فالمعروف عنه ـ فى عهده الثانى ـ أنه كان يسرف أحياناً فى الرمزية اسرافاً يخرجه عن نطاق الأدب الواضح المفهوم الى حيث الكلمات والأفكار الضبابية التى لا رصيد لها فى الوضوح لاسيما فى السنين الأخيرة من حياته عندما ألف كتابه الضبابى «آلهة الأرض» ..

ولم يبلغ جبران فى «آلهة الأرض» ذروة الانجذاب الماورائى وقمة التفكير الميتافيزيقى ، فقد سبق له أن بلغ هذه الذروة وتلك القمة فى كتابه «النبى» الذى نشرة سنة ١٩٢٣ ـ هذا الكتاب الذى يمثل جبران فى عهده الثاني مسالماً ومهادناً وثائراً على ثورته فى عهده الأول ويمثل أيضاً طموحه نحو الارتفاع على البشر وكأنه كائن أعلى من كل انسان

ومهما قيل فى هذا الطموح الجبرانى غير المشروع ، فانه على كل حال أضعف رسالته كأديب من البشر يكتب لصالح البشر وحصر قراءه فى طبقة معتنقى مذهب التناسخ ووحدة الوجود والمفتونين باى اتجاه روحى غريب من الأميركيين الذين يحيون حياة متناقضة لهذا الاتجاه . أما السواد الأعظم الذين عشقوا جبران الثائر فى «الأرواح المتمردة» و «عرائس المروج» و «الأجنحة المتكسرة» و «العواصف» وحتى الذين عشقوا جبران الرومانسى فى «دمعة وابتسامة» فقد أصيبوا بخيبة أمل كبرى تجاه هذا الاتجاه الجبرانى ..

ما هى الدوافع التى جعلت جبران ينتقل من مناخ الثورة الى مناخ السلام والمهادنة ؟ هل انتهت المشكلات التى ثار جبران من أجلها ؟ لم أن ادراكه ازداد اتساعاً ؟ أم أن هذا الاتجاه الروحى المسالم أضمن للربح المالى ؟

لا نعرف بالضبط الدوافع لهذا التحول ولكننا نعرف جيداً أن جبران العربى اللبنانى المتلمرك هو ابن بيئته الجديدة ، بحيث لا يمكنه أن يتنصل مما تفرضه عليه هذه البيئة الجهنمية من مفاهيم واتجاهات اذا أراد أن يعيش فى بحبوحة ..

فهل من مصلحة القوى المؤثرة فى البيئة الأميركية فى زمن جبران وحتى الوقت الحاضر ، وهى قوى رأسمالية استعمارية وصهيونية جشعة أن يظهر كاتب عربى مغترب يتجاوب مع آمال وآلام أمته العربية المتطلعة نحو الحرية والتقدم ؟ بالطبع لا . ولهذا شجعت جبران على اتجاهه الجديد الذى لا يهدد مصالح المستعمرين فى البلاد العربية ولا يعصف بالبنية الاجتماعية العربية الموغلة ، آنذاك ، بالرجعية والجمود والتخلف ..

ولهذا وجدنا جبران خليل جبران يتجنب التنديد بوعد بلفور سنة ١٩١٧ وبالاستعمار البريطانى يوم قامت الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار الغاشم مثلما تجنب التنديد بالاستعمار الفرنسى الغادر يوم انقض الفرنسيون على دمشق سنة ١٩٢٠ وحملوا جثث شهدائنا الأبطال على الجمال إمعاناً فى التشفى والارهاب ، وتجنب التنديد بهذا الاستعمار أيضاً أثناء الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ ..

وإذا قيل ان جبران كان بعيداً عن السياسة فما شانه بتأييد هذه الثورة أو تلك والتنديد بهذا الاستعمار أو ذاك ، فهذا القول مردود لأن جبران كان يمارس نشاطاً سياسياً ضد العهد العثمانى وكان من ألد أعداء العثمانيين كما تشهد رسائله الموجهة الى مارى هاسكل الأميركية التى أنفقت على جبران ورعته فى مستهل حياته الفنية والأدبية .

لقد أراد جبران أن يكتب للانسانية فى عهد «طاغور» و «برناردشو» و «ويلز» و «رسل» و «سومسرت موم» و «دانونزيون» و «جورج سانتيانا» وغيرهم من أعلام الكتاب والمفكرين العالميين ، فلم تكن الانسانية بحاجة الى قلمه فى ذلك العهد الذهبى فى الأدب والفلسفة ، بل كان وطنه العربى بأمس الحاجة الى قلمه السيال ، وكان بما يتمتع به من أسلوب خاص وطاقة روحية هائلة يستطيع أن يلعب دور غاندى فى محاربة مستعبدى وطنه الأصغر لبنان والأكبر العالم العربى بأسره ، ولكنه ـ وا أسفاه ـ لم يفعل . ولو فعل لكان أكبر حجماً من حجمه الحاضر الذى يحاول البعض أن يضخمه على حساب الحجم الحقيقى .

حارث طه الراوى

انظر إلى الماضي دون خجل



مجلة علمية أدبية صناعية زراعية
تصدر مرة في الشهر
العدد الثاني - يوليو تموز ١٨٨١
لمنشئها ومحررها: صلاح الدين المقريزي

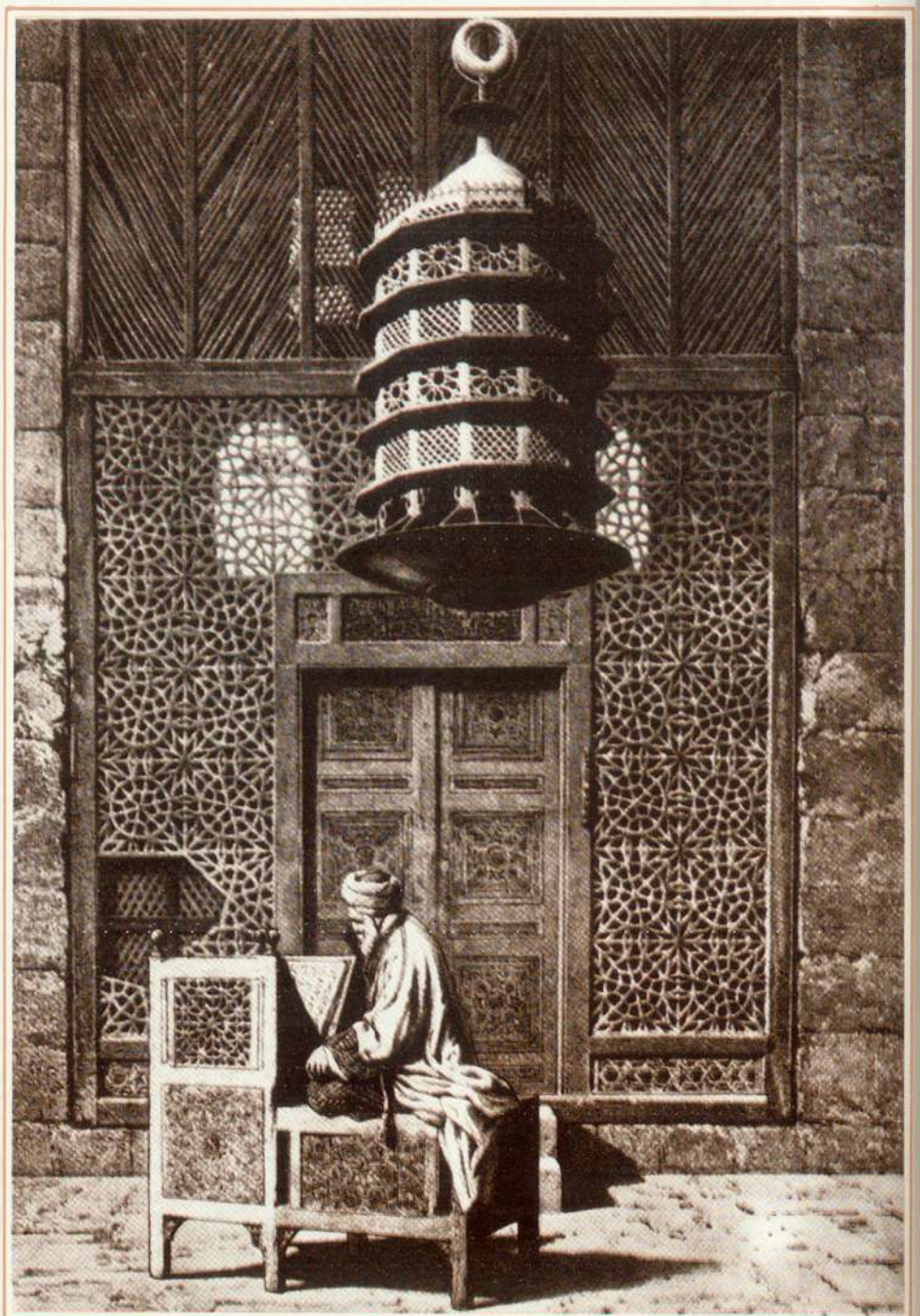
من مواد هذا العدد

● إضاعة اللغة تسليم للذات
عبد الله النديم

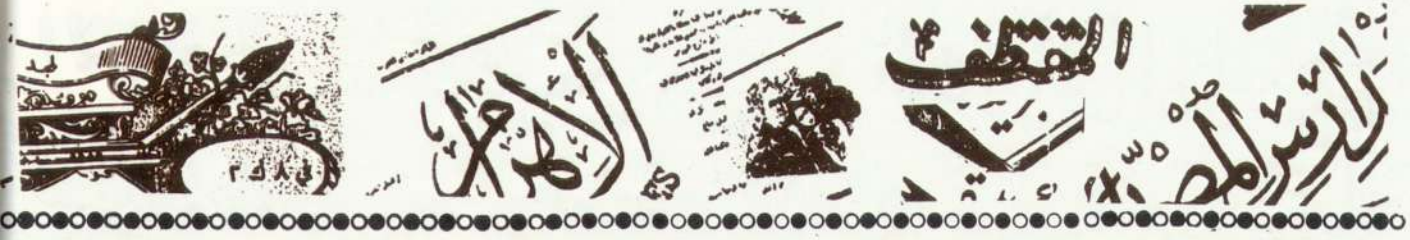
● النساء وحقوق الانتخابات
سليم النقاش

● شذرات في تربية الأولاد

● تمثال لفيكتور هوكو



قارىء القرآن فى أحد المساجد العربية فى القرن الماضى



عزيزي القارئ

تيه لتتفاهمنه أيتها PLEASE

عزيزى القارىء :

فى يونيو الماضى ، كنا فى الشارقة ، وتلقينا دعوة عشاء على مائدة كاتب لبنانى يعمل هناك .. وما أن اكتمل المدعوون عدداً حتى اكتشفنا انهم ـ بالصدفة التى ليست محضة ـ يشكلون جامعة شعوب عربية ، فقد كان من بينهم صحفيون وكتاب وادباء ورجال أعمال ومهنيون ينتمون الى معظم أقطار الوطن العربى .. من مشرقه الى مغربه .. ومن خليجه الى محيطه ..

وكان طبيعيا أن يتحول العشاء الى سوق عكاظ تزدحم بالهموم العربية التى أخذت تنافس دخان اللفائف فضاء الحجرة الواسعة ، ويحجب ايقاعها هدير أمواج الخليج .

وحين أثار أحد الحضور تعليقا على العدد الماضى من هذه المجلة ، قضية «التاصيل» ، اندمجنا جميعا فى المناقشة بحماس ادهشنى انه خلا من اللجاج ،واتفقنا رأيا على أن العودة للاصالة هى خط الدفاع الرئيسى لنا فى مواجهة هؤلاء الذين يريدون اقتلاع شخصيتنا وطمس هويتنا العربية ، وافقادنا الثقة فيما صنعنا فى الماضى ، لنفقد الثقة بالتبعية فى أن نفعل شيئا آخر اليوم أو غدا .. وتلك هى الكارثة التى تهددنا ..

من العموميات انتقل الحديث الى التفاصيل : آنذاك لم يبد الموضوع بسيطا كما تخيلنا فى البداية ، فالعودة الى «التاصيل» تتسع لمختلف عوامل الشد والجذب وسوء الفهم وسوء القصد . قال البعض لا تنسوا أن فى أمتنا كثيرين يزدرون كل تقدم ، ويؤكدون أن العرب كانوا اسعد حالا واهنا بالا حين كانوا يرعون الابل ويتبلغون بضع ثمرات .

وقال الآخرون : ولا تنسوا أن فى أمتنا كثيرين يزدرون كل ما هو عربى ، ويعرفون عن شكسبير وكانت ، وكيتس ، وشيلى ، وبايرون ، اكثر مما يعرفون عن الجاحظ ، والمعرى ، وابن رشد ،

فضت ربة المنزل الاشتباك بين الفريقين حين قطعت المناقشة ، فنادت مدبرة منزلها قائلة : سناء .. من فضلك «وقالتها بالانجليزية» احضرى كوب ماء !

ودخلت سناء الغرفة .

جزمت لاول نظرة الى ملامح وتعبيرات وجهها ، ان خطأ ما قد حدث ، وإلا فكيف تاتى لهذه المراة الريفية أن تفهم كلمة «من فضلك» التى القتها مضيفتنا بكل ما فى الطباع الانجلوسكسونية من وقار ؟ وكيف لم تلتفت نحن العرب الى ذلك الفصام الذى نعيشه . فنحن نتحدث عن الاصالة فنحسن الحديث ، ونطالب بالعودة اليها فتتحمس للدعوة ، ونتنبأ بالكارثة التى ستحيق بنا ما لم نواجه الاعصار القادم يتلمظ لنفطنا ويتنمر لموقعنا الحيوى ، ويحاربنا على جبهة انتمائنا للوطن ، باضرى مما يحاربنا على جبهات القتال أو على موائد المفاوضات ، فتؤكد حوادث كل يوم نبوءتنا .

لكننا مع هذا نتصرف ونعيش ، وفى أعماقنا ـ ربما دون أن ندرى ـ احساس بالضعف تجاه كل ما هو أوربى ، فنحن نبالغ كثيراً فى تقدير رأى الأوروبيين فى شئوننا ، ونسر اكثر من اللازم إذا مدحوا عملا مما نعمل ، وكان مدحهم هو الشهادة التى لا نستحق بغيرها الحياة . ونحن نتصرف غالبا وكان كل ما هو جميل أوربى ، سواء كان امراة أم زجاجة مياه غازية . ونحن ذوى قابلية عالية للاستهواء إذا ما كانت الفكرة أو السلوك أو التقاليد أوروبية .

وحتى هؤلاء الذين يملأون أسماعنا هجوما على كل ما هو أوربى ، فيطالبون بمقاطعته ، ينطلقون من نفس الموقع ، فهم ينظرون الى الحضارة الأوروبية كانها انجاز أوروبى ، فيروجون بذلك لفكرة أوروبية بالأساس ، بينما الواقع يؤكد أن ما يسمى الآن بالحضارة الأوربية هو محصلة مسيرة انسانية طويلة شارك فيها العرب ، حين ازدهرت حضارتهم . رعاة ابل وأكلة تمر ، يتنازلون ـ دون تفويض ـ عن امجاد ليست ملكهم وبين ايدينا اعمال البيرونى وابن رشد وابن خلدون وابن سينا إذا أرادوا الاحتكام الى محكمة التاريخ !

وفى السنوات الأخيرة ، تصاعدت أعداد الشبان العرب الذين يرحلون الى أوروبة للدراسة ، وهى ظاهرة طيبة ، فالعلم ضالة طالبه ، وهو ميراث الانسان مذ كان على الأرض انسان ، ولأن هذا الجيل من المتخصصين العرب ـ فى كافة فروع المعرفة النظرية والتطبيقية ـ هم بناة المستقبل وصناع وطن الغد ، فلابد أن تقلق لذلك الاعوجاج فى السنتهم ، تتلكأ المفردات العربية على أطرافها . ويعجزون عن صياغة جملة عربية كاملة ، ولا يتجاوزون مازقا فى التعبير إلا اذا استخدموا كلمات لاتينية .

الأرجح أن هؤلاء ذهبوا الى أوروبة بعقلية ترى أنهم عيالا على حضارتها وعلمها وتقدمها ، فلم يستطيعوا الصمود أمام الاستهواء ، فعادوا وعلى رءوسهم قبعة «وبايب» .

ولأن تلك ـ فى راينا ـ هى الكارثة ، فقد اخترنا أن تكون افتتاحية هذا العدد مقالة بعنوان «اضاعة اللغة .. اضاعة للذات» .

وصاحب المقال هو المفكر العربى «عبد الله نديم» (.... ـ ١٨٩٦) . وهو صعلوك سكندرى ، ولد فى ميناء يقع على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط ، وحملته البواخر ـ منفياً مطارداً ـ الى معظم موانيه فنزل فى يافا وطرابلس واللاذقية ، ورحل شمالا الى البوسفور والدردنيل ، وعاش يخطب ويكتب الشعر وينشىء الصحف والجمعيات ، ويحاور الساسة والصعاليك ، وهو فى كل ذلك أسير فكرة واحدة : إن وعى الأمة بذاتها هو خط دفاعها الرئيسى ضد الانسحاق .

والمجلة التى نشرت هذا المقال ، منذ مائة عام كاملة ، هى مجلة «التنكيت والتبكيت» ، وهى لا تقل غرابة عن شخصية صاحبها عبد الله نديم واسمها ذاته كاف لوصفها ، فقد صدرت لتخدش لا لتجرح ، فاذا طعنت ففى غير مقتل

كانت بوقا كبيراً زلزل سكون الليل العربى منذ قرن كامل . ينبه النيام ويقيم الراكعين ويشجع الخائفين والمترددين . ويطالب ببناء صناعة وطنية ، وانشاء مدارس تعلم النشء مبادىء الانتماء للأمة ، وتغرس فى نفوسهم مشاعر الاعتزاز بادبها ولغتها وتاريخها . ويلح على العرب أن ينتقلوا من الانتماء للنفس أو للعائلة والعشيرة ، للانتماء لجامعة الوطنية ، بالعمل المشترك من أجل تقدم الوطن ورقيه ..

واظنك توافقنى ـ عزيزى القارىء ـ على أن كاتبا تظل كلماته صالحة للنشر بعد مائة عام ، لابد وانه جزء من ماض لا يدعو للخجل بل للفخر ، ولعلك توافق على أن أبناء يعجزون عن تنفيذ وصية آبائهم طوال قرن كامل ، هم الذين يبعثون على الخجل !

صلاح الدين المقريزى





التنكيت والتبكيت

لصاحبها ومحررها

عبدالله النديم

إضاعة اللغة تسليم للذات

عبدالله النديم

أيها الناطق بالضاد :

بم تستبدل لغتك وما لها من مثيل والى من تتركها وانت لها كفيل ، وما الذى استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابله فيها ، واى شىء طلبته فيها ولم تجد له إسما . ترى انك فى عصر تمدن يقضى عليك باستعمال ارق اللغات ، لسهولة التركيب وعذوبة اللفظ ورقة المعنى .

ناشدتك الله هل وجدت فى اللغات الحديثة العهد ما اشتملت عليه لغتك القديمة ، أم رايت حسنا فى اللغات التى تنقح كل يوم بقلم المتمدنين لم تره فى لغتك الفطرية الخلق ، المجموعة فى زمن الهمجية كما يزعم الجاهلون . اترى إذا عبرت عن شىء بلفظ فى غير لغتك واردت تتصرف فيه بعبارة اخرى هل تجد له مرادفا واحدا كما تجد فى لغتك للفظ جملة مترادفات ، أم انت الجاهل بقدر لغتك ، الغافل عن عظم قدرك فى تاريخ العالم قديما وحديثا.

اظنك فى احتياج لفهم سر اللغة ومعرفة ما يترتب على ضياعها ، ولا تترتب عليك فى امر لم يبحث فيه إلا بعد الغور فى حساب العواقب ، شديد الحرص على بناء وحدة الهيئة الاجتماعية .

لبيك ايها الاخ الشقيق وإن لم نحمل فى بطن واحد . اللغة سر الحياة والحد الفارق بين الانسان والبهيم . بها يترجم اللسان خواطر القلب ويجلو بنات الافكار ، وبها يعشق المرء وإن كان دميم المنظر . إن رقت استعطفت القلوب القاسية وإن غلظت اخضعت النفوس العاتية ، وإن فحشت حركت الطباع . وإن لطفت رفعت الأوضاع وإن حسنت الفت القلوب وإن سهلت اظهرت الغيوب .

وهى التى بها جذبت قلب أمك واستعطفت جانب أبيك وتملكت فكر اخيك واستملت صاحبك والفت جارك وتعارفت مع مواطنك وقابلت بها نزيلك . فهى انت إن كنت لا تدرى من انت . وهى وطنك إن لم تعرف ما الوطن ، أما كونها انت فقد قدمت لك من عرفتهم بها وانت اذا فقدتهم صرت وحيداً غريبا فى الوجود لا ترى من يقول لك من انت . واما كونها وطنك إنما يعمر ويسمى وطنا برجال يتعاونون على احيائه وإظهاره فى الوجود محلا للسكنى ودارا للاقامة . وقد علمت انك بمفردك لا تهتدى لشىء ولا تقوى على اى أمر كان ، ومن فقد المواطن فقد الوطن .

اسمعك تقول إذا فقدت لغتى اعتضت عنها باخرى . اجل انك اعتضت عنها ولكن بما اضاع منك الوطنية والمعتقدات الدينية ، فانك لا تخاطب إلا اجنبيا من البلاد مغايراً فى الجنسية ، وانت تعلم أن لمعانى الالفاظ تصوراً لا يقوم به مقابلها فى غيرها فانك لو سمعت قولى :

ومن غرر الأخلاق أن تهدر الدما
لتحفظ أعراض تكفلها المجد

واردت أن تلقيه بلغة اخرى لفقد قوة الحماسة ووقع الالفاظ ، وربما عبرت عنه بما لا يؤدى معنى .

ولو سمعت قولى :

اجل صفات المرء فضل ومنطق
وبعدهما كل الصفات غرور

لسردت عبارة يضيق صدر السامع بها ، ولا يصل لفهم المقصود. وهبك توسعت فى غير لغتك وتفننت فيها ، اتناجى ربك فى أوقات عبادتك بها أم تقرأ بها كتابك المعجز يحسن نسقه ، أم تخاطب بها باعة الفجل عندما تشتريه ، أم تستعطف بها قلب امك وقتما تغضب عليك ، أم تعاشر بها عامة قومك وهم اهل



البلاد .

اراك استهجلتنى وقلت إن الرجل لعدم علمه بغير لغته ينكر بلاغة غيرها . مهلا أيها المدل بنفسه ، فان فى قولى (لمعانى الالفاظ تصور لا يقوم به مقابلها فى غيرها) حكما يقضى بها على كل ذى لغة على عدم قيام غيرها بما تقوم به ، فربما كانت حماسة هذا اللفظ فى لغتك تخنثا فى غيرها وبالعكس ، وهذا ما ياخذه الذوق من غير بحث فى اللغات ، واراك تعدنى من الجاهلين بضروريات الاختلاط من معرفة لغة النازلين بوطنك .

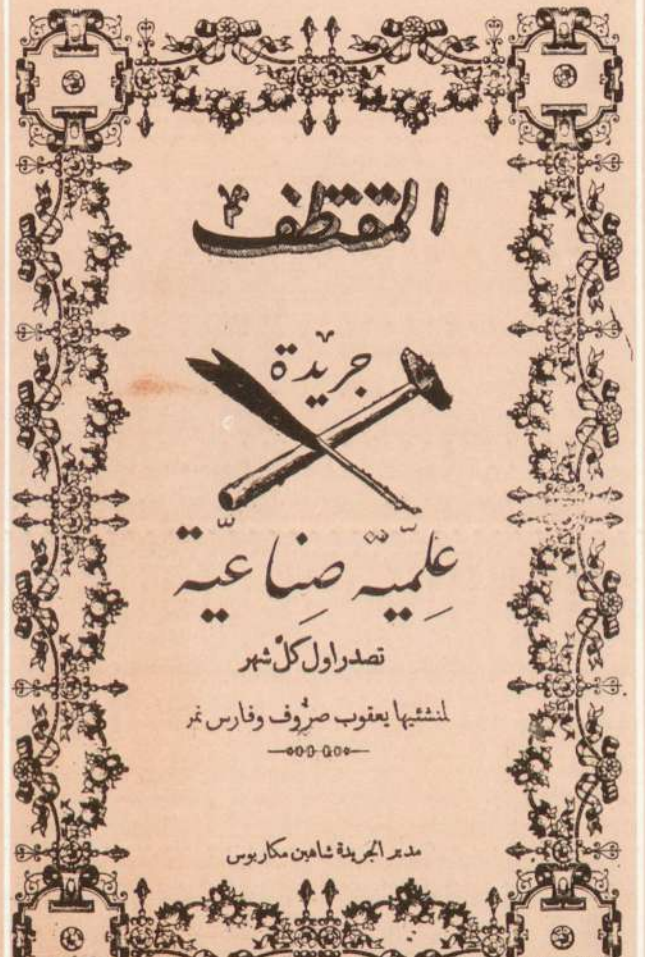
رويداً فقد قدتك الى الحق ورميتنى بالضلال ، فانى لم احرم عليك غير لغتك لضرورة تقضيها ونازلة تدفعها ، ومشكل تحله ، وإنما اردت تذكيرك بان لغتك كان منطوقا بها من غير تعلم محفوظة فى غير كتاب وبمغالطة الدخيل فسد بعضها وخيف عليها الضياع ، فدونت فى بطون الأوراق وبقيت قوتها فى اللفظ والكتابة ، ثم كثر فيها الدخيل حتى انتخب لها كتاب ومنشئون ، ثم تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لا قاعدة تمشى عليها ولا كتاب يحفظها ولا ضابط يجمعها ولا حروف تؤلف منها ، وإذا اردت معرفة لغة ابائك افنيت الكثير من السنين فى طلبها ، وهيهات إن ادركتها وقد عظمت المصيبة فقد الكتاب والمنشئين ثم تم التغيير بتكلم العامى بعبارة طويلة ثلثاها اجنبى عن لغته الأصلية والاصطلاحية .

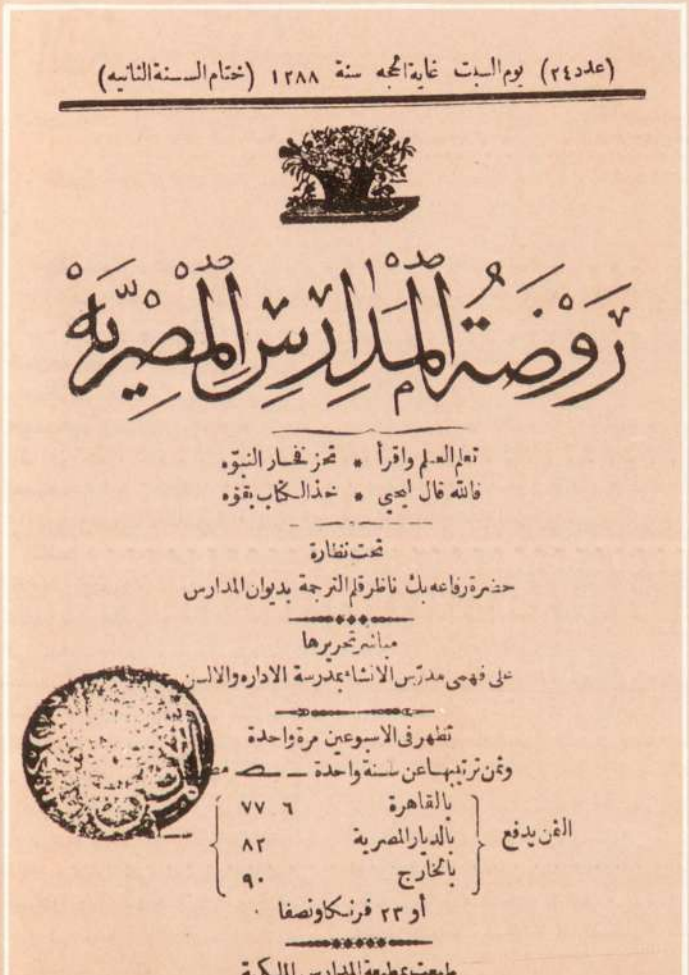
الا تعلم أن اللغة تقضى على المتكلم باتباع ما تقتضيه عبارتها فتراك تهتز فى عبارة اجنبية يلزمك الثبات بها فى لغتك ، وتستحسن امرا عنون بغير لغتك وهو مستقبح فى عادة بلادك ومعتقد اهلك . ولاشك أن هذا يسير بك فى طريق الاستحسان حتى تستقبح لغتك وعادة بلادك فتبيت وانت وطنى مر وتصبح وانت فى يد اجنبى يصرفك كيف يشاء .

وناهيك بالأندلس الذى كان روضة الآداب وبستان المعارف العربية وبترك لغته واستعمال الدخيل فقدها فقد محو وجهل ... جهل طفولته ، فمن يجتمع معك فى جدك السابع او الثامن من أهله أصبح يعبر عنك الآن بلفظ (أرابو) أى عربى وساءت تلك المبادىء وبئس هذا المنقلب .

هون عليك فالأمر سهل ، فاننا لا نحتاج لحفظ لغتنا اكثر من إحداث درس فى جميع المدارس يلقن فيه الطفل لغته العربية الشريفة بطريقة تهذيبية ، لا يصعب الأخذ بها ولا تمل النفس من ملازمتها مع اجتماع الأمة على تكثير المدارس بالجمعيات ، وصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغة والوطنية وتهذيب الأخلاق وحفظه من معلم اجنبى يغرس فى طبيعته الساذجة حب بلاده ، ويحسن لأفكاره الخالية طباع أهل جلدته ، وإذا تمت هذه المبادىء رأيت لبلاده نشاة جديدة ، وخلقا بديعا ، وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم وانتظام الهيئة الاجتماعية . إن إضاعة اللغة تسليم للذات .







المقتطف وترغيب القراء في العلوم

صدرت صحيفة المقتطف فى عام ١٨٨٥ ميلادية ، واخذت كلمة مقتطف من معنى اقتطاف ما فيه نفع الناس من العلوم ، وقد ارادت المجلة أن توضح الهدف من اصدارها فقالت : «إن كل من يتدبر أحوال المجلات العلمية يحكم بأن اتعابها تزيد على أرباحها ، والذين ينشئونها فى الشرق يخطئون اكبر خطا اذا اتخذوها وسيلة لاكتساب المال ، فالمقصد الأول من المقتطف ترغيب القراء فى العلوم وتربية ذوقهم عليها.

وكانت مجلة المقتطف تخصص مقالاتها الافتتاحية لشارلس دارون ونظريته فى الارتقاء ، وتضمنت أيضاً فى أعدادها الأولى سلسلة من المقالات عن عمر الأرض ومواليدها وتعاقب الحيوان والنبات ثم الانسان على الأرض ..

وادت تلك المقالات وغيرها الى أن قرظتها الجمعية البريطانية الفلسفية (مجمع فيكتوريا) ، غير أن المجلة بصورتها التى قدمها اصحابها (صروف ـ نمر ـ مكاريوس) وجدت معارضة من مئات مثقفة كثيرة فى ذلك الوقت ، واعتبروها مجلة تلجأ الى كل بدعة على وجه الأرض تضليلا للبسطاء

روضة المدارس وأبرز مثقفي العصر

عندما عهد «ديوان المدارس» وناظره علي مبارك برئاسة تحرير المجلة الفكرية التى قرر اصدارها الى رفاعة الطهطاوى ، جاء فى قراره : «إن المشار اليه من بين أرباب المعارف ومعترف بدرجة فضله الرفيعة على كل انسان» ..

وقد كانت مجلة «روضة المدارس» التى رأس تحريرها عام ١٨٧٠ ميلادية عبارة عن مجمع علمى وأدبى وفنى .. وكانت الأولى من نوعها فى مصر ..

وضمت نخبة من الكتاب المثقفين وابرز علماء العصر ومفكريه ومترجميه .. وكانت هذه المجلة تنشر ملاحق لاعدادها باقلام متخصصين أمثال عبد الله فكرى وعلي مبارك والدكتور محمد بدر ، ونشرت للطهطاوى نفسه عدة مقالات بالاضافة الى كتابه «نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز» ..

وظل الطهطاوى رئيسا لتحريرها حتى توفى فى اليوم التالى لصدور عددها السادس من العام الرابع فى ٢٦ مايو ١٨٧٣ ميلادية فرأس تحريرها ابنه علي فهمي رفاعة الذى واصل على نهجه



شذرات في تربية الأولاد

قال بعضهم . تهذيب الولد يبتدىء قبل تعليمه فى المدرسة يبتدىء بنظرة أمه والتفات أبيه وتبسم أخته واجتهاد أخيه .

وقال أحد الأطباء . أن ما يسمعه الطفل ويراه فى السنتين الأوليين من عمره ينطبع فى ذهنه انطباعاً لا يمحى ويؤثر فيه مادام حياً . فيجب الانتباه التام الى كل كلمة يسمعها وكل عمل يراه لكي لا يسمع إلا الكلام الصادق المهذب ولا يرى إلا الأعمال الحسنة المفيدة .

وقال غيره . الصدق أمس ما يجب اتباعه فى تربية الأولاد وتهذيبهم والسلوك معهم فمن كذب على ولده أو تلميذه ولو مرة واحدة علمه الكذب ونزع هيبته من عينيه

الأدب في العالم :

لا يعرف الفضل إلا ذووه ..!

تمثال لفيكتور هوكو!



لم يفت هذا الشاعر المفلق والرجل العظيم شيء من مظاهر الاكرام والاجلال التى يمكن أن ينالها الانسان فى أدوار حياته ، وقد كنا نحسب أنه بلغ من التكريم مقاماً امتنعت الزيادة عليه لأنه حصل من الشهرة فى جميع أقطار المسكونة وعند جميع الأمم مرتبة لا يتصور الانسان أرفع منها ، وأقرت له أوروبا بالسبق فى حلبة الشعراء والخطباء حتى أظهرت له الشعوب على اختلاف اجناسهم ولغاتهم أنه منتهى آمالهم ومفتدى آدابهم ، وأنه هو رب الشعر وأبو الفضل ، وأنهم لو كانوا فى امكانهم لجعلوا له فى قبة الزرقاء عباءه ، ولرفعوه فوق القمرين إجلالا وعقدوا له فى العلياء عروشاً ، ولا غرو فان هذا النابغة قد بلغ فى مراتب العلا السدرة الكبرى فلا يأخذ بعد ذلك على قومه ما خصوه به من الاكرام والتعظيم ، فانه جدير به وهم قوم يقدرون الأشياء أقدارها ، ولا يغفلون عن مقدار ذرة من فضل علمائهم الأعلام ولكنهم علموا من أنفسهم أنهم مع كل ما أبدوه لشاعرهم من الاجلال والاكرام لم يوفوه حقه ، فلم يعدموا إلى ذلك وسيلة ولم يروا شيئاً أظهر لفضل شاعرهم المفلق وخطيبهم المصقع من إقامة تمثال له فى حياته فعقدوا فى أواخر الشهر الماضى فى باريس جلسة حافلة حضرها جمهور غفير من أهل الأدب ومحررى الجرائد ، فشكلوا لجنة مؤقتة مؤلفة من ١٣ شهماً برئاسة لويس بلان أحد زعماء الحرية ، ولتهتم باقامة تمثال لشاعرهم فى إحدى ساحات باريس تدعى « أفنوديلو » وجعلوا اسمها بلاس هوكو (ساحة هوكو) وقد اقيم له قبل الآن تمثال فى التياتروفرانسه كما اقيم لفولتير من قبله والآن عادلوا بينهما باقامة تمثال لهوكو فى ساحة عمومية ، ولسوف ترى هذه الساحة تمثال أعظم شعراء العصر وما أجدر هذا التمثال بان يكتب عليه بماء الذهب « من أدباء الأمة الفرنسوية إلى فيكتور هوكو خطيب الحرية وشاعر الانسانية .

(العصر الجديد)

فلتسمع نساؤنا .. بل فليسمع رجالنا

النساء وحقوق الانتخابات

تقرر عند أهل كرواتيا وهم نحو مليون نفس أن النساء قد خصتهن الطبيعة بمزايا وصفات يعز وجودها عند الرجال ، وأنهن شريكات الرجال بالمعنى الحقيقى الباعث على الوجود الانسانى . فعدوا من الواجب مشاركة النساء للرجال بما تقدم به المدنية ويستقيم أمر التمدن وتتشيد مبانى التهذيب ولاسيما أن على النساء تربية الأطفال وتهذيب أعضاء العائلة وتثقيف عقول الأولاد ليرضعوا لبان المعارف منذ نعومة الأظفار .

ومعروف أن النساء والرجال من جهة الجبلة سواء لا فرق بين الفريقين بظاهر التركيب بل ذهب الكرواتيون إلى أن الرجال والنساء من جهة الحقوق المدنية سواء وهو مذهب بعض أهل أمريكا ، فأقاموا المرأة بمنزلة الرجل وخولوها الحق فى انتخاب أعضاء المجلس والحكام حتى لهن فى الانتخاب أصوات وآراء كالرجال ، وقد دعا أهل كرواتيا النساء الى مشاركة الرجال فى انتخاب أعضاء المجالس البلدية فى جميع الولاية ، فظهر من القوائم الواردة الى إغرام – وهي مركز كرواتيا – أن عدد المنتخبين ٣٢٠٠ نفس منهم ٨٠٥ نساء . فلتسمع نساؤنا .. بل فليسمع رجالنا .

سليم النقاش
العصر الجديد

إعلان

من إدارة المحروسة والعصر الجديد بالإسكندرية

بعد الاتكال على الله تعالى عزمنا على طبع كتاب (علم الدين) تاليف سعادة على باشا مبارك ناظر الاشغال العمومية على أجزاء لا تنقص عن الأربعة كل جزء منها خمسون ملزمة أو ٤٠٠ صفحة وقد جعلنا شروط الاشتراك كما يلى :

(١) ثمن الجزء الواحد منه للمشتركين ١٠ فرنكات فقط .

(٢) باب الاشتراك مفتوح لغاية شهر سبتمبر (أيلول) وحينئذ يصير ثمن الجزء ١٥ فرنكاً .

(٣) الدفع يكون سلفاً عن كل جزء بمعنى أن المشترك يؤدى سلفاً ثمن الجزء الأول ١٠ فرنكات وعند استلامه الجزء الأول يؤدى ثمن الجزء الثانى وهكذا عند استلام الثانى يؤدى عن الثالث ومثل ذلك سلفاً للرابع .

(٤) تتعهد ادارة جرائدنا بطبع الأجزاء الأربعة فى ستة شهور أو ثمانية .

فمن أراد الاشتراك فى هذا الكتاب الجليل فليخابر جناب سليم أفندى النقاش مدير ومحرر المحروسة والعصر الجديد وصاحب المطبعة .

المسابقة



دوحة القراء

مَن

شخصية أسطورية فكاهية اسمها من ثلاثة حروف :

١ ـ ٣ تعبير رياضي فى حساب الزوايا .

٢ ـ ١ فريضة للمستطيع .

أين

البلدة السليبة التى حوصر فيها المرحوم اللواء السيد طه الملقب بالضبع الأسود . اسمها من ثمانية أحرف :

٤ ـ ٢ ـ ١ ـ ٣ ـ ٥ ـ ١ ـ ٧ قنوات للماء فى عمـــان ومسقـط .

٨ ـ ٦ ضمير للمذكـــر .

ما

علم ينسب إلى عالم عربي مسلم ندرس به تفاعلات المادة ، ويقال أن اصل كلمته مصريـة قديمة . اسمه من ثمانية احرف :

٧ ـ ٢ ـ ١ ـ ٨ نعـم اللـــه .

٥ ـ ٤ ـ ٣ ـ ١ ـ ٨ ـ ٦ ـ ٢ ملك ذكر فى القـــرآن الكريم .

الاجـــابـــة الصحيـــحـــة



١ ـ مؤلف كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) هو العالم المسلم الشهير :

القزويني ـ المسعودى ـ الخوارزمى

٢ ـ ريم على القاع بين البان والعلم.. اكمل البيت وانسبه الى قائلة . ولماذا سميت القصيدة التى هذا مطلعها باسمها المشهورة به .

٣ ـ اكتب فعل الأمر من المضارع يرى

٤ ـ اذا اضفنا ماء البحر الى احد المحاليل التالية يتكون راسب أبيض: نترات الكالسيوم ـ نترات الصوديوم ـ نترات الفضـــة .

٥ ـ يستخرج عطر الزباد من : شجرة الكاكاو ـ سمكة القرش ـ قط شرق افريقى .



٦ ـ « فقال لهم يا اولاد الافاعى . بيتى بيت الصلاة كان يدعى وقد جعلتموه مغارة للصوص » فى اى الكتب المقدسة وردت هذه العبارة ، ومن هم اولاد الأفاعي ؟؟

٧ ـ وقعت معركة رفح بين السلوقيين والمصريين فى سنة :

٢١٧ ق.م ـ ٢١٧م ـ ١٢١٧هـ

٨ ـ قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني فى العراق ضد الاحتلال البريطاني فى سنة :

١٩٤٠م ـ ١٩٤٥م ـ ١٩٥٢م

٩ ـ (يزرع المرجان صيفاً فى المناطق الاستوائيـــة) .

هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

١٠ ـ وقعت احداث قصة حصان طروادة المشهورة فى بلاد :

البرازيل ـ نيوزيلندا ـ اليونان

هـــل تعـــلم ؟

● ان جسم الانسان يطلق فى كل ساع حرارة تكفى لغلي لتر من الماء .

● ان شعر الناس ينمو بمعدل ١٥ سم ك عام تقريباً .

● ان أول امرأة طارت فى مدار حول العالم هى « فالنتينا تريشكوفام فى ١٤ يونيو ١٩٦٣م

● ان أصغر عصفور فى العالم هو الطائر الطنان وهو يعيش فى كوبا وطوله أقل من ٥ سنتمترات .

● أن أعلى سكة حديد فى العالم توجد فى بيرو بين مدينتى كالاو ولدويا .

● ان الببغاء يعيش ٧٥ سنة وأحيانا ١٠٠ سنة .

● ان السلحفاة هى أطول الحيوانات عمراً

● أن أكبر شلال في العالم شلال نه (اكوازو) فى البرازيل ارتفاعه ٧٠ متر وعرضه ٤٣٥٠ متر .

● أن أطول نفق للسيارات فى العالم هو نفق الجبل الأبيض فى جبال الألب بين فرنسا وايطاليا .

منال احمد خليل المنصو
مدينة عيسى ـ البحرين

حل مسابقة العدد ٦٥

من : هارون الرشيد
أين : الاسكندرية
ما : برج بابل

١ ـ غبر صحيحة علمياً لأن الطولوين يستخرج من الفحم الحجرى .
٢ ـ سنة ١٦ هـ .
٣ ـ قدامة بن جعفر
٤ ـ الجنوب الغربي
٥ ـ كربونات الكالسيوم .
٦ ـ فلا يظن جهول أنهم فسدوا
قائله : أبو العلاء المعرى
٧ ـ الصوديوم ـ المغنسيوم ـ النحاس ـ القصدير ـ الذهب الزئبق .
٨ ـ بساتين ـ عمر عثمان
٩ ـ الشهيد سيد قطب
١٠ ـ لندنبرج

الفائزون بنتيجة مسابقة العدد ٦٥

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :
القارىء : نبيل عبد الرحمن عبد الوهاب المجلس الأعلى لرعاية الشباب ـ طريق سلطانة ـ المدينة المنورة / السعودية .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : محمد الهادى الزوارى ـ المدرسة الثانوية ـ شارع بورقيبة ـ صفاقس / تونس .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى و اشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : بسام سليم عدى ـ ص.ب ٢٨٧١ / أبو ظبي

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ ابراهيم محمود بهى الدين القاهرة
٢ ـ جواد عبد الجبار علي العراق
٣ ـ سيف الدين عابدين محمد السودان
٤ ـ معتز بالله اسماعيل مصطفى القاهرة
٥ ـ السليماني فتيحة محمد المغرب
٦ ـ بثينة عبد العزيز السعدنى الزقازيق
٧ ـ محمد بابكر محمد صالح السودان
٨ ـ جليلة أحمد التيتون البحرين
٩ ـ السيد أحمد السوهاجي سوهاج
١٠ ـ عائشة عيسى المغرب
١١ ـ دلال جميل مراد سوريا
١٢ ـ سلوى محمد على السودان

يرجى من الأصدقاء القراء ، أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت لهم .

الصبر والحلم

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :
الصبر صبران .. فأعلاهما أن تصبر على ما لا ترجو فيه الغنم في العاقبة .
والحلم حلمان فأشرفهما حلمك عمن هو دونك .
والصدق صدقان .. فأعظمهما فيما يضرك .
والوفاء وفاءان .. أفضلهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه

لحدان جاسم الكواري
الدوحة ـ قطر

من حكم الأولين

● يصير السيد عبداً خلال العمل .. ويغدو العبد سيداً خلال العمل .
● كلما ارتقى الوعى لدى الشعوب أصبحت بحاجة الى الفنون بكل أنواعها .
● العقل رائد الروح .. والعلم رائد العقل .. والبيان ترجمان العلم .

سوسن حمص ـ سوريا

سمعت

ما وزن الدماغ البشري؟

ذكر عالم فرنسى فى كتاب صدر مؤخراً فى باريس يحمل عنوان «البحث عن الذاكرة» انه لو اراد العلماء ان يصنعوا عقلا اليكترونيا شبيها بالدماغ البشرى من حيث الحافظة والمقدرة على مقارنة المعارف بعضها ببعض ، لبلغ وزن هذا العقل الاليكترونى عشرة آلاف طن .. ! ويستهلك من الطاقة الكهربائية ما يعادل مجموع استهلاك مصانع شركة رينو للسيارات بفرنسا .. !

ووصف المؤلف فى كتابه اسلوب عمل المخ البشرى فى تسجيل المعارف الواردة اليه من الخارج وتصنيفها فى الخلايا العصبية بانه على طريقة الشفرة .. ، وقال ان المعارف المحفوظة فى مخ الانسان لوقت الحاجة ، لو كان ينبغى إفراد مكتبة لها لكان حجم هذه المكتبة يعادل المكان اللازم لأكثر من عشرين الف كتاب .



اما عدد خلايا الدماغ البشرى فانه عند الولادة يجاوز احد عشر مليار خلية (المليار يساوى مليون مليون) تربطها فيما بينها شبكات اقرب شىء الى شبكات الاسلاك الكهربائية .

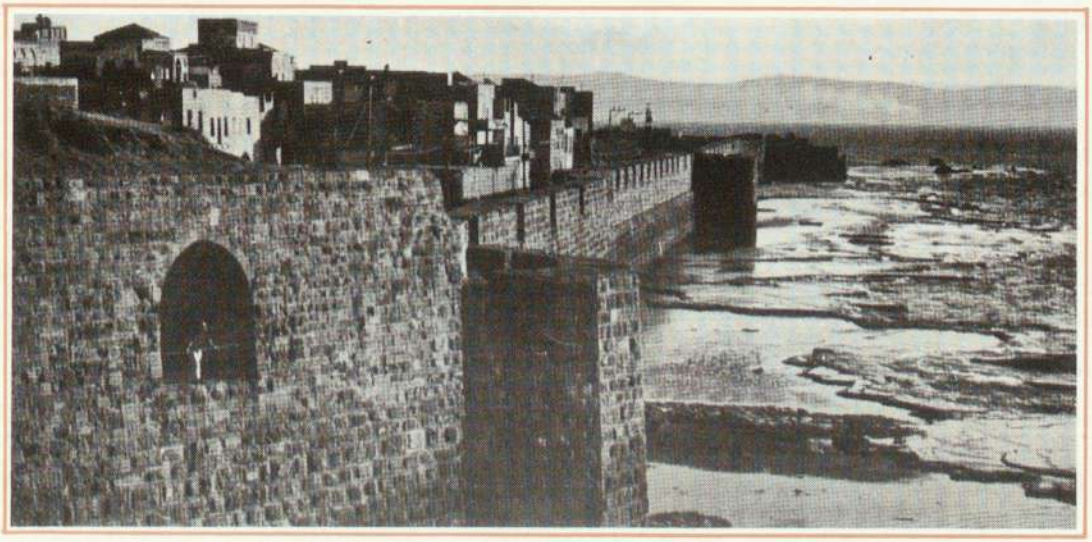
ويعترف المؤلف أن العلم الحاضر لم يكتشف حتى الآن سر الحافظة أو الذاكرة وكل ما يعرفه هو أن الذاكرة مظهر بيولوجى ، وان تفاوت قوة الذاكرة بين انسان وآخر مرهون بعدد «الوصلات» بين مختلف خلايا الدماغ ، وعددها يتراوح بين عشرين وخمسين مليار وصلة .. !

«شملان حسين محمد»
الناظور ـ المغرب



دوحة القراء

حاول أن تعرف •••



سور عكا العظيم . بناه والى المدينة فى عهد العثمانيين واستطاع صد الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت التى كانت امتداداً للحروب الصليبية . امتد حكم هذا الوالي حوالي ثلاثين عاماً .

ما اسم هذا الوالى ؟ وفى أى سنة توفى ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٦٥

الصورة الأولى :
شبه جزيرة سيناء ـ دير سانت كاترين .



١ ـ عماد عبد العزيز الحاج ـ دبي
٢ ـ أحمد السعيد علي ـ مطاى ـ مصر

الصورة الثانية :
البرازيل وعاصمتها برازيليا .



١ ـ صائب جمال سليم ـ الأردن
٢ محمد مصطفى السمرى ـ الاسكندرية

أخلاق المؤمن

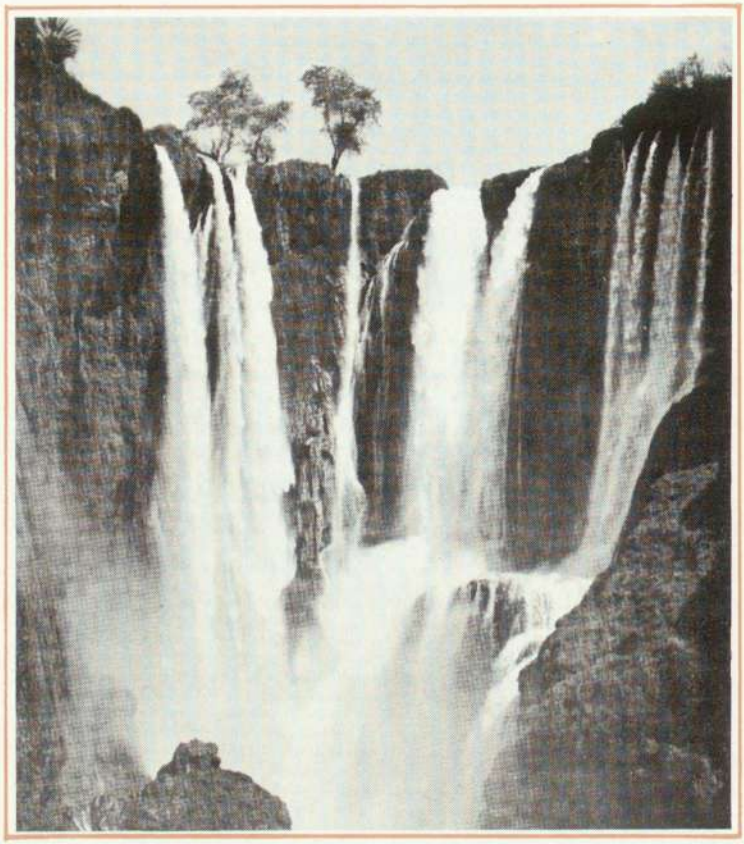
قال الحسن البصرى : من أخلاق المؤمن ، قوة فى دين ، وحزم فى لين ، وحرص على العلم ، وقناعة فى فقر ، واعطاء فى حق ، وبر فى استقامة ، وفقه فى يقين ، وكسب فى حلال .

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك :

خير الأخوان أقلهم مصانعة فى النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبة ، وخير الثناء ماكان على أفواه الأخيار ، وأشرف السلطان مالم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الأخوان من لم يخاصم ، وخير الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يختبر ذل الرجال عند الفاقة والحاجة .

محمد عبيد محمد محمود
ج . م . ع ـ قنا

لقطة الشهر



شلالات « أوذود » بمدينة بنى علال فى المغرب

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : المكانى عبد الرزاق ـ المغرب .

كلمات لها معنى

● أجمل مافى الصبر أنه يسبب ضيقاً وألماً للمرء الذى لا يكف عن مضايقتك .
(فرانكلين روزفلت)

● الفتاة السعيدة هى التى تحتفظ بعقلها حينما تفقد قلبها .
(بول جلبرت)

● لاتوجد فى العالم وسادة أنعم من حضن الأم ولا وردة أجمل من ثغرها .
(وليم شكسبير)

● العظمة الحقيقية هى أن يكون المرء سيد نفسه .
(دانيال ديفو)

● اغفر دائماً لأعدائك فلا شيء يضايقهم أكثر من ذلك .
(أوسكار وايلد)

● الحياة جميلة ولكن معنى الحياة أن نعمل شيئاً . لا أن نجلس ونرى غيرنا يعمل .
(لوى باستور)

محمد عبد الغفار محمد السيد
القاهـرة

حل كاريكاتير وتعليق العدد ٦٥



● **كل الأحبة اثنين اثنين .. وانت ياكلبى حبيبك فين (مع الاعتذار للأغنية) .**

هانى وديع صادق ـ القاهرة

● **كل اللى فى قلبه شقى اللى له .**

راشد على ـ الدوحة



قال تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان » صدق الله العظيم .

وقال الرسول الكريم : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا اعطاه الله ثلاثا :
إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له ثوابها وإما أن يكف عنه السوء بمثلها » صدق الرسول الكريم .

قال الشاعر عمر الخيام :
إن لم أكن أخلصت فى طاعتك ...
فاننى أطمع فى رحمتك
وإنما يشفع لى اننى ..
قد عشت لا أشرك فى وحدتك .

وقال سفيان الثورى : سمعت أعرابياً يقول « اللهم إن كان رزقى فى السماء فأنزله وإن كان فى الأرض فأخرجه وإن كان بعيداً فقربه وإن كان قريباً فيسره وإن كان قليلا فكثره وإن كان كثيرا فبارك فيه .

عادل حافظ
أسيوط



عبد المنان زعرور

بودلير والروائح

لعل من أهم الشعراء الذين اهتموا بالروائح الشاعر الفرنسي شارل بودلير(١٨٢١ ـ ١٨١٧) ففى ديوانه « أزهار الشر » الذى خصصه لرسم تاريخ الاضطرابات النفسية للشباب الحديث ، تنتشر الروائح فى كل قصائده ، وصار لها طريقة خاصة فى العرض فى الذاكرة كما فى الحقيقة . إن ربات الجمال لا تبقى ساكنة لديه تحت القمر ولا تنام في سريرها الوثير ، انها تنشر في الهواء رائحة شعرها وجسدها وثيابها المخملية ، إنه الشاعر اليائس يسخر من الريحان العفن الذى حضره الموت ، ويدخل في ليال غريبة ، يحلم فيها ، مشبعة بالروائح المجهولة المخباة كالتمائم ، أو الروائح الظاهرة المنتشرة والمحبوبة : الروائح التى تفوح من الجمال والأناقة . هناك إذا صح التعبير نظرية للروائح : انها غضة وطرية ، خضراء أو فاسدة ، غنية ومنتصرة ، انها المرايا الثابتة التى إذا ذكر اسمها أو ناديناها تعكس الزمن الضائع باشكاله الحقيقية : « الأبهة والطمانينة والمتعة » .

إن الروائح تبدو متدرجة كسلم للقيم :

هناك روائح غضة كبشرة الأطفال
ناعمة كالمزامير ، خضراء كالمروج .
وأخرى فاسدة ، غنية ومنتصرة
لها انتشار لا متناه
مثل العنبر والمسك والتبغ والبخور
إنها تغنى انفعالات الفكر والأحاسيس .

إن العنبر والمسك والعطر والبخور والتبغ والصبر هى الروائح التى تجعل ربات الشعر تغنى في « أزهار الشر » وربما أن هناك روائح أقوى يمتدح الشاعر خصائصها فى النفاذ عبر المادة ، هذه الروائح تنفذ إلى الذاكرة وتبعث الحياة المنطفئة فى فكر الانسان :

هناك روائح تنفذ في كل شيء ،
انها تجتاز الزجاج ، وتفتح الصناديق القادمة من الشرق .
أو فى منزل خال هناك بعض الخزائن المغلقة من زمن بعيد
تفتحها وتفجر فيها الحيـــاة .

وبمكننا أن نتبين عناصر خارطة الروائح فى كل نغم لدى «بودلير» ، في الطبيعة هناك زجاجة مفتوحة أو امرأة تذكرنا بالمسك والعنبر .

إنها مقدسة غريبة ، سمراء كالليل
ذات رائحة من المسك والعنبر .
أو أنها الريحان والبخور أو المسك :
إن المرأة ذات الشفاه القرمزية
تجرى من فمها كلمات مليئة بالمسك

أو أنهاالبخور : آهات القلوب المتعبدة .
تجرى كالبخور فى حديقة الأزهار .
أو أنها التبغ :
من أعلاها إلى اسفلها
كان جسمها الناعم تفوح منه رائحة الزيت المعطر والتبغ .

وإنه يعود دائماً الى شعر حبيبته ، الى رائحته القوية والمتوحشة إلى رائحة زيت جوز الهند والمسك الذى اشبع هذا الشعر برائحته :

أيتها النشوة : لكي أملأ المخدع الغامض .
بالذكريات النائمة فى هذا الشعر
أريد أن أهزه فى الهواء كالمنديل

ومن الرائحة المجردة المثقلة بالكسل واليد القلقة ، تظهر صفات الروائح وترتسم الحركة أمام أعيننا :

أيها الشعر الأزرق ، ياموئل الظلمات الممددة

إنك تعيد لي لون السماء الواسع والمدور .
على أطراف جدائلك المفقودة
إننى أسكر من رائحته الممتزجة .
بزيت جوز الهند والمسك والعنبر
إن يدى تزرع إلي الأبد فى غرتك
الياقوت والجواهر واللؤلؤ
ولئلا تكوني غريبة عن رغبتى
الست الواحة التى أحلم بها
والزجاجة التى أعب منها شهد الذكريات ؟

إن الروائح تثير الذكريات ولكن الجواب واضح .
سحر عميق ، وفتنة تعيد لنا فى الحاضر الماضى المتجدد .
وأخيراً فهناك رائحة الجحيم التى يحبها بودلير
وأما الرائحة الوحيدة التى يأسف عليها فهى الفردوس الأخضر فى الحب الطفولي :
كم أنت بعيدة يافردوس العطر .



بيبسى

مشروب الجيل الصاعد

